وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

العنف
في الأدب الصهيوني

د. علي سليمان

العنف
في الأدب الصهيوني

تصميم الغلاف

فراس نعوف

الدكتور علي سليمان

العنف

في الأدب الصهيوني

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١١

العنف في الأدب الصهيوني / علي سليمان . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٠ . - ٢٣٢ ص ؛ ٢٤ سم.

١ - ٨٩٢,٤ س ل ي ع ٢ - العنوان ٣ - سليمان

مكتبة الأسد

الخنْجَر والجسد

مقدمة بقلم الشاعر الكبير
سليمان العيسى

ذاتَ يومٍ ..
سقَطَ الخنْجَرُ في قلبِ الجسَدْ
كانتِ الأرضُ الجسَدْ
أرضُنا المذبوحةُ الثكلى التي
تمتدُّ من حزن الزَّبَدْ
في أغاديرَ..
إلى حزنِ الزَّبَدْ
في خليج التبرِ والدرِّ. وغصات الشجنْ
كلُّه في شهقةِ الُجرحِ وطنْ
أجَلْ.. سقَطَ الخِنجرُ في قلب الجسدْ

* * *

وأفتحُ الكتابَ الثمين الذي وضعه بين يديً أخي وصديقي الشاعر الكاتب المُجيد الدكتور علي سليمان، وأقرأ العنوان، العنوان الذي يكاد يوجز قصة «الخنجر الذي سقط في قلب الجسد»، أو توجزه هذه العبارة الشاعرة.
كان الكتاب بعنوان: العنف في الأدب الصهيوني.
وأعود إلى ذاكرتي، لأردد ما قلت، وأقول في كل

مناسبة مثل هذه: الصهيونية التي احتلت أرضنا، وشردت شعبنا، ليست سوى غزوة من هذه الغزوات التي ابتليت بها أرضنا العربية، بل؛ وطننا العربي الكبير، ولعلها أشرس الغزوات، وأكثرها عنفاً وهمجية.

أجل.. هي غزوة من هذه الغزوات التي دام بعضها أكثر من مائتي عام، والتي مازال الوطن العربي يعانيها منذ غرز الإسكندر المقدوني رمحه في هذه الأرض، ثم زال هو ورمحه، وبقيت هذه الأرض، كما خلقها الله، عربية الهوية، تهضم كل الغزاة، يتمثلهم هذا الجسد العربي، ثم يصبحون جزءاً من تراثه، وثقافته، وتاريخه... تلك حقيقة تاريخية كبرى، أدركها بعض كبار المؤرخين في العالم، وما يزال ينكرها، بل يطمسها الكثيرون.

* * *

نحن جسر العالم..

هذه الأرض العربية التي تمتدُّ من حزن الزَّبَد في أغادير.. إلى حزن الزَّبد في خليج البّرِ والدُّر، كما قلتُ في المقطع الشعري الذي افتتحت به كلمتي..

هذه الأرض العربية هي جسر العالم.. ولا بدَّ لكل طامع، أو غازٍ، أو مغامر، أن يتعرض لنا، ويغزونا، ويقيم فوق أرضنا دولةً أو كياناً يبنيه على أجسادنا، ثم ما يلبث هذا الجسد العربي الكبير

أن يهضمه، يتمثله فيبقى من يبقى، ويزول من يزول.
ولست بحاجة إلى أن أستعرض التاريخ.
وأعدّد هذه الغزوات التي لا تكاد تُحصى.
منذ الإسكندر المقدوني، وقبله، إلى
آخر قنبلة صهيونية تدمر بيتاً فلسطينياً،
على رؤوس أهله، وأطفاله، في فلسطين..
أجل.. لست بحاجة إلى استعراض التاريخ
ولكني؛ كنت، ومازلت، مؤمناً
بطاقات هذه الأمة الجبارة، وقدرتها
على المقاومة والبقاء.

* * *

لن نلقي الصهاينة الغزاة في البحر،
كما يزعمون.. ولن يلقونا في الصحراء، كما
يزعمون أيضاً.. ولكننا سنهضمهم..
سيتمثلهم هذا الجسد العربي العظيم،
وفلسطين قلبه الحي، مهما طال الزمن،
وتعددت المحن..
لقد أوتينا القدرة على المقاومة، وعلى
الصبر.. وعَوَّدَنا رمح الإسكندر
ما عودتنا القنابل الصهيونية التي تفتك
بنا صباح مساء على أن نقاوم ونصبر،
وكان الزمن كفيلاً دائماً بأن يختم مآسينا

بزوال المعتدين، وبقاء هذه الأمة المتجذرة

في أرضها منذ الأزل، وستظل متجذرةً فيها

إلى الأبد....

العنف في الأدب الصهيوني.. دراسة هامة جداً

يقدمها صديقي لقراء العربية، وغير العربية، والعالم

كله يعرف ما يجري فوق أرضنا، وما تفعله

الصهيونية بنا، ولكنه ما يزال يغمض العين

عن أبشع جريمة ارتكبت في تاريخ الإنسانية،

جريمة اقتلاع شعب بأكمله، هو شعب

فلسطين، واحتلال أرضه بأكملها وهي

أرض فلسطين.

وسيفتح العالم يوماً عينه المغمضة حتى الآن،

ليرى الغزو قد زال، تمثلته هذه الأرض،

كما قلت وأقول دائماً:

بادَ الغزاةُ وهذا «الَميْتُ» لم يَبِدِ

وشكراً لصديقي علي سليمان على هذه الوثيقة الأدبية الجديدة التي بذل فيها الشاعر الصديق من الجهد والدأب ما يكفي ليشد القارئ إليها بقوة ومتعة، تضاف إلى مثلها من الوثائق المضيئة التي تفضح التزوير والبغي والعدوان، وتقف مع الحق، والعدل، والإنسان.

دمشق: سليمان العيسى

الفصل الأول
في العنف الصهيوني

قد يحمل هذا العنوان شيئا من الغرابة أو المفارقة؛ إذ من غير المألوف أو الطبيعي أن نبحث عن العنف في الأدب أو يكون الأدب أداة من أدواته، أو أن يسهم الأدباء والشعراء في توليد العنف وتغذيته أو في الدعوة إليه وتسويقه؛ فالمألوف والبدهي أن يحمل الأدب فيما يحمله، نزوعا إنسانيا وأخلاقيا وقيما تؤكد معاني الحق والعدل والرأفة والجمال، وأن يعطي حياة الإنسان وكرامته وحريته القيمة الأولى وأن يرتقي بالسلوك والوجدان البشريين ويسهم في استئصال بقايا الوحشية والعنف والقسوة في سلوك البشر وفكرهم ومعتقداتهم.. لا فرق في ذلك بين آداب الشعوب القديمة وآداب الشعوب المعاصرة أو بين آداب القبائل البدائية وآداب الأمم المتحضرة!

وإذا كان مألوفا أن لا يعبأ رجل السياسة أو رجل الحرب بهذه القيم والمعاني، أو يضحي بها، بدافع من شهوات السلطة وحب السيطرة والتملك أو استجابة لتربيته الخاصة وتكوينه الفكري والنفسي، فقد كان الشاعر أو الأديب، منذ أقدم العصور، يقف في الجانب المغاير، منحازا لهذه المعاني، يدافع عنها ويدعو إلى انتشارها وتكريسها في الحياة، وإلى نبذ نوازع العنف والتحرر من هيمنة الغرائز والارتقاء بالمشاعر الإنسانية وتطهيرها من نزعة القسوة والكراهية، حتى لو عرّضه هذا الانحياز إلى أقسى أنواع العقاب والتنكيل.

ولسنا نبالغ، إذا قلنا: إن أولى وأسمى القيم الإنسانية والأخلاقية والجمالية وأكثرها رأفة واقترابا من معاناة البشر وملامسةً لأوجاعهم، قد وصلت إلينا على ألسنة الشعراء والأدباء، سواء في بلاد مابين النهرين أو

سورية وبلاد كنعان أو في مصر القديمة أو في بلاد الإغريق أو في بلاد الهند أو الصين... وغيرهم من شعراء وأدباء الشعوب والأمم القديمة، وإن الشعراء والأدباء على امتداد العصور، قد استمروا في حمل هذا الإرث الإنساني والحفاظ عليه ونشره ومقاومة ارتداد الإنسان إلى الاحتكام لشريعة الغاب والأخذ بقانون الغرائز البدائية ومنطق القوة والإرغام والإذلال.

إن هذا التلازم بين الأدب وبين القيم الإنسانية على امتداد العصور، يجعلنا نتردد كثيراً في إطلاق تسمية الأدب، على أي نوع من أنواع الأدب أو الفن، إذا ما تنكر لهذه القيم وارتضى أن يكون خازناً للعنف أو رافداً له، أو تبنى قيماً مغايرة تبرر العدوان وتدعو إلى الكراهية وتسوّغ قهر الآخر وإذلاله وانتزاع موقعه أو تغذي لديه شهوة التسلط والإرغام ونزعة العنصرية والتعالي..

وإن هذا التلازم بين الأدب والفن وبين القيم الإنسانية، هو ما يجعلنا نتردد أيضاً في إطلاق تسمية الأدب بالمعنى الدقيق، على الأدب الصهيوني الذي اختار أن يفك هذا التلازم أو الترابط، ليحمل نزعة العدوان والعنف والعنصرية ويحضَّ على كراهية الآخر وإلغائه، بل قتله واغتصاب أرضه وممتلكاته والعيش مكانه وفوق أنقاضه، مضحياً في سبيل ذلك ليس بدور الأدب الإنساني بل بمقوماته الفنية والإبداعية والجمالية والانحراف به بعيداً عن هذا الدور وجعله أقرب إلى منشور دعائي موظف في خدمة الأغراض السياسية والعنصرية وانتهاك الحقوق والقيم الإنسانية!!

بل يمكننا القول: إن هذا الأدب الصهيوني الذي ينتمي زمنياً إلى القرن العشرين يكاد يكون الأدب الوحيد بين آداب الشعوب الذي يجاهر بعنصريته ويفاخر بخيانة دوره الإنساني، والتخلي عن بعده الأخلاقي وإغماض العينين عن معايير الحق والعدل، ويرتضي أن يكون سوطاً للإرهاب والتسلط وداعية للكراهية والعنف ونشيداً لحملة البنادق ووسيلة في يد القتلة والمغامرين والمرضى؛ تمجّد قسوتهم وتبرر جرائمهم وتبارك جرأتهم على معاداة الحقائق وطمسها وتغييبها...

إن كل متتبع لظاهرة العنف في الأدب الصهيوني، سيجد أن غالبية هذا الأدب، لاسيما الأدب الذي أسس للصهيونية ولقيام إسرائيل، سواء كان شعراً أو قصصاً أو مسرحاً أو غير ذلك من أنواع الأدب؛ هو أدب موظف في تسويغ العنف وتوليده وضخه ضد الفلسطيني بخاصة والعربي بعامة، ومكرس لتبرير الاحتلال وقتل الإنسان الفلسطيني وتشويه صورته أو إنكار وجوده وحقوقه واقتلاعه ليس من أرضه ودياره فحسب؛ بل إقصائه من التاريخ أيضا؛ فالفلسطيني في هذا الأدب لا يعيش خارج الجغرافيا فقط؛ بل خارج التاريخ أيضا وخارج المجتمع البشري وخارج حقوق الإنسان، كل ذلك يتم بمزاعم وذرائع شتى قامت الصهيونية السياسية بتلفيقها وتسويقها وفرضها، تارة بحجة الحق الإلهي في «أرض الميعاد» أو الوعد المزعوم الذي قطعه الله لإبراهيم منذ آلاف السنين، أو بحجة ما لاقاه اليهود من اضطهاد وتشريد وإبادة، أو بحجة أن فلسطين كانت خالية من السكان قبل بدء الهجرة الصهيونية إليها في أواخر القرن التاسع عشر. فقد كانت «أرضا بلا شعب تنتظر شعبا بلا أرض» أو بذريعة، تطوير وإحياء الأراضي المقدسة في فلسطين وجعلها «قلعة للحضارة الغربية في وجه آسيا البربرية الهمجية»، أو بحجة أن اليهود شعب فريد ومغاير لا يسعه الاندماج في بقية الشعوب ومن حقه المحافظة على صفائه العرقي ونقاء معدنه والخشية من الذوبان في المعادن الرخيصة، وعلى العالم أن يُؤمّن له الشروط والعوامل التي تساعده على الاحتفاظ بتفرده وتفوقه ونقائه العرقي!! أو بحجة أن لا خيار أمام اليهودي المهدد دائما بالاضطهاد والإبادة وافتقاد الأمن إلا إزاحة الفلسطيني وأخذ مكانه.. كي يحقق اليهودي أمنه ويجمع شتاته ويحافظ على نقاء عرقه ويعبر عن طاقاته الإبداعية.

فاليهودي حسب هذه المزاعم ليس مخيرا، فإما أن يكون ضحية أو جلاداً، وأن لا حل للمشكلة اليهودية إلا في أن يحلَّ الوجود الصهيوني محل

الوجود الفلسطيني وأن تقوم دولة إسرائيل على أنقاض فلسطين والفلسطينيين، إلى آخر هذه المقولات والمزاعم التي تزخر بالعنف والرياء والعنصرية واحتقار الحقائق والتي تحملها وترددها مقولات المفكرين والساسة ورجال الدين الصهاينة، أمثال هيرتزل وآحاد عاهام ووايزين وناحوم غولدمان وإسرائيل زنجويل وبن غوريون ومناحيم بيغن وغولدامائير وموشي دايان وليفي أشكول ويرمياهو بوفال وجوزيف ويتنر وموسى هيس وشارون والحاخام شاؤول وغيرهم كثيرون، هؤلاء الذين حاولوا تكريس هذه المقولات التي نجدها مبثوثة أيضا في الأعمال الروائية والشعرية والمسرحية وقصص الأطفال الصهيونية، في أعمال شموئيل يوسف عجنون وموشيه سميلانسكي ويتسحاق شامي وناتان شاحم وعاموس عوز ويزهار سميلانسكي وبنحاس ساديه وبنيامين تموز ويائيل دايان وابراهام يهوشاع واسحق شليف، وكذلك في شعر مناحيم بيالك ويهودا عميحاي ويوناثان غيفن ونعمى شيمر وافرايم سيدوم ويسرائيل هار وأبشلوم كور وحاميم ريبنزون وشمشون ملستار وديدي منسي وحاييم حافير وغيرهم...

ولسوف نرى أن الأدب الصهيوني الذي بشر بالمشروع الصهيوني في فلسطين ومَهَّد له وأسهم في ترسيخ دعائمه... قد مارس ضد الفلسطيني مختلف أشكال العنف من خلال مقولاته ومسلماته وإيحاءاته ومزاعمه، بل مارس ضده ما يمكن تسميته بالعنف الشامل الذي طال حياته وإنسانيته وكرامته ووطنه وممتلكاته وصورته وتاريخه وثقافته وإرثه الحضاري؛ فحضَّ على الكراهية والبغضاء والانتقام والتنكيل وعلى ممارسة مختلف أشكال القتل والاستباحة؛ بل تجاوز ذلك إلى نوع مرضي من العنف الذي يمكن تسميته بالعنف (الشايلوكي) يستمتع صاحبه فيه بقهر وإذلال الضحية والتلذذ بتحطيم إرادتها وكرامتها

وإنسانيتها قبل قتلها كما تفعل إسرائيل الآن في هدم المنازل فوق رؤوس أصحابها وتركهم يموتون ببطء تحت الأنقاض أو في إطلاق الرصاص على الأطفال الصغار في أحضان آبائهم وأمهاتهم أو أمام أعينهم، وقتل النساء والشيوخ والمعاقين أو تركهم ينزفون حتى الموت دون السماح بإسعافهم، وتكسير أطراف المتظاهرين أو المحتجين على عمليات القتل والقهر والإذلال وسحل جثث الضحايا في الشوارع وعلى الأرصفة، وإطلاق الرصاص على بطون الحوامل وسحق الممتلكات والأشجار والمزروعات وجرف التربة وتدمير أي مظهر من مظاهر النشاط والتطور الذي يبشر بالحياة والنمو...

ويمكن القول من خلال تتبع التأثير المتبادل بين سياسة العنف التي تتبعها الحركة الصهيونية وبين عنف أدبها أن العنف الذي أسهم الأدب الصهيوني في توليده قد أسهم بدوره في توليد أدب أكثر عنفاً وقسوة ووحشية، وأكثر تحريضاً على العنف والكراهية وإن الصهيونية التي أَمدّتْ الأدب وغذته بمقولاتها ومسلماتها العنصرية العدوانية، قد غذاها الأدب بدوره؛ فَتبنّى مقولاتها ومسلماتها وقيمها وسوَّغ ممارساتها العدوانية التوسعية؛ بلّ قد أسهم في تنشئة أجيال تؤمن إيماناً مطلقاً بسياسة القوة والعنف والإرغام... سياسة تقتلع من نفوس هذه الأجيال أي حس وأي تعاطف إنساني مع الآخر المختلف...

لنستمع مثلاً إلى هذا الشاعر الإسرائيلي العائد من إجازته أثناء احتلال إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، في حوار له مع أحد أصدقائه، كيف يُعّبر عن نزعته العدوانية وعن تعطشه الوحشي المرعب للقتل والافتراس، وكيف يشوه وجه الشعر ووجه الحياة ووجه الأمومة ووجه الإنسانية.. وكيف أفرغته الصهيونية من إنسانيته ومن أي حس أخلاقي وكيف أضفى بدوره عليها، لوناً قانياً من العنف!

عندما عدت من إجازتي

إلى وحدتي التي تقاتل

عند مداخل بيروت،

بادرني (بوعز) بالسؤال:

كيف كانت الإجازة؟

قلت له:

إن والدتي بكت كثيراً

لأنني لم أحضر لها رأس أحدهم

والدتي بكت كثيراً...

لأنني لم أقتل المزيد..!!(١).

ويقول شاعر آخر لا يقل تعطشاً للقتل وسفك الدماء داعياً إلى حرب إبادة ضد الفلسطينيين:

لو كنت قائداً لجيشنا الأسطوري

لزرعت الموت والدمار في كل المنازل والشوارع

في كل المساجد والكنائس..

ويكمل قائلاً:

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ...(٢).

وشاعر آخر لا ترتاح نفسه إلا إذا رأى دماء الفلسطينيين الذين أرغمتهم إسرائيل على الفرار من القتل وترك وطنهم وأرضهم وممتلكاتهم، فلجؤوا إلى مخيم صبرا وشاتيلا في لبنان:

احصدوهم، اذبحوهم، اقتلوهم...

في صبرا وشاتيلا دماء كثيرة

فارتاحت نفسي..![٣].

لا نشك في أن من يقرأ هذه النماذج وأمثالها من الشعر الصهيوني يحس وكأنه حيال عصابة من القتلة ومحترفي الجريمة، وليس حيال شعراء أو أدباء.

ولتبرير هذا العنف الوحشي الشامل الذي تمارسه هـذه الفئـات بحـق الفلسطيني الذي رسمت له صورة شديدة القبح والدمامة؛ تثير مشاعر النفـور والكراهية والازدراء، وأطلقت عليه جملة من الصفات؛ فهو من حيث صفاته: مخلوق بدائي، متخلف، شديد الغباء والحمق والغفلة والجهل، جبان، عنيـف، شهواني، ميال للغدر، مستعد للخيانة والتنازل عن كرامته ووطنه مـن أجـل القليل من المال، غير قابل للتطور وتجاوز واقـع التخلـف بحكـم مكوناتـه واستعداداته الفطرية؛ هذا ما أكدته قـصة (الأسـير) ليزهـار سميلانـسكي، فالعربي – برأيه - هو مخلوق بدائي، غافل، جاهل، لا يعـرف حتـى اسـمه وتاريخ مولده... قذر، لا علاقة له بالأرض أو بالعصر[٤].

وفي روايته (خربة خزعة) العرب قـذرون، جبنـاء، أنـذال، أشـبه بالحيوانات لا علاقة لهم بأرضهم[٥].

أما الروائي الصهيوني هزاز، فإنه لا يجد أي فارق في قصته (رحمة) بين العربي وحماره[٦].

وعند إسحق شليف، العربي أشبه بالأفعى يجـب قتلهـا عنـد وكرهـا واجتثاثه دون شفقة أو رحمة[٧].

وكذلك الأمر عند الروائي الصهيوني الشهير شموئيل يوسف عجنـون الحائز على جائزة نوبل للآداب الذي يرى في روايتيـه (الأمـس القريـب)

و(تهلّه)[٨]. أن العرب جهلاء، قذرون، وظـــاهرة شـــريرة عدوانيـــة معاديـــة للحضارة والعلم والتطور.... وأنهم وراء تهديم وتدمير الحضارة اليهودية.

فصورة العربي عند هؤلاء، مخلوق قبيح الشكل، دميم، منفـــر، قـــذر، أشبه بالحيوان في شكله وتصرفاته وسلوكه؛ بل إن وجـــوده لا يُعـــدُّ وجـــوداً بشرياً أو إنسانياً بالمعنى الدقيق؛ إنه وجود شبحي حيواني ملتـــبس لا يرتّـــب على من يُنكره أو يلغيه، أية مسؤولية قانونية أو أخلاقية، فهو موجود وغيـــر موجود في آن، لأنه في نظر الصهيونية ومنظريهـــا وأدبائهـــا ومـــشرعيها، مخلوق لا يرتبط بتاريخ أو أرض أو ثقافة أو ذاكرة حـــضارية، إنـــه يعـــيش خارج التاريخ والجغرافيا والحضور الإنساني الفاعل والخلاق، وبالتالي فـــإن وجوده في فلسطين يماثل عدم وجوده؛ فإذا ما اعترف بوجوده؛ فإن وجـــوده ينحصر في التخلف والجمود والعنف والشهوانية، وهو في أحسن حالاته لا يصلح أن يكون أكثر من يد عاملة كما وصفه إسحق رابين رئـــيس وزراء إسرائيل الأسبق بقوله عن العربي في حديث مـــع مجلـــة الأزمنـــة الحديثـــة الفرنسية عدد حزيران ١٩٦٧: «إنه لا يقرأ ولا يتعلم ولا يفكر ولا يحلـــم ولا يتخيل ولا يحارب.. حسبه أن يمتلك بعض المـــال ليـــصرفه علـــى رغباتـــه الجنسية»[٩].

إنه وفق هذه الصفات؛ على النقيض من اليهودي المتفـــوق والمتكامـــل والمتأصل في التاريخ والحضارة والذي تؤهله جدارته وتفوقه وتكامله ونقاؤه العرقي وصفاء مَحْتَده؛ بل إن لديه كل المبررات لإزاحة الوجود الفلـــسطيني وإلغائه، باعتباره وجوداً شبحياً ملتبساً...!! وهكذا يغدو أو يتحول اسم فلسطين بفضل هذا الامتياز أو الاصطفاء إلى: «أرض إسرائيل»، ويلغى اسم الـــشعب الفلسطيني ليحل محله اسم «الشعب اليهودي» أو «شعب الله المختار» وتمحى أسماء القرى والمدن والأماكن العربية الفلسطينية وتـــستبدل بأســـماء عبريـــة ويزاح التاريخ الحضاري الكنعاني والفلسطيني والعربي، ليغدو مجرد تـــاريخ

وإرث يهودي.. بينما تؤكد الحقائق التاريخية والأثرية زيف المزاعم الصهيونية حول الموروث الحضاري اليهودي وحول مزاعم نقاء العرق اليهودي.. إذ تؤكد هذه الحقائق أن المملكة الوحيدة التي أقامها اليهود في فلسطين طوال تاريخهم لم تكن من بدايتها حتى نهايتها، أكثر من حادثة صغيرة من حوادث تاريخ مصر وسورية وآشور وفينيقيا، وأن هذه المرحلة القصيرة قد قامت على العنف والغدر وسفك الدماء وعلى حكم أشبه بحكم بعض الرؤساء المتوحشين، كما تؤكد هذه الحقائق التاريخية، أن يهود فلسطين القدماء كانوا مجرد بدو لا أثر للثقافة والحضارة فيهم، على خلاف ما تروج له الصهيونية، وأنهم عاشوا على مائدة حضارات الشرق القديم العريقة كحضارة مصر وسوريا وبابل وآشور وأنهم حين أخذوا أسرى إلى بابل كانوا همجاً وعندما عادوا من الأسر عادوا متحضرين بفضل احتكاكهم بالحضارة البابلية(١٠)، بينما يدعي مؤرخو الحركة الصهيونية بأنهم هم بناة الحضارة البابلية والمصرية وهم وراء كل الإنجازات الحضارية العظيمة في التاريخ...!

أما بشأن الممالك اليهودية في فلسطين فيقول المؤرخون: إن عمرها من أوله إلى نهايته، كان مجرد حادثة صغيرة من حوادث تاريخ مصر وآشور وفينيقيا(١١) أما ما تروج له الدعاية الصهيونية بشأن نقاء العرق اليهودي وانتساب اليهود لجد واحد والتبجح بنقاء العرق اليهودي، فإن المؤرخين النزيهين والجادين لهم رأي مغاير يؤكد أن اليهود مزيج وخليط من شعوب وأجناس وقوميات مختلفة.

وحول ما يقال عن الحكمة التي تنسب إلى الملك سليمان أعظم ملوك بني إسرائيل ومعرفته بأصول الحكم؛ فإن هؤلاء المؤرخين لم يجدوا له في كل أفعاله مكانا بين من عرفوا بالحكمة وأنه لم يتجاوز منزلة المعاون للملك التاجر حيرام(١٢)، وأن يهود العالم هم مجرد مجموعات اعتنقت الدين اليهودي

وليست من جنس أو عرق واحد، أما فلسطين فهي مجرد مهد للدين اليهـــودي ولم تكن في يوم من الأيام أرض اليهود أو وطنهم الحقيقي(١٣).

في ظل هذه السياسة العنصرية الإلغائية القسرية، والمتلاعبة بالحقـــائق التاريخية والمزدرية لمن ليس يهوديا ولكل من هو فلـــسطيني؛ أخـــذ العنـــف الصهيوني ضد الفلسطيني شكلاً استئصالياً؛ شكلا لا يقتصر علـــى اغتـــصاب الأرض والممتلكات والسطو على التاريخ والموروث الحضاري، ولا يكتفـــي بتشويه صورة الفلسطيني والحط من شأنه أو التنكيل به وتهجيره؛ بل ربطـــت الصهيونية بين وجودها في فلسطين وبين إلغاء وجود الفلسطيني، كما ربطت بين حضور اليهود في التاريخ والحضارة وبين إلغاء ومحو تاريخ الفلـــسطيني وثقافته، ورهنت مستقبلها بمصادرة مستقبله، كما ربطت تقدمها وازدهارهـــا وأمنها، بتجريد الفلسطيني من أبسط مقومات النهوض والتطور والازدهـــار، وحشره في دائرة التخلف القسري، ومنعه من ممارسة أبسط المهـــن كـــورش الحدادة البدائية التي تصنع المحاريث، بحجة محاربة الإرهاب لتتهمه بعد ذلك بالتخلف، وتقدمه للعالم بأنه مخلوق عاجز بفطرته عـــن التطـــور والتقـــدم أو تجاوز واقع التخلف.

ولم يقتصر هذا العنف على الفلسطيني، بل طال كل من يتعـــاطف مـــع الشعب الفلسطيني أو يعترف بحقه في الوجود والحياة، أو يتجرأ على انتقـــاد الممارسات الإسرائيلية العنفية أو نقد مقولاتها ومسلماتها.. فإذا ما تجرأ مفكر أو سياسي أو إعلامي أو صاحب مشروع اقتـــصادي علـــى التعـــاطف مـــع الفلسطيني أو اعترف بحقه في الوجود وفي الحياة أو تجرأ على نقل الصورة الحقيقية عما يجري داخل فلسطين المحتلة من أنماط القهـــر، أو نقـــل حتـــى بعضها؛ فإنه يصبح هدفا للعنف والتشهير والاتهام، فيتهم بمعاداة الـــسامية أو بالنازية أو بالشيوعية أو يصبح مأجوراً تموله شركات النفط العربية أو جاهلا بالحقائق التاريخية، أو منحازا للتخلف والبدائيـــة والبربريـــة التـــي يمثلهـــا

العربي.. أما إذا كان يهودياً، فإنه يتهم بالجنون أو المرض أو بأنه كاره لذاته[١٤].

ولم ينج من سياسة العنف والإلغاء والتخويف والابتزاز هذه؛ العشرات من أصحاب الضمير الحي والفكر النزيه ممن تجرأ وعارض أو انتقد الممارسات الوحشية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين أو دافع عن حقوقهم أو تعاطف مع قضيتهم العادلة أو تحسس ما لحق بهم من ظلم أو شكك بالمقولات والمزاعم والمسلمات الصهيونية فقد تعرضوا إلى أبشع أنواع الحملات والاتهام والملاحقة والتضييق والتهديد وتشويه السمعة والابتزاز ومحاولة شراء الذمم.. وتم القضاء على مستقبل الكثيرين منهم؛ بل إن بعضهم تعرض للاغتيال[١٥].

ومعروف ما تعرض له المفكر الفرنسي روجيه غارودي من تشهير وملاحقة قضائية واتهامات بالعداء للسامية لمجرد انتقاده الموضوعي والمدعم بالوثائق، الأسس الأسطورية واللاهوتية التي قامت عليها إسرائيل، وتشكيكه بصحة عدد ضحايا المحرقة (الهولوكوست) وما تعرض له مؤخرا المؤرخ البريطاني ديفيد أرفينغ؛ إذ حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وكذلك البروفسور طومسون أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت الأمريكية الذي طرد من الجامعة لمجرد التشكيك بصحة المزاعم والادعاءات الإسرائيلية حول التاريخ اليهودي..

وهناك مئات الشواهد على هذا النوع من العنف والابتزاز والتخويف والمحاربة والتهديد بالقتل ضد أصحاب الفكر الحر أمثال الكاتبين البريطانيين كريستوفر ميهيو ومايكل آدمز صاحبا كتاب «ليس للنشر» و«ا.سي.فورست» صاحب كتاب الأرض غير المقدسة، والباحث الفرنسي ورئيس معهد العلاقات الدولية الإستراتيجية في باريس باسكال بونيفاس صاحب كتاب «هل من المسموح نقد إسرائيل» والسير باموت جلوب صاحب كتاب «أزمة الشرق

الأوسط»، والمستر كلود مورس صاحب العديد من الصحف البريطانية الناجحة والذي اضطر إلى إغلاقها وإلى إشهار إفلاسه بسبب تعاطفه مع الفلسطينيين ونَشْر بعض الحقائق عن قضيتهم والصحفي الفرنسي آلن مينارغ الذي أرغم على الاستقالة من الإذاعة الفرنسية لتعاطفه مع الفلسطينيين والسنتور فولبرايت رئيس لجنة الشؤون الخارجية الأسبق في مجلس الشيوخ الأمريكي وعالم النفس لإسرائيلي جورج تامارين صاحب كتاب «المعضلة الإسرائيلية» الذي فقد منصبه في الجامعة والناقدة اليهودية ماربون ولغسون للسبب نفسه؛ بل إن بعض الشخصيات قد اغتيلت على يد العصابات الصهيونية نتيجة مواقفها من العنصرية الصهيونية، مثل الكونت برنادوت ومساعده الكولونيل سيرد واللورد موين وزير الدولة البريطاني الذي اغتيل لمجرد إنكاره نسب اليهود الحاليين للعبرانيين القدماء... وغيرهم كثيرون.

إلا أن هذا النوع من العنف والمصادرة والترهيب، لم يمنع الكثيرين من مجابهة هذه الظاهرة المخيفة ومن فضح وحشيتها ومن الرد على مزاعمها ومسلماتها العنصرية العدوانية والتوسيعية ومن إدانة حروب الإبادة والتدمير التي تشنها إسرائيل على الفلسطينيين والتي تذكر بحروب الإبادة التي شنها يشوع بن نون ضد الكنعانيين والفلسطينيين. وقد وصف الكاتب الهولندي لوكاس غرولنبرغ حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل ضد الفلسطينيين بحروب الإبادة التي ورد ذكرها في أسفار التوراة والتي تحتوي على أقدم قصص الإبادة الجماعية على حد قوله(١٦)، والمقصود بهذه الحروب، الحروب التي خاضها شاؤول ويشوع بن نون ضد الفلسطينيين.

وقد وصف المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي في حديث له للمجلة اليهودية «Jewish Frontier» في شباط ١٩٥٥ معاملة العرب من قبل الإسرائيليين بمعاملة النازيين لليهود؛ فقد تورطت إسرائيل كلها في طرد العرب وقتلهم(١٧).

ووصف فرانتز شايدل الحرب التي تشنها إسرائيل على الفلسطينيين بحرب الإبادة المعروف في العهد القديم كما وصف الصهاينة وقسوتهم الوحشية تجاه أعدائهم، بأنهم من أكثر البشر في هذه الأرض قسوة وبربرية ويمضي قائلا: لقد أفسد الصهاينة دولتهم إسرائيل القائمة على السرقة، الصورةَ التي كونها العالم حتى الآن عن اليهود وأيقظت الصهيونية في هؤلاء المجانين أحط الغرائز وجعلت من الذين أصيبوا بها مجرد حيوانات(١٨). وشبه صاحب موسوعة «قصة الحضارة» ول ديورانت الطريقة التي اتبعتها الصهيونية في احتلال فلسطين بالطريقة التي اتبعها يشوع بن نون ضد الكنعانيين وأمر بها «يهوه» شعبه المختار بأن يذبحوا بوحشية أمماً بأكملها(١٩).

ووصف المفكر الفرنسي روجيه غارودي غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ بأنه تَمَّ بتأشيرة من التوراة(٢٠) مشيراً إلى ما ورد في التوراة بأن لبنان جزء من أرض إسرائيل الكبرى.

وانتقد أحد السياسيين البريطانيين وأحد نواب مجلس العموم، المجتمع الدولي الذي سمح بإقامة دولة إسرائيل بأنه خلق وحشا أشبه بالوحش فرانكشتاين، خلال مظاهرة قام بها بعض النواب البريطانيين في ١٩٨٢/٧/٣١ احتجاجاً على غزو لبنان، ووصف أحد الكتاب قيام إسرائيل بأنها قامت على العنف والرياء وأنها مستمرة في هذين الخطين(٢١)، واعترف عدد من مؤسسي إسرائيل بأن إسرائيل ما كانت لتقوم لولا العنف واستخدام القوة واللجوء إلى سفك الدماء والحيلة والخداع وحجب الحقائق.

يقول مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق «لولا مجزرة دير ياسين» لما قامت دولة إسرائيل(٢٢). ودير ياسين هي البلدة الفلسطينية التي ذبحت القوات الصهيونية سكانها، وأدخلت الذعر والهلع في نفوس بقية

الفلسطينيين، من قسوة الأعمال الوحشية التي مورست ضد سكان دير ياسين...

يعقب غرولنبرغ على هذه المذبحة التي روعت الفلسطينيين وعلى تصريح بيغن بالقول: «فأعماله الإرهابية الوحشية هي التي حققت الحلم الصهيوني في إقامة دولة يهودية» ذلك الحصن الحضاري وسط البربرية الشرقية «كما يزعم هرتزل[٢٣].

وتأكيداً لسياسة العنف والكراهية يقول مناحيم بيغن في يومياته:

علينا أن نكره ونحارب[٢٤]. فقد أمر الجنود الإسرائيليين بقتل العرب والقضاء على الحضارة العربية وبناء الحضارة الصهيونية على أنقاضها[٢٥].

ويقول بن غوريون أحد زعماء الحركة الصهيونية وأول رئيس وزراء لإسرائيل: ليس في بلادنا مكان إلا لليهود. إننا سنقول للعرب: ابتعدوا فإذا لم يوافقوا وقاوموا فسنبعدهم بالقوة[٢٦]. ثم يصف العرب قائلا: «إنهم شعب متخلف، وغير جدير بالثقة، وأن العربي لا يفهم سوى لغة القوة»[٢٧].

ولقد جندت الحركة الصهيونية مناهج الدراسة والتعليم والتثقيف مثلما جندت الفكر والأدب والفن والدين والأعلام في نشر ثقافة العنف والتحريض على استئصال العربي الفلسطيني.. فأدخل البروفسور بنزيون رينور، صديق ابن غوريون ووزير التربية في عهده بأمر منه، سفر يشوع في مناهج الدراسة الإسرائيلية والذي يحض اليهود بل يأمرهم بقتل جميع الأغيار ومحو آثارهم[٢٨].

أما هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية، الذي كان يؤكد للعالم الغربي بأنه يريد أن يقيم في فلسطين قلعة متقدمة للحضارة الغربية في وجه بربرية الشرق، فيكشف عن فلسفة العنف الصهيوني بقول مليءٍ بالعنصرية والقسوة والعنف والغرائز الوحشية التي لا صلة لها بالحضارة أو بالقيم الإنسانية، جاء فيه:

«فلنفترض أننا أجبرنا على أن نُخلي بلداً مـن الوحـوش؛ فـإن مـن الواجب ألا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوربيين في القرن الخامس، كـأن نأخذ الرمح ونذهب كلاً على حِدَه، للبحث عن الدببة، بل يجب علينـا تـأليف حملة صيد كبيرة، ومن ثم تجميع الحيوانات، كلها معاً، وإلقاء القنابل المميتـة وسطها»[٢٩].

بهذه الطريقة «المتحضرة والإنسانية» يريد مؤسس الحركة الـصهيونية إقامة الدولة العبرية لتكون قلعة للحضارة في وجه البربرية، وبهذه الطريقـة «الرحيمة الإنسانية» يريد إخلاء فلـسطين مـن سـكانها ومـن أصـحابها التاريخيين..!

والحقيقة أن رفاق هرتزل وورثته في زعامة الحركة الصهيونية وفـي إقامة هذه «القلعة الحضارية»، لم يخيبوا آماله ولم يخـالفوا توصـياته، فلـم يكلفوا أنفسهم عناء انتظار النزوح التدريجي والقتل الفـردي لـسكان مئـات البلدات والقرى الفلسطينية؛ بل مارسوا ضدهم حربا تأخذ بوصـية هرتـزل والتي تقوم على مبدأ الإبادة الجماعية المعروفة في «العهد القديم» والـشبيهة بحملة الصيد الحديثة التي أشار إليها، فقتلوا وشردوا وهجروا الفلسطينيين من أرضهم وديارهم ومحوا آثارهم ودمروا حتى مقابرهم. وبينما كان اليهود فـي عام ١٩٤٧ لا يملكون من فلسطين سوى ٥,٦ % أصبحوا فـي عـام ١٩٤٩ بعد عمليات الصيد التي أوصى بها هرتزل ضد الفلسطينيين، يحتلـون ٨٠% من هذه الأراضي.

في إحصائية أجراها الكاتب الإسرائيلي، إسرائيل شاهاك عـام ١٩٧٥، تبين أن الإسرائيليين قد هدموا حتى ذلك التاريخ ٣٨٥ بلدة وقريـة فلـسطينية ومحوا آثارها لإيهام العالم بأن فلسطين كانت قبل دخول الغـزو الـصهيوني إليها، مجرد صحراء[٣٠]، وأرضا بلا سكان، بعد أن قام الإسرائيليون، بـدعم كامل من الدول الغربية بقتل أو تهجير غالبية الفلـسطينيين وإقامـة الدولـة

العبرية؛ أصبح بالإمكان تصديق الأكذوبة التي أطلقتها الصهيونية؛ بأن فلسطين كانت قبل الهجرة اليهودية إليها خالية من السكان وأن الصهاينة لم يقترفوا ذنباً باغتصابها.

ورغم وجود الشعب الفلسطيني في كل أرجاء فلسطين قبل قيام الدولة العبرية؛ فإن حاييم وايزمان كان يصر على خلو فلسطين من السكان العرب فيقول: «هناك بلد اسمه فلسطين وهو بدون شعب، وهناك من جهة أخرى الشعب اليهودي وهو بدون أرض، إذن فمن الضروري والجوهري أن توضع الجوهرة في الخاتم»[٣١].

إلا أن حاييم وايزمان، لم يقل كيف أصبحت فلسطين خالية من السكان أو كيف أصبح الخاتم بلا جوهرة، ولا كيف قتل الإسرائيليون مئات الآلاف من الفلسطينيين وكيف أرغموا من بقي منهم على قيد الحياة، على الهجرة تاركاً وطنه وممتلكاته أو قابلاً بالعيش عيشةَ الكلاب تحت نير الاحتلال الصهيوني كما قال موشي دايان وزير حرب إسرائيل الأسبق[٣٢].

لم يقل وايزمان، كيف دمرت الجرافات والبلدوزرات الإسرائيلية مئات البلدات والقرى والقبور الفلسطينية!!

ثم لا عجب في ظل تبني سياسة التزوير والاستئصال والتلاعب بالحقائق، أن تنفي غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة، وجود أي شعب يدعى الشعب الفلسطيني، ففي حديث لها مع صحيفة الصاندي تايمز اللندنية بتاريخ ١٩٦٩/٧/١٥ نفت وجود الفلسطينيين وقالت: «لا يوجد هناك شيء اسمه الفلسطينيون أو شعب اسمه الشعب الفلسطيني ثم جئنا نحن وطردناهم وأخذنا بلدهم، لم يكن لهم من وجود» ففي فلسطين حسب مزاعم الصهيونية، لم يوجد عبر التاريخ إلا إسرائيل والشعب اليهودي وهذه المزاعم

التي أرادت محو التاريخ الفلسطيني وإلغاءه هي التي كذبها كيث وايتلام في كتابه «اختلاق إسرائيل القديمة» وعدد كبير من المؤرخين.

أما بنيامين نتينياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق فيزعم أيضا في كتابه: «مكان تحت الشمس» أن العرب خلقوا بالأكاذيب شعباً فلسطينياً جديداً في الضفة والقطاع، وهذا يعني أن لا وجود لشعب فلسطيني حتى في الضفة أو في القطاع!!(٣٣).

هذا التعسف والتجاهل المخيفين للواقع، وهذا الاستخفاف بالحقيقة واحتقارها، يذكرنا بما قاله المفكر الفرنسي روجيه غارودي حين أشار إلى هذه الصفة التي تتصف بها الصهيونية بقوله:

«إن إنكار ما ليس يهوديا في إسرائيل هو سمة من سمات الروح الصهيونية؛ إنه مبدؤها الأساسي»(٣٤).

ألم يدعي من قبل إسرائيل زنجويل: أن فلسطين «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»؟! رغم أن عدد السكان العرب في فلسطين كان أكثر من ٦٥٠ ألفاً عام ١٩٤٩»(٣٥).

أما برميا هويوفال رئيس قسم الفلسفة الأسبق في الجامعة العبرية في القدس، الذي تواضع واعترف بوجود الفلسطينيين، بعد أن نزع عنهم الصفة البشرية فإنه يقول: «إن القول بعدم وجود فلسطينيين، يعني أنه على الرغم من وجود هؤلاء، فيجب اعتبارهم وكأنهم غير موجودين والنظر إليهم، أنهم ليسوا بشراً»(٣٦).

ويذهب الكاتب الصهيوني، أ. نسيبوري في كتابه الكوزاري إلى القول: «إن العرب لا يستحقون الحياة وأنهم عنصر غريب عن البلاد»(٣٧).

ولم يكن رجال الدين اليهودي أقل قسوةً وعنفا وعنصرية من زعماء الحركة الصهيونية في موقفهم الاستئصالي من الشعب الفلسطيني، فقد أفتوا

بقتل الفلسطينيين وانتزاع أرضهم وممتلكاتهم ولكن باسم الشريعة وبتفويض من الله واعتماداً على نصوص وردت في التوراة؛ فقد أفتى الحاخام ابراهام أفيرام، حاخام القيادة المركزية الإسرائيلية للجنود الإسرائيليين بقتل الأغيار حتى لو كانوا أخياراً[٣٨]. أما الحاخام شاؤول فقد أجاز ذبح الأطفال الفلسطينيين بحجة أنهم وثنيون. أما الحاخام عبيدة هدايا، فاعتبر احتلال إسرائيل للأراضي العربية عام ١٩٦٧ بأنه تحرير للأراضي المقدسة من سطوة الشيطان[٣٩].

هكذا ترتدي الأطماع مسوح الواجب الديني والمهمة المقدسة، ويغدو العنف، عنفاً مبرراً ومشروعاً له صفة قدسية، وتصبح الجريمة استجابة لأمر الرب ووسيلة للتطهر من سطوة الشيطان، وهكذا يستخدم ويوظف الدين والفكر والفن والأدب والإعلام والمال والخديعة وتزييف الحقائق، في خدمة الصهيونية وأهدافها العدوانية التوسيعية ويتلاقى خطاب رجل الدين ومواقفه مع خطاب ومواقف السياسي والأديب والمفكر والعسكري، ويتفق المتدين والملحد والعلماني والاشتراكي في تبني المقولات العنصرية والأسطورية كالوعد الإلهي وأرض الميعاد والحقوق التاريخية والاصطفاء العرقي لشعب الله المختار وفي اعتماد وتبرير أسلوب العنف والابتزاز والخديعة والإلغاء وتزييف الحقائق..

لقد لفت الأنظار إلى هذه الظاهرة التي تتصف بها الصهيونية وإلى نزعة العنف وحب الانتقام وإلى التزوير وتزييف الحقائق، عدد من المفكرين والمؤرخين والأدباء الكبار أمثال هـ. ج. ولز وول ديورانت وروجيه غارودي وجورج تامارين وإسرائيل شاهاك وكيث وايتلام ووليم شكسبير الكاتب والمسرحي الشهير والكاتب الروائي تشارلز ديكنز والروائي الروسي الكبير فيدور ديستويفسكي الذي أشار بشيء من التفصيل والتحليل الدقيق والعميق لهذه الظاهرة إلى الخصائص والصفات التي تتسم بها الشخصية

اليهودية من ميل إلى العنف والتحايل والخداع والتعصب والاستغلال والابتزاز والتظلم والتشكي والمتاجرة بالاضطهاد واحتقار من ليس يهوديا، لا فرق في ذلك بين المثقف والمفكر والعلماني والملحد والمؤمن والعامي، محذراً من هذه النزعة المعادية لكل من ليس يهوديا ومن مغبة ما ينتظره العالم، حتى من قبل اليهود المتعلمين على حد قول ديستويفسكي(٤٠).

لقد اعتمدت الصهيونية في إقامة الدولة العبرية على عاملين رئيسيين: هما العنف والرباء أو الخداع، كما يقول الكاتب البريطاني مايكل آدمز.

والحقيقة أن الصهيونية قد اتبعت منذ بداية تسللها إلى فلسطين ومنذ بداية الشروع بتنفيذ مخططها لاحتلال فلسطين، أسلوبين مختلفين في المظهر، لكنهما متفقان ومتطابقان في المضمون والهدف، يخدم كل واحد منهما الآخر ويلتقي معه ويعززه... فبينما كان مؤسسو الحركة الصهيونية وزعماؤها ومفكروها أمثال هرتزل وآحاد عاهام وناحوم غولدمان وحاييم وايزمان وبن غوريون يستخدمون في بداية التسلل إلى فلسطين، أسلوب الخداع والتمويه والتحايل وطمس الحقائق، محاولين إخفاء نوايا الصهيونية في احتلال فلسطين وانتزاعها من أصحابها ويعلنون أمام العرب والرأي العام العالمي، بأن اليهود المهاجرين لا مطمع لهم بفلسطين، وأن مطلبهم لا يتعدى إيجاد ملجأ أو ملاذ لبعض فقراء اليهود وأن وجودهم الرمزي في «أرض الأجداد» يهدف إلى تطوير البلاد والنهوض بها دون المساس أو الإضرار بالمصالح العربية، وأن كل ما يشاع عن رغبة اليهود ونواياهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين، هو مجرد إشاعات وأكاذيب؛ كان فريق آخر من اليهود يعمل بكل الوسائل وضمن مخطط مرسوم مع الحكومة البريطانية لإزاحة الشعب الفلسطيني واغتصاب أرضه وممتلكاته ومحو تاريخه وتراثه الحضاري مستخدمين ضده أبشع أنواع العنف والقسر والتنكيل والإذلال والتهجير لإزاحته وإرغامه على ترك وطنه، تمهيدا لإقامة الدولة اليهودية على أنقاضه.

عندما وضع هرتزل كتابه (الدولة اليهودية) نـصحه صـديقه مـاكس نورداو أن لا يفصح عن نواياه الحقيقية في إقامة الدولة الـصهيونية، كـي لا يثير انتباه العرب، وأن يجد تعبيرا أو مصطلحا ملتبسا وغامضاً يخفـي هـذه النية لكنه يخدم الغرض وقد استجاب لنصيحة صديقه[٤١]؛ بل لخدعتـه، لكـن هرتزل كان يرى: أنه يجب دفع الفلـسطينيين عبـر الحـدود فـي الوقـت المناسب فقد كتب في مذكراته «يجب أن يكون ممكناً دفع الفلـسطينيين عبـر الحدود حين يصبح الوقت مناسبا لقيام الدولة اليهودية»[٤٢].

وحين التقى حاييم وايزمان بالملك فيصل في حزيران عام ١٩١٨ أكـد وايزمان للملك أن الصهيونية لا تنوي إقامة دولة في فلسطين، بل ترغب فقط في تطوير البلاد دون إلحاق أي أذى بالمصالح العربية، وأن كل ما يروج عن نيتها في إقامة دولة مستقلة هو مجرد مغالطة وتضليل[٤٣].

وبينما كان وايزمان يستنكر في العلـن وفـي تـصريحاته، عمليـات الإرهاب التي كانت تقوم بها عصابات الهاجاناه وشـتيرن وآرغـون، ضـد الفلسطينيين لإرغامهم على الرحيل، كانت هذه العمليات تتم بتنسيق وتوجيـه من الحركة الصهيونية التي هو منسقها[٤٤].

حتى أن وايزمان أخفى عن انشتاين العالم اليهـودي المـشهور نوايـا الصهيونية وحقيقة ما تقوم به في فلسطين حين سأله: وماذا سيحل بالعرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود فأجابه: أي عرب تعني؟ إنهـم لا يكـاد يكونـون شيئا![٤٥].

عندما سأل غاندي المفكر الصهيوني مارتـان بـوبير عـن مـصير الفلسطينيين وقال له: إن فلسطين تخص العرب وإن من الظلم واللا إنـسانية فرض السيطرة اليهودية على العرب، أجاب متـسترا علـى حقيقـة نوايـا الصهيونية وعلى ما تقوم به في فلسطين ضد أصحابها: إننا لا نريد انتـزاع ملكياتهم بل العيش معهم.![٤٦].

يقول إيغال آلون معبرا عن هذا الأسلوب المخـــادع: جمعـــت مخـــاتير اليهود الذين لهم صلة مع العرب في مختلف القرى العربية في منطقة الحولـــة وطلبت إليهم أن يسروا في آذان بعض العرب، أن تعزيزات عسكرية يهوديـــة كبيرة قد وصلت إلى الجليل وأنها عازمة على حرق قراهم وعليهم أن يوحوا لهؤلاء كأصدقاء، أن ينجوا بأرواحهم قبل فوات الأوان، ويعقب على خدعتـــه قائلا: «وقد حققت الرسالة أهدافها»[٤٧].

وينقل آدمز صاحب كتاب «ليس للنشر» عن أحد اليهود الروس الـــذين هاجروا إلى فلسطين، أنه رأى صورة مغايرة تماما لما رســـمته الـــصهيونية، وأنه لم يستطع تحمل الخدعة الكبرى وعملية الاحتيال والكذب التي تمارســـها لكسب التأييد والتعاطف معها في الخارج..[٤٨].

بهذه الطريقة القائمة على العنف والعنصرية والخداع وتزييف الحقـــائق وطمسها والمتاجرة باضطهاد اليهود ولعب دور الضحية والتـــذرع بالوعـــد الإلهي والحقوق التاريخية للشعب المختار، قامت الدولة الصهيونية واتـــسعت وتحولت من مزرعة اشتراها المتمول اليهودي موسى مونتغيوري من والـــي سورية سنة ١٨٥٥ بحجة إيجاد ملاذ لبعض فقراء اليهود في فلـــسطين، إلـــى عدد من المستعمرات... ثم تكاثر مئات «الفقراء» من اليهود «المسالمين» إلى مئات الآلاف من المهاجرين المدججين بالمال والسلاح والعنـــف والكراهيـــة والأطماع التوسعية، وتطور مشروع اغتصاب فلسطين واتسع تـــدريجيا مـــن الوعد الإلهي إلى وعد بلفور عام ١٩١٧ إلى قرار التقسيم عـــام ١٩٤٧ إلـــى قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ على معظم الأراضي الفلسطينية ثـــم إلـــى احتلال فلسطين كلها واحتلال قسم واسع من الأراضي العربية فـــي حزيـــران عام ١٩٦٧. هكذا تكشفت حقيقة «الباحث عن ملجأ وملاذ آمن» وهكذا تحول من تمثيل دور الضحية إلى لعب دور المحتل والجلاد!

حيال هذه الظاهرة المفرطة في القسوة التي يشاهدها العالم يوميا ضد بقايا الشعب الفلسطيني والتي تمارس استباحة الضحية وإذلالها واستئصالها والتلذذ بتعذيبها وامتهان كرامتها وإنكار وجودها واحتلال موقعها، دون أي إحساس بالجرم أو الندم أو تأنيب الضمير، يتبادر للذهن سؤال في غاية الأهمية عن مصدر هذا الخزان الهائل من القسوة والعنف وانعدام الحس الإنساني الذي انتشر وشاع في الأدب والفن والفكر والخطاب السياسي والخطاب الديني، وفي الممارسات اليومية الصهيونية.. عن روافده، وبواعثه، ومولداته، وقدرته على الاستمرار، وعن الدوافع والعوامل التي حولت الضحية إلى جلاد، والباحث عن الأمن والكرامة، إلى مفترس يفترس أمن الآخرين وحياتهم؟!

قد يكون من الصعب الإجابة عن سؤال حول ظاهرة بمثل هذا الاتساع والتعقيد، لأن الإجابة عنه تستدعي العودة إلى التاريخ اليهودي وإلى فهم شبكة معقدة من العوامل والمكونات النفسية والروحية والأوهام والترسبات التاريخية والأسطورية، وإلى فهم عقد الاضطهاد والقهر والتشرد والإحساس بالدونية والضعة التي عاشها اليهود من جهة، وعقد الإحساس المرضي بالتفوق والتميز والاصطفاء الإلهي من جهة أخرى، ولا بد في هذا الإطار من فهم البنية الدينية والفكرية والأخلاقية والإيديولوجية اليهودية التي رسخت قناعات الإسرائيليين وتحكمت بسلوكهم؛ فجعلتهم يعتقدون أو يزعمون بأنهم فوق الجميع وأنهم وحدهم الشعب المختار من الله، وأن الله اصطفاهم واستثناهم ومنحهم «أرض الميعاد»؛ بل فوضهم وأطلق يدهم ليس باحتلال فلسطين وحدها؛ بل وأباح لهم بموجب هذا التفويض والاصطفاء والاستثناء دماء الفلسطينيين وأرواحهم.!

هذا ما نحاول الإجابة عنه في الفصل الثاني.

* * *

حواشي ومراجع
الفصل الأول

١ - حرب الثمانين يوما في الشعر الإسرائيلي، خليل السواحري، دار الكرمل ط١ عمان، ١٩٨٥ ص: ٦٣ -٦٤.

٢ - المرجع السابق ص: ١٥–١٦.

٣ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، صالح العياري، دمشق ط١ ١٩٨٨ ص: ١٩٠ -١٩١، عن يدعوت أحرنوت في ١٩٨٢/١٠/٢٢.

٤ - قصة الأسير، س. يزهار، ترجمة محمد عفيفي مطر، مجلة أقلام، عدد حزيران ١٩٧٩، ص: ١٥٨ -١٧٢.

٥ - خربة خزعة، يزهار سميلانسكي، ترجمة توفيق فياض، دار الكلمة للنشر، ط١ بيروت، ١٩٨١.

٦ - مجلة صوت فلسطين، عدد ١٨٩، ١٩٨٣ ص: ٧٠.

٧ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، وليد أبو بكر، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٦ ص: ١١٧ – ١١٨.

٨ - مجلة أقلام، حزيران ١٩٧٩ ص١٤٣ وما بعدها، وصوت فلسطين عدد ١٨٩، ١٩٨٣ ص:٦٩.

٩ - كتاب العربي، في ١٩٨٨/٤/١٥ ص:١٣٦ عن حديث لرابين في مجلة الأزمنة الحديثة الفرنسية، عدد حزيران ١٩٦٧.

١٠ - معالم تاريخ الإنسانية، هـ. ج. ولز، ترجمة عبد العزيز جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١ القاهرة، ١٩٤٧، ص: ٢٤٦ -٢٥٦.

١١ - قصة الحضارة، ول ديورانت. ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية ط ٥، ص: ٣٢١–٣٤٠.

١٢ - معالم تاريخ الإنسانية هـ. ج. ولز مرجع سابق، ص: ٢٥٢ -٢٥٤.

١٣ - حديث مع مستشار النمسا الأسبق كرايسكي ذو الأصل اليهودي لصحيفة معاريف الإسرائيليين بتاريخ ٢٠/ ١٩٧٤/١٢ وحديث للمستشرق الفرنسي اليهودي الأصل أيضا مكسيم رودسن في حديث له مع تلفزيون الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٦.

١٤ - ليس للنشر، مايكل آدامز وكريستوفر ميهيو، ترجمة محمود فلاحة، دمشق، ١٩٨٧، ص: ٩٩ -١٢١.
١٥ - المرجع السابق، ص:٤٦.
١٦ - فلسطين أولا، لوكاس غرولنبرغ، ترجمة محمود فلاحة، دمشق، ١٩٨٢. ص: ٢٠٨.
١٧ - الإرهاب الإسرائيلي، فرانتز شايدل، ترجمة محمد جديد، دمشق ١٩٧١ ص: ١١٨ -١١٩ عن المجلة اليهودية (Jewish Frontier)، شباط ١٩٥٥.
١٨ - المرجع السابق، ص:١٤٧.
١٩ - قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ٣٢٧–٣٤١.
٢٠ - روجيه غارودي، حديث مع مجلة الحوادث اللبنانية بتاريخ ١٩٨٣/٩/١٠.
٢١ - ليس للنشر، مرجع سابق، ص:٢٧٦.
٢٢ -فلسطين أولا، مرجع سابق ص:٩٢.
٢٣ - المرجع السابق، ص:٩٣.
٢٤ - يوميات مناحيم بيغن، ترجمة معين أحمد محمود، بيروت، ١٩٨٣، ص:١٦
٢٥ - احذروا الصهيونية، يوري ايفانوف، موسكو، ١٩٦٩، ص:١٣.
٢٦ - الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، م١ ط١ بيروت، ١٩٧٧، ص:٣٧.
٢٧ - فلسطين أولا، مرجع سابق، ص:١٣١.
٢٨ - روجيه غارودي في حديث مع جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩٨٣/٣/١٥.
٢٩ - الفكرة الصهيونية – النصوص الأساسية، أنيس صائغ، كتب فلسطينية (٢١) بيروت، مركز الأبحاث م. ت. ف. ١٩٧٠، ص:١١٨ -١٢٠.
٣٠ - الأساطير المؤسسة، غارودي ترجمة حافظ الجمالي، صباح الجهيم، دار عطية، ط٢، ١٩٩٦، ص:١٩٧.
٣١ - مجلة شؤون فلسطينية عدد آب ١٩٨١.
٣٢ - نعوم تشومسكي، المحرر العربي، عدد ٣٤٣، ٢٠٠٣، ص: ١٨ -١٩.
٣٣ - مكان تحت الشمس، بنيامين نتنياهو، ترجمة محمد عودة الدويري، دار الجليل، عمان، ١٩٩٥، ص:١٨٦.
٣٤ - الصهيونية والعنصرية، بحث لروجيه غارودي مرجع سابق، ص:٤٠.
٣٥ - المرجع السابق، ص:٤٦.
٣٦ - همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنا، بيروت، ١٩٦٩، ص: ٥، عن حديث لبرميا هويوفال لصحيفة هارتس الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧٢/١١/٦.

٣٧ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، فؤاد زريق دمـــشق، ٢٠٠٠، ص: ١٤٨ - ١٤٩.
٣٨ - كتاب العربي، عبد الوهاب المسيري، نيسان، ١٩٨٨، ص:١٢٨ وما بعدها.
٣٩ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، خالد القشطيني، ص:٢٦.
٤٠ - المسألة اليهودية، ديستويفسكي، السفير، في ١٩٨٢/٣/٧ و١٩٨٢/٣/١٤.
٤١ - ليس للنشر، مرجع سابق، ص: ٢٥٨.
٤٢ - المرجع السابق، ص:٢٦٥.
٤٣ - فلسطين أولا، مرجع سابق، ص:٦١ وليس للنشر، مرجع سابق، ص:٢٥٨.
٤٤ - إسرائيليات، أحمد بهاء الدين، الهلال، عدد ١٦٨، ص:٤٦.
٤٥ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، غارودي، ترجمة إبراهيم كيلانـــي، دمـــشق، ١٩٨٤ ص:٤٤.
٤٦ - غارودي، حديث مع صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩٨٣/٣/١٣.
٤٧ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص:٧٨.
٤٨ - ليس للنشر، مرجع سابق، ص:٢٤٧ -٢٤٨.

* * *

الفصل الثاني
العنف الصهيوني جذوره وروافده

لا شك أن كل من يراقب المشهد الدموي المتواصل في فلسطين المحتلة ويتابع ما تمارسه إسرائيل من استباحة للشخصية الفلسطينية وإذلالها والتلذذ بتعذيبها وامتهان كرامتها في محاولة لاستئصالها وإنكار وجودها واحتلال موقعها، سوف يصاب بالذهول من بشاعة وقسوة ما يرى ويتساءل من أين تتحدر كل هذا العنف وما هي المصادر والروافد، الموالدات والبواعث التي تغذيه وتمده بهذا الزخم الذي لا يتوقف ولا يفتر.

بل من أين جاء هذا المخزون الهائل من القسوة والرغبة في الانتقام وانعدام الحس الإنساني الذي تضخه وتبثه إسرائيل في مناهجها التعليمية، في كتب الأطفال، في الأدب والفن والإعلام كما في الخطاب السياسي والديني والسلوك اليومي للمجتمع الإسرائيلي؟؟

كيف تحولت ضحية الأمس تلك التي تملأ الدنيا صخباً وعويلاً على ما لحق بها من اضطهاد وتنكيل، إلى وحش يفترس أمن الفلسطيني وحياته، مغتصباً وطنه وممتلكاته دون أي إحساس بالجرم أو الندم أو تأنيب الضمير؟؟

لا شك أن الإجابة عن سؤال بمثل هذا الاتساع والتعقيد، ليس أمراً يسيراً، فالإجابة عنه تستدعي معرفة بالتاريخ اليهودي الطويل وفهماً عميقاً لشبكة معقدة من العوامل والمكونات النفسية والفكرية والروحية، كما أنها تتطلب فهم جملة من الترسبات التاريخية والأسطورية وعقد الاضطهاد والإحساس بالدونية والضّعة التي عاشها اليهود من جهة، وإلى فهم عقد الإحساس المرضي بالتفوق والتميز والاصطفاء الإلهي من جهة أخرى. كما

تتطلب في الوقت عينه فهم الإيديولوجية الصهيونية التي رسخت في أذهان الإسرائيليين وقناعاتهم بأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم وبأنهم وحدهم شعب الله المختار وبأن الله استثناهم ومنحهم أرض فلسطين وأطلق يدهم ليس باحتلال فلسطين وحدها، بل باحتلال وامتلاك ما يستطيعون احتلاله وامتلاكه.

إلا أن بإمكان المتتبع للتاريخ اليهودي وللإيديولوجية الصهيونية أن يعزو ظاهرة العنف الإسرائيلي إلى جملة من المصادر والمناشئ والمكونات لعل أبرزها:

١ - التعاليم الدينية والإعتقادية.

٢ - ذاكرة الاضطهاد وعقدة معاداة السامية ونزعة الانتقام.

٣ - العزلة والانغلاق والإحساس المفرط بالتفوق والتميز والاصطفاء.

٤ - الإيديولوجية الصهيونية.

١ - التعاليم الدينية والاعتقادية:

من المعروف أن التوراة والتلمود هما المصدران الرئيسيان للعقيدة اليهودية وأن هذين المصدرين فضلا عن كونهما مصدر العقيدة والتشريع اليهوديين، فإن لهما الدور الأساسي في تشكيل البنية الفكرية والسلوكية للشعب اليهودي. ويمكن القول بأنهما المصدران الأساسيان اللذان يغذيان ويبرران سياسة العنف التي تمارسها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

فلقد اجتزأت الصهيونية من هذين المصدرين ما يخدم نزعتها العدوانية والتوسعية وما يشرّع سياسة العنف والاحتلال مضفياً عليها صبغة القداسة والمشروعية كما في سفري يشوع وعزرا وبعض مقولات وفتاوى التلمود التي كرستها الإيديولوجية الصهيونية في مناهج التعليم وفي الفكر والأدب والخطاب الديني والسياسي، مما حدا ببعض المفكرين الغربيين المتصفين بالنزاهة والشجاعة الفكرية والأخلاقية إلى استنكار وفضح هذا التوجه العدواني العنصري المغلف بغلالة من القداسة والتفويض الإلهي.

يصف الكاتب الهولندي لوكاس غرولنبرغ كتاب «العهد القديم» أو التوراة بأنها تحتوي على أقدم قصص «الإبادة الجماعية» مشيراً إلى عمليات الإبادة الجماعية التي قام بها يشوع بن نون وشاؤول بأمر من «الرب» ضد شعوب هذه المنطقة، ملمحاً إلى أوجه التشابه بين أحداث ذلك الماضي البعيد وبين الممارسات العنصرية التي تقوم بها إسرائيل اليوم ضد الشعب الفلسطيني.

في هذا السياق يشير غرولنبرغ إلى استفتاء أجراه عالم النفس الإسرائيلي جورج تامارين بين طلاب المدارس الإسرائيلية لمعرفة تأثير بعض أسفار التوراة التي أدخلتها وزارة التعليم الإسرائيلية في مناهج التعليم الإجباري، على مفاهيم الطلبة وبخاصة سفر يشوع بن نون، فأظهرت نتيجة الاستفتاء، أن غالبية أطفال إسرائيل يعتقدون أن على الجيش الإسرائيلي أن يتعامل مع العرب بالطريقة نفسها التي تعامل بها يشوع مع الكنعانيين[١] أي أن على الجيش الإسرائيلي أن يستخدم أسلوب الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين.

ويقول الكاتب الألماني فرانتز شايدل: «إن الإسرائيليين يخوضون ضد الفلسطينيين حرباً تقوم على مبدأ الإبادة الجماعية المعروفة في العهد القديم»[٢].

ويرى ول ديورانت: «أن الإسرائيليين استولوا على فلسطين بالطريقة نفسها التي اتبعها يشوع بن نون، الذي كان يرى أن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى». وفي هذا المعرض يشير إلى تأثر يهود اليوم بهذه الطريقة وبالإله يهوه الذي كان يأمر شعبه بأن يذبحوا أمماً بأكملها راضياً مسروراً[٣].

أما المفكر الفرنسي روجيه غارودي فيرى: «أن مناحيم بيغن قد احتل لبنان عام ١٩٨٢ بإشارة من التوراة التي تبيح، بل تحض على امتلاك أراضي الشعوب الأخرى بالقوة والعنف»[٤].

ويتعرض عالم النفس الإسرائيلي جورج تامرين في كتابه «المعضلة الإسرائيلية» - الذي كان سبباً في إقصائه عن جامعة تل أبيب - إلى ظاهرة

العنف والتسلط التي تتسم بها الشخصية الإسرائيلية فيعيدها إلى المسلمات التي تبنتها وأخذت بها الصهيونية فجعلت منها شخصية عدوانية وتسلطية ومتعصبة ومنغلقة(٥).

ولسنا نشك بأن كثيراً من هذه المسلمات التي تبنتها الحركة الصهيونية وقامت بتنفيذها، قد تحدرت إليها من بعض الأسفار ومن بعض التعاليم الدينية اليهودية التي تحض على العنصرية والعنف والانغلاق وكراهية المختلف وتؤكد على التمايز والتفوق والاصطفاء. فمقولة شعب الله المختار كافية لتخلق هذا الإحساس العنصري المتعالي وهذه النظرة المزدرية لبقية الشعوب والأديان، وإن أية مقارنة بين ما تمارسه إسرائيل اليوم ضد الشعب الفلسطيني، وبين ما ورد في بعض أسفار التوراة والتلمود، من حض على العنف، ومن تسويغ وإباحة لحياة وممتلكات من ليس بيهودي؛ تؤكد صحة ما ذهب إليه هؤلاء المفكرون، كما تكشف مدى التطابق بين مسلمات الصهيونية وممارساتها ضد الشعب الفلسطيني وبين مسلمات وممارسات يهود الماضي البعيد، وكيف يواصل الإسرائيليون المعاصرون نهج اليهود القدماء، وكيف يعيدون ولادة الماضي واستنساخه وتبني مقولاته حتى كأنهم يصرون على العيش في ماض مستمر. كما تكشف هذه المقارنة مدى تأثير المقولات والتعاليم الدينية في تشكيل بنية الفكر الصهيوني وفي استنساخ شخصية يهودية عنصرية استباحية معاصرة، لا تختلف في شيء عما نقرأه في بعض أسفار التوراة وشرائع التلمود!

ولإيضاح هذا التماثل أو التطابق، سوف نجري مقارنة سريعة، بين بعض ما ورد في التوراة والتلمود من مقولات وتعاليم وسير وأحداث، وبين مقولات وممارسات مؤسسي الحركة الصهيونية وقادة إسرائيل، مؤكدين منذ البداية، على أن كتاب التوراة ليس كله كتاب عنف وقسوة وعنصرية ودعوة إلى الكراهية أو استباحة حياة الآخر وممتلكاته؛ بل فيه كما في بقية الكتب

السماوية والإصلاحية الأخرى قيماً أخلاقية وإنسانية سامية، ومثلاً عليا، ونفوراً من الظلم والكراهية والعدوان، تجاهلها الإسرائيليون الجدد، وأخذوا بأكثر ما في التعاليم اليهودية من بدائية وقسوة وعنف وعنصرية!.

في سفر تثنية الاشتراع يقول «الرب يهوه» لموسى وأتباعه: «إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها، استأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك، الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانين والفَرزِّيين والحُوريين واليبوسيين.. فأبسلهم إبسالاً - أي اقتلهم - لا تقطع معهم عهداً أو تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم»[٦]. ويخاطبه مرة أخرى قائلا: «هلمّ فاصعد من ههنا أنت والشعب الذي أخرجته من أرض مصر إلى الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها، وأنا أسير أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والآموريين والحثيين والفَرزِّيين والحُوريين واليبوسيين»[٧]!

فالرب يهوه يأمر شعبه باستئصال هذه الشعوب جميعاً، دون أن نعرف سبباً أو مبرراً أو مسوغاً لهذا الغضب الإلهي، أو موجباً لسياسة الاستئصال هذه؛ وتكليف نبيه وشعبه بهذه المهمة الإلهية الدموية «المقدسة» ضد شعوب وأمم بأكملها!

وبالمقابل لم تذكر التوراة، ولم نعرف سبباً موجباً أو مقنعاً لهذا التفضيل والاصطفاء والإيثار للشعب المختار!! ولماذا فضله الرب على البشر جميعاً، رغم تمرده على موسى وعصيانه لتعاليمه؛ بل وقتله؛ فتارة يعبد بعل وعشتار وتموز، وتارة يعبد العجل، وتارة تصفه التوراة بقساة الرقاب أو صلاب الوجوه؛ بل إن من يقرأ نبوؤة أشعيا وإرميا وحزقيال ويطلع على سلسلة الفواحش والخيانات التي ارتكبها بنو إسرائيل؛ لا يجد ما يبرر هذا الاصطفاء وهذا التفضيل...

كذلك فإن سيَر بعض أنبياء وملوك بني إسرائيل -كما وردت في التوراة - لا تبرر هذا الاصطفاء؛ فسيرة إبراهيم كما أوردتها التوراة لا تبعث على الاحترام في النفوس، فقد لجأ إبراهيم إلى الخداع والى التفريط بسمعته حين قدم زوجته الشابة الجميلة سارة إلى الفرعون على أنها أخته، في سبيل كسب رضاه وعطاياه ... وقد فعل ذلك مرة أخرى مع ملك جرار، وكان الفرعون وملك جرار أكثر خشية لله من نبيه عندما أعادا الزوجة الشابة إلى زوجها بعد اكتشاف الخديعة.. والغريب في هذا، أن الله غضب على الفرعون وعلى ملك جرار بسبب ذلك، ولم يغضب على إبراهيم!

أما إسحق فقد بارك الخديعة وتغاضى عنها عندما بارك ابنه يعقوب، بدلاً من عيسو ابنه الأكبر، وعندما اكتشف خديعة زوجته وابنه يعقوب، أقرها وكافأ المخادع ببركته وتسويده على أخيه، ثم حرم الضحية من بركته. أما داؤود الذي كان لديه تسع وتسعون امرأة؛ فقد اغتصب زوجة قائد جيشه أوريا وضمها لنسائه ولم يكتف بذلك؛ بل تخلص من الزوج حين دفعه إلى معركة يعرف أنه سيقتل فيها كي تخلو له زوجته الجميلة!!

وقد ورد في سفر حزقيال ١٩/٢٣ -٢٠: أن الرب غضب على امرأة يهودية عاشرت أحد المصريين الذين «لحمهم كلحم الحمير ومنيُّهم كمني الخيل»... ويتضح من هذا القول التوراتي أن الرب غضب على هذه المرأة، ليس بسبب الزنى؛ بل لأنها عاشرت من يعتبرهم - هذا الرب - من فصيلة الحيوانات!!

بعد وفاة موسى أو مقتله، كلّم الرب يشوع بن نون طالباً منه أن يكمل المهمة «المقدسة» في استئصال شعوب تلك المنطقة، فلبى نداء «الرب» وصعد هو ورجاله إلى أريحا فأبسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف(٨)، ثم انتقل يشوع ليفعل الفعل نفسه في بقية المدن وسكانها «العَيّ وَمَقَيدّه وحاصور وعاي ولبنه

ولاكيش وعجلون وجيرون ودبير.. فأبادها وضرب جميع سكان أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وجميع ملوكها، ولم يبق باقياً، كما أمر الرب إلـه إسرائيل!! وكان يهوه قد أمر موسى من قبل بقتل المديانيين وحـرق مـدنهم، ولما عاد أبناء إسرائيل غضب موسى وقال لهم هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا[٩]!!

لو أجرينا مقارنة بين ذلك الماضي البعيد، وبين ما جرى ويجري فـي المدن والقرى الفلسطينية على يد إسرائيليي اليوم، فماذا نرى؟ وهل نجد فارقاً؟!

أليس هذا ما فعلته وتفعله إسرائيل اليـوم بالمـدن والقـرى والـسكان وبالمستعمرات التي أخلتها مثل يا ميت ومستعمرات غزة والقنيطرة.. ثم ألـم تمشي على خطى يشوع وتأخذ بمبدأ الاستئصال والإبادة الجماعية الذي اتبعه، حين دمرت وأبادت سكان بلدة دير ياسين ومئات البلدات والقرى الفلـسطينية ثم محت آثارها، لتقيم مستعمراتها ومدنها على أنقاضها؟!.

أليست تعاليم الرب «يهوه» وأوامره وقسوة يشوع وولعه بسفك دمـاء الأطفال والنساء والشيوخ واستباحة دم شعوب الأرض، هي التي تُنفّذ اليـوم على أرض الواقع، وهي التي نقرؤها ونسمع أصداءها فـي شـعر عـشرات الشعراء الإسرائيليين المعاصرين والتي تسربت إليهم مـن شـقوق التـاريخ اليهودي القديم، فصبغت شعرهم وذاكرتهم بلون الكراهية والبغضاء والجريمة؟!

يقول الشاعر الصهيوني أبشلوم كور متباهياً بالجريمة وسـفك دمـاء الأطفال والنساء والشيوخ!!

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ[١٠]

ويقول الشاعر يوناثان غيفن:

عليك أن تكون المبادر إلى القتل

حتى تعود وتقص على والدتك

أشياء جملية عن الدماء، عن الدمار، عن القتل(١١)

وتقول الشاعرة الصهيونية نعمى شيمر، محرضة الأطفال الإسرائيليين على القتل وعلى إتقان الجريمة:

لو أنهم تلاميذ مجتهدون

لكانوا استخدموا الدبابة من مسافة قريبة

ودمروا البيوت والشوارع

ولم يتركوا أحداً(١٢)...

هل نستطيع ونحن نقرأ هذه الأناشيد الدموية المشبعة بروح الجريمة والمتعطشة للدماء، إلا أن نتساءل هل هذا شعر، وهل هؤلاء شعراء حقاً، أم هم جلادون أم جنود قادمون إلينا من جيش يشوع تحدروا إلى هذا العصر من غابات التاريخ الهمجي؟!

هذه بعض أصداء وانعكاسات ما ورد في بعض أسفار العهد القديم في الشعر الإسرائيلي المعاصر، أما أصداؤها وانعكاساتها في الفكر والسياسة والتعاليم الدينية فلم تكن أقل حدة وقسوة وعنصرية ورغبة في استباحة الآخر واستئصاله وأخذ موقعه، تارة بحجة الوعد الإلهي وتارة بحجة الاصطفاء والحقوق التاريخية وتارة أخرى بحجة تخليص الأراضي المقدسة من دنس الأغيار، إلى آخر هذه السلسلة من التحايل والأكاذيب..

فما هي أصداء وانعكاسات التعاليم الدينية اليهودية في فكر وممارسات الحركة الصهيونية وزعماء إسرائيل؟

جاء في سفر التكوين: «إن الرب» قد قطع مع إبراهيم ميثاقاً يقول: «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات»(١٣).

لقد أعطى الرب، إبراهيم أرض الآخرين، أما موسى فقد منحه هذا الرب أرضهم وأرواحهم..!

وفي سفر تثنية يخاطب الرب، موسى قائلا: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً، فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً، كما أمرك الرب»، أي تبيدها!

ألا يحق لمن يقرأ هذه الوصايا «الإلهية» أن يتساءل مذهولاً عن هذا الرب الذي لا تتسع رحمته إلا لبني إسرائيل ولا تمنح عطاياه إلا لهم؟! بل إن هذا الرب يفوضهم ويطلق أيديهم بامتلاك كل موضع يمكنهم الوصول إليه ويمنحهم أرواح جميع «شعوب الأرض» كل موضع تطؤه أخامص أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان ومن النهر، نهر الفرات إلى البحر الأقصى يكون «تخمكم» ويخاطب موسى قائلاً: فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو يعبر أمامك كنار آكلة هو يقرضهم وهو يذلهم أمام وجهك فتطردهم وتبيدهم سريعاً كما كلمك الرب(١٤).

وفي سفر يشوع، يوصي الرب يشوع بمزيد من الاحتلال والقتل؛ فيستجيب ويقوم بالمهمة الدموية على أكمل وجه، فيُبسل الجميع من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف(١٥).

وعندما شاخ يشوع وطعن في السن وعجز عن متابعة مهمة الإبادة الجماعية واستكمالها ضد شعوب المنطقة، أحاله «الرب» إلى التقاعد ووعده بأنه سيقوم هو باستكمال هذه المهمة «المقدسة» بدلا عنه، يقول له: «إنك شخت وطعنت في السن وقد بقيت أراض للامتلاك كثيرة جداً وهذه هي الأرض الباقية، كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الحشوريين من الشيحور الجاري في مصر إلى تخم عقرون شمالاً وهي للكنعانيين أرض أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزَي والاشدودي والاشقلوني والحثي والعقروني وأرض العديين من الجنوب كل أرض الكنعانيين ومعارة التي للصيدونيين إلى أفيق

إلى تخوم الأموريين وأرض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جيل حرمون إلى مدخل حماه، كل سكان الجبل من لبنان إلى مياه مسرقوت كل الصيد ونيين، سأطردهم من وجه بني إسرائيل وأنت تقسمها بالقرعة ميراثاً لإسرائيل كما أمرتك[١٦].

ثم يجيء صموئيل فيوصي شاؤول قائلاً: اضرب عماليق وأبسل جميع ما لهم ولا تَعفُ عنهم، بل اقتل الرجال والنساء والصبيان والرضع والبقر والإبل والحمير[١٧].

وقد حذا داؤود وسليمان حذو يشوع وشاؤول حسب ما ورد في العهد القديم في إبادة الخصوم إبادة تامة، فقد قتل سليمان جميع منافسيه على الحكم ليستريح من متاعبهم مما حدا بوول ديورانت للقول ساخراً: رغم هذا القتل فإن يهوه لم يغضب من الملك الشاب فوهبه حكمة لم يهبها لأحد من قبله وبعده[١٨].

إننا إذا ما تمعنا في تلك الأسفار وعلمنا أن هذه الأقوام والشعوب التي يأمر يهوه وتلك الأسفار بإبادتها واغتصاب أراضيها هي جميع الأقوام والشعوب التي كانت تسكن وتمتلك هذه المنطقة، تملَّكنا الرعب والذهول من قسوة هذا الرب وخطورة تلك الروح المسعورة المتعطشة للدماء التي تعلن حرب إبادة جماعية ضد كل من ليس بيهودي، ومن تصاعد نبرة العنف المحذرة من الإبقاء على حياة أحد من أنسال هذه الضحايا التي لا نعرف لها ذنباً ولا نقف على سبب يبرر هذا الغضب «الإلهي» أو يبرر الأوامر «الإلهية» بإبادتها وإفنائها واستئصالها، إلا إذا جاء ذلك إرضاء لأطماع «شعب الله المختار» ونزولاً عند رغباته، والذي لا يرضيه إلا إنجاز هذه المهمة المقدسة انجازاً كاملاً. فإذا ما تحولنا إلى كتاب التلمود الذي يُعدّ كتاب التشريع اليهودي الرئيسي، فسوف نعثر على الروحية نفسها التي صيغت فيها بعض أسفار التوراة والتي تُشرِّع العنف والعنصرية والقسوة وتكرس مزاعم

الاصطفاء والتفوق اليهودي وتحط من شأن «الأغيار» وتحض على استباحة دم من ليس يهودياً واغتصاب ملكيته ونزع الصفة الإنسانية عنه.

ولقد أورد الكاتب الإسرائيلي، إسرائيل شاهاك مقتطفات من هذا الكتاب في كتابه «التاريخ اليهودي» ومما أورده: «أن جميع (الغويم) أي من ليس يهودياً يجب قتلهم، فإذا ما تعذر ذلك فيجب تقديمهم إلى الموت بظروف مخادعة.

ونقل عن كتاب التلمود: «أما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير[١٩]...».

لا نظن أن مثل هذه التشريعات والأحكام بحاجة إلى تعليق، فهي شديدة التحديد والوضوح، تبناها وأخذ بها الإسرائيليون فلقد أجاز الحاخام الإسرائيلي شاؤول وبرر للجنود الإسرائيليين الذين ذبحوا أطفال بلدة قبية الفلسطينية، قائلاً: إن الجنود الذين قاموا بهذه المذبحة إنما كانوا يقتلون أطفالاً وثنيين دعا النبي موسى إلى موتهم حين أمر بقتل الأطفال الميديين بحد السيف.

وقد وصف الحاخام عبيدة هدايا غزو إسرائيل للأراضي العربية عام ١٩٦٧ على أنه تحرير للأراضي المقدسة من سطوة الشيطان[٢٠]!

أما الحاخام أبراهام أفيدام، حاخام القيادة المركزية الإسرائيلية فقد أفتى: «بأنه مصرح بل من الواجب، طبقاً للشريعة قتل المدنيين من «الأغيار» حتى ولو كانوا من الخيرين» وقد اقتبس فتواه هذه من العبارة التالية الواردة في التلمود «ينبغي عليك أن تقتل أفضل الأغيار»[٢١].

هذا بعض ما ورد في أسفار العهد القديم وفي كتاب التلمود: مصدر التشريع اليهودي. فإذا ما تحولنا الآن وأجرينا مقارنة بين سير ومقولات بعض قدماء اليهود وبين مقولات وممارسات السياسيين والمفكرين الإسرائيليين المعاصرين على أرض الواقع ضد الشعب الفلسطيني؛ بين ذلك الماضي الدموي المثقل بالأحقاد والقسوة والعنصرية وشهوات الاستئصال والتملك وبين نزعات العنف والقسوة وحب السيطرة والغلبة والاستباحة التي

نشاهد تطبيقاتها اليومية ضد بقايا الشعب الفلسطيني، فإننا لا نكــاد نجــد أي فارق، حتى لكأن تاريخ هؤلاء يعيد ولادة نفسه ويكـــرر أحداثـــه ومقولاتـــه وملامحه وممارساته، وكأنهم جميعاً يصوغون إلهاً خاصاً بهم وعلى شاكلتهم، إلهاً شديد البطش والقسوة والانتقام، سريع الغضب، حاقداً لا يعرف الرحمـــة ولا يمنح عطاياه ورحمته إلا للشعب اليهودي!

يقول مناحيم بيغن: «يجب أن نحـــارب وأن نكمـــل قتالنـــا. إن بلادنـــا «فلسطين» المعطاة لنا من الرب هي وحدة لا تتجزأ، ويقول: علينا أن نكـــره ونحارب»[٢٢]. ويقول: «لولا انتصارنا في دير ياسين ما كانت لتقـــوم دولـــة إسرائيل»[٢٣]، ومعلوم أن هذه المذبحة التي يسميها انتصاراً، قد تمت بقيادتـــه وتم فيها ذبح جميع سكان بلدة دير ياسين غالبيتهم مـــن الأطفـــال والـــشيوخ والنساء. ويطلب من الجنود الإسرائيليين عـــام ١٩٥٨ ألا يكونـــوا رؤوفـــين عندما يقتلون عدوهم العربي، ثم يحضهم قائلاً: عليكم ألاَّ تشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا[٢٤].

وتقول غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل سابقاً، في حديث لـــصحيفة اللوموند الفرنسية في ١٩٧١/١٠/١٥ وُجِدَ هذا البلد كإنجاز بوعد صدر عـــن الرب بالذات ومن السخف أن نطالب بتقديم حساب عن شرعيته[٢٥].

يقول موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق: إذا كنا نملك التوراة وإذا ما اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة، وجب علينا امتلاك الأراضي التوراتيـــة، أراضي القضاة والآباء أرض القدس والخليل وأريحا وغيرها من الأماكن[٢٦].

وعندما سأله مراسل اللوموند الفرنسية في ١٩٦٩/٧/٩ عـــن الحـــدود المحتملة لإسرائيل بعد احتلالها سيناء والجولان والضفة والقطاع في حـــرب ١٩٦٧ أجابه: «إن عملية توسيع الحدود تجري باستمرار، ونقل غارودي عنه قوله: إنه يجب إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وإعادة بنـــاء مملكة داؤود[٢٧].

وقد مر معنا أن بن غوريون أول رئيس لوزراء إسرائيل قد أمر بإدخال سفر يشوع الذي يحض على إبادة (الأغيار) في مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية.

أما هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ومنظرها والذي وعد الغرب بأنه سيقيم في فلسطين أحد حصون أوروبا ضد آسيا يكون قلعة للحضارة ضد البربرية المشرقية(٢٨)، فقد أسس في فلسطين لدولة عنصرية مغتصبة قائمة على العنف والكراهية واستباحة حياة العرب واغتصاب ممتلكاتهم، وشَرَّع للحركة الصهيونية استخدام أسلوب الإبادة الجماعية الذي استخدمه يشوع ضد الفلسطينيين والكنعانيين عندما نصح بتأليف حملة صيد كبيرة ضدهم وإلقاء القنابل المميتة عليهم جميعاً وعدم قتلهم فرادى(٢٩).

وكأن شيئاً لم يتغير في البنية الفكرية والأخلاقية لهذا الصهيوني العلماني المتحضر بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام!

إنه عنف عنصري بدائي مفتوح لا يقف أصحابه عند حد... وأطماع مفتوحة لا حدود لها؛ أطماع واستهتار بإنسانية البشر وعنف وعنصرية لا يحتاج الباحث أن يكشف الغطاء عنها وعن مضامينها وأهدافها، لشدة وضوحها وحضورها على أرض الواقع، وضوح يعفينا من عناء المقارنة بين مقولات وممارسات وسيرة الإسرائيليين القدماء وبين ممارسات ومقولات الإسرائيليين البدائيين الجدد لاكتشاف مدى التطابق والتماثل بينها.

المستغرب في أطماع مؤسسي الحركة الصهيونية وفي عنفهم، أنهم يُلبسون أطماعهم رداء القداسة ويمارسون عنفهم الوحشي باسم الرب وبتفويض منه، وإنهم ينادون ويعملون على تحقيق أسطورة «الوعد الإلهي» وإقامة إسرائيل الكبرى على «أرض الميعاد» رغم أنهم من العلمانيين الملحدين، الأمر الذي أثار سخرية غارودي بقوله: إنهم يطالبون بأرض منحها لهم رب لا يؤمنون بوجوده(٣٠).

أما إذا كنا نلاحظ اليوم خفوتاً لهذه المقولات أو تغليفاً مخادعـــاً يخفــف من حدتها؛ فإن مرد ذلك إلى النكسات التي لحقت بأصحاب الحلم الــصهيوني بعد حرب تشرين وبعد الهزيمة المذلة التي ألحقها بهم حزب الله فـــي جنـــوب لبنان وبعد عجزهم عن إخماد انتفاضة بقايا الشعب الفلسطيني فأخذ الحلم فـــي التوسع الجغرافي وفي احتلال الأراضي الممتدة من النيل إلى الفرات يتقهقـــر ليأخذ منحى آخر يتمثل في حلم السيطرة والتوسع الاقتصادي والاحتلال غيـــر المباشر وممارسة العنف المقنع والهيمنة على العقول والإرادة.

٢ - ذاكرة الاضطهاد وعقدة معاداة اليهود أو معاداة السامية ونزعـــة الانتقام:

يقول الشاعر الصهيوني اسحق بولاق عن نزعـــة الثـــأر مستحـــضراً عذابات اليهود، وداعياً إلى الانتقام:

تصفية الحسابات في ظني

بدأت فيما بين النهرين

هناك ألقى الربُّ إبراهيم المهزوم إلى نيران الأتون

ومنذ دُمرت أوثان عمورة وسدوم

أبناؤه وبانتظام تحت شعار لا تقتل

يُقتلون..

ليحيا نبذ السلبية

كلماتي..لتكن كلماتي فيالقَ

أشواكاً..

لتسقط أركان عالم منحط

بزئير جبار..(٣١)

طوال التاريخ البشري، لم يسلم شعب أو أمة من اعتداء الأمم أو الشعوب المجاورة لها أو البعيدة عنها، ولم تنج أمة من حملات الغزو وما يرافقها من قتل وتنكيل وإذلال، انسحب هذا على الشعوب والأمم القوية المتحضرة وعلى الأمم والشعوب الضعيفة والمتخلفة، ولم تحل دون ذلك تعاليم السماء ولا أقوال الحكماء ولا دعاة حقوق الإنسان، ولم يستثنى من هذا القانون البشري البغيض شعب أو امة. حدث ذلك لليونان والرومان والفرس والعرب وأصحاب الممالك والإمبراطوريات القديمة، كما حدث للإمبراطوريات والدول الحديثة، ولعل الحربين العالميتين الأولى والثانية، هما أقرب وأصدق شاهد على هذه الحقيقية التاريخية وأقساها وقعاً؛ فقد ذهب ضحيتهما ما يقرب من مئة مليون قتيل، فضلاً عما جرتاه من دماء وويلات وعذابات لا حدود لها، أصابت البريء والمدان على حد سواء، لكن ما أن توقف القتال ومسحت الشعوب جراحاتها، حتى بدأت لغة الحياة ولغة التفاهم والتصالح تحل محل لغة الحرب والكراهية وحتى تغلب منطق التسامح على منطق الحقد والضغينة ونزعة الثأر والانتقام، وحتى بدأ النسيان يسدل أستاره على مشاهد الحرب والدمار وعلى تركاتها وذكرياتها المؤلمة؛ بل لم تمض سنوات قصيرة حتى تلاقت الشعوب والدول المتقاتلة وطوت صفحة الماضي وبدأت تفكر في السير على طريق التلاقي والتعايش والتنسيق والاتحاد كما نشاهد اليوم في أوروبا التي كانت ساحة هاتين الحربين البغيضتين وكما نرى على الساحة اليابانية التي طوت ذكريات القنابل الذرية الأمريكية على بعض مدنها وسكانها الآمنين وغدت اليابان أقرب حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية.

أما الاستثناء في هذه الظاهرة التي انسحبت على مختلف الأمم والشعوب فهو إسرائيل والذاكرة الصهيونية التي ما زالت تحتفظ بذكريات الاضطهاد والرغبة في الثأر والانتقام ليس فقط من الشعوب التي اضطهدت اليهود في الماضي البعيد؛ بل ضد شعوب احتضنتهم وتعاملت معهم بكثير من

التسامح والانفتاح كالشعب العربي الذي يعترف أبا إيبان الوزير الإسرائيلي سابقا في كتابه (قصة اليهود) «بأن اليهود لم يعرفوا درجة من الازدهار وتحقيق الذات إلا مرتين، مرة في الولايات المتحدة، ومرة في الأندلس الإسلامية، أي في ظل العرب»(٣٢).

والمفارقة في مقولة الاضطهاد التاريخي لليهود الذي تملأ به الصهيونيةُ آذانَ العالم صخباً وشكاة ونواحاً وترفعه في وجهه سلاحاً ووسيلة للضغط والمتاجرة والابتزاز واستدرار العطف وتبرير العنف؛ أن قادة إسرائيل ومؤسسي الحركة الصهيونية يجاهرون بخوفهم من زوال هذا الاضطهاد، بل يعتبرون زواله أكبر خطر يتهدد اليهود، بل يعتبرونه ضرورة من ضرورات الوجود والحفاظ على الهوية اليهودية، وشرطاً من شروط وحدة اليهود وتماسكهم ووسيلة فعالة في خدمة المشروع التوسعي الصهيوني!!

أكد هذا ناحوم غولدمان الرئيس مدى الحياة للمؤتمر اليهودي في قوله: «إن تحررنا قد يصبح متطابقاً مع زوالنا»(٣٣). أكده في حديث مع مجلة دير شبيغل الألمانية عندما سئل عما إذا كان الشعب اليهودي ما زال يتعرض للخطر، فأجاب: نعم، إن هذا الوجود لم يكن في أي وقت مهدداً كما هو الآن لأن اليهود لم يعودوا يتعرضون للاضطهاد كما كانوا في العصور الماضية!!(٣٤).

وقد اعترف ديفيد كرافت أحد منظري الإعلام الصهيوني، في مقال نشرته الجيروزليم بوست الأسبوعية في ١٩٧٠/٤/٢١ بأهمية عامل الاضطهاد في العقيدة الصهيونية وأهمية توظيفه في خدمة الأهداف الصهيونية وفي قيام إسرائيل فقال:

«إن حجر الزاوية في وسائل إعلامنا قبل تأسيس الدولة كان «الهلوكوست» أما بعد تأسيس الدولة، فقد أصبح حجر الزاوية في إعلامنا، هو الكفاح البطولي من أجل العيش».

ومثلما تعتبر الصهيونية استمرار اضطهاد اليهود ضرورة لخدمة المشروع الصهيوني؛ فإنها تعتبر الاندماج خطراً يهدد هذا المشروع كما يهدد مزاعم الصفاء العرقي ومزاعم التفوق اليهودي ويخفف من نزعة الثأر والانتقام التي تتغذى من روافد العنصرية وذكريات الاضطهاد ومزاعم التفوق. مما جعل مؤسسي الحركة الصهيونية ومنظريها يحذرون من خطورة الاختلاط بالشعوب الأخرى، لاعتقادهم بأن الاختلاط بالشعوب الأخرى أو الاندماج بها، يزيل خصوصية الشعب اليهودي «الفريدة» ويدنس دمه ويجهض المشروع الصهيوني التوسعي وحلم إسرائيل الكبرى، ويخمد حدة العنف والكراهية ونزعة الثأر في نفوس اليهود التي يتوقف على استمرار حدتها مستقبل هذا المشروع.

بل إن هذا الخوف دفع بأحد مؤسسي الدولة الصهيونية إلى التباري في استعادة واجترار ذكريات الماضي البعيد المؤلم وذكريات الشتات والاضطهاد، والبكاء على الأطلال والتشبث بذاكرة الكراهية والانتقام والحرص على إبقاء هذه المشاعر حية في أذهان الأجيال.

يستحضر بن غوريون في مذكراته التي كتبها عام ١٩٤٨ مآسي الماضي البعيد، ويؤكد على النوايا الإسرائيلية في زعزعة المنطقة العربية والهيمنة عليها وضربها بالقنابل انتقاماً لأجداده القدماء، من أحفاد المصريين والآشوريين والبابليين الذين تفصلهم عن ذلك الماضي آلاف السنين، ثم ينتهي للقول: «بذلك نكون قد انتقمنا لأجدادنا من مصر وآشور وبابل»[٣٥].

بل إن نزعة الحقد والثأر هذه، بلغت عند بعض قادة الحركة الصهيونية حد الهوس والجنون؛ فقد عبر بعضهم عن تصميم الصهيونية على تحطيم ألمانيا وإبادة الشعب الألماني إبادة كاملة، انتقاماً من النازية وثاراً للهولوكوست.

يقول «تيودور كوفمان» اليهودي الأصل في كتابه «ألمانيا يجب أن تموت»: «لا يستحق الألمان سواء كانوا معادين للنازية أم شيوعيين أم حتى محبين للسامية، أن يعيشوا؛ بل يجب تعقيمهم حتى يَمَّحي الشعب الألماني كلياً بعد ستين عاماً»(٣٦).

ويقول الزعيم الصهيوني جابوتنسكي: «مصالحنا اليهودية تقتضي الإبادة النهائية لألمانيا، فالشعب الألماني يشكل في كليته خطراً علينا»(٣٧).

وقد بلغ جنون التعصب وهستيريا الكراهية ضد الشعب الألماني رفض سماع اللغة الألمانية، فقد احتج عدد من النواب الإسرائيليين على الكلمة التي ألقاها الرئيس الألماني «هورست كوهلر» في الكنيست بمناسبة الذكرى الأربعين للعلاقات بين البلدين، وقاطعوها بحجة أنهم يرفضون سماع اللغة الألمانية قائلين: «سيكون من المستحيل الاستماع إلى هذه اللغة داخل جدران برلمان الشعب اليهودي»(٣٨).

وقد عبر أحد الباحثين عن هستيريا الكراهية ونزعة الثأر والانتقام هذه بقوله: «لقد أيقظت الصهيونية في هؤلاء اليهود المجانين أخطر الغرائز وجعلت من اليهود الذين أصيبوا بها مجرد حيوانات..» ويصفهم قائلاً: «فاليهود الذين يعتبر أكثرهم من ذوي الدم الساخن، يتحولون حين يكونون في جنونهم القومي إلى مخلوقات غريزية بحتة، ويتبلد حسهم تجاه أكبر الجرائم طالما أنها لا ترتكب إلا لمصلحة الصهيونية»(٣٩).

٣ - العزلة والانغلاق والإحساس المَرَضي بالتفوق والاصطفاء:

تَعتبر الحركة الصهيونية أن أشد أعدائها خطراً، يتمثل في أمرين رئيسيين:

الأول، خطر زوال الاضطهاد وتوقف العداء ضد اليهود، أو ما تسميه العداء للسامية.

أما **الثاني**، فهو الاختلاط والاندماج مع بقية الشعوب وهدم جدران العزلة والانغلاق التي يتحصن اليهود خلفها.

وإن من بين المفارقات هنا، أن الإسرائيليين الذين يتشبثون بعزلتهم وانغلاقهم ورفض الاندماج يجأرون بالشكوى من هذه العزلة التي ارتضوها وفرضوها على أنفسهم. يقول بن غوريون: «إن إسرائيل ليس لها في العالم غير حليف واحد وفيّ هو الشعب اليهودي وإن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا أقارب لها سواء من ناحية الدين أو اللغة أو الأصل، إننا شعب يعيش في هذا العالم بمفرده». (كتاب الهلال عدد ١٦٨ ص٥٢)، ولا يخفى ما في هذا الخطاب من نفاق وابتزاز ومغالطة!!

لقد حذر قادة الحركة الصهيونية ومنظروها من هذين الخطرين، خطر زوال الاضطهاد وخطر الاندماج واعتبروا أن زوال الاضطهاد أو ما يسمونه بالعداء للسامية، يهدم جدران العزلة والحصار الطوعي التي أقامها اليهود حول أنفسهم وتحصنوا خلفها طوال آلاف السنين خوفاً من تأثيرات الشعوب والمجتمعات الأخرى التي يعشون وسطها، وبحجة الحفاظ على صفائهم العرقي والروحي وعلى تفردهم وتفوقهم على بقية الشعوب باعتبارهم «شعب الله المختار».

ولعل الأهم من هذه الأسباب والمبررات كلها، أن الصهيونية ترى أن زوال الاضطهاد وهدم جدران العزلة والانغلاق حول اليهود، من شأنه إطفاء مشاعر الحقد والخوف والاحتقانات التاريخية ونزعة الثأر والانتقام في نفوسهم ضد الأغيار، وبالتالي إخماد حوافز ومبررات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإبطال حلم العودة إلى «أرض الميعاد» وإمكانية إقامة إمبراطورية يهودية في الشرق العربي تمتد من النيل إلى الفرات.

وقد عبر قادة الصهيونية ومنظروها عن مخاوفهم من مخاطر الاندماج وزوال الاضطهاد وعملوا بكل الوسائل للاحتفاظ بذكرياته، حيةً في نفوس

الأجيال اليهودية وعلى الاستمرار في تذكر مآسي الماضي وأحقاده ومفاهيمه والعيش خلف أسواره ومقاومة كل محاولات الاختلاط والاندماج. فقد حذر هؤلاء القادة وأدانوا اليهود المندمجين واعتبروا الاندماج بالأغيار مرضاً يشوه الجماعات اليهودية ويفقرها ويهدد الحياة اليهودية واعتبر بعضهم أن تحرر اليهود يعتبر مطابقاً لزوالهم!![٤٠].

وقد حذر الشاعر مناحيم بيالك من مخاطر اندماج اليهود وتوجه باللوم لبعض أبناء شعبه ممن اندمجوا بالشعوب الأخرى وتخلوا عن خصائصهم «السامية» ولوثوا دمهم النقي ومعدنهم الصافي بدم الآخرين القذر وبمعادنهم «الرخيصة»، يقول لهم معاتباً:

أهكذا تندمجون في الأحجار الرخيصة

لقمةً سائغة بين أسنان الشرهين

تتركونهم يأكلون أجسادكم الحية.؟![٤١].

ويحذر شاعر صهيوني آخر اليهود من خطر الخروج من قوقعة العزلة، داعياً اليهود إلى البقاء في معقلهم العنصري وفي قواقعهم يقول في قصيدة نشرتها يديعوت أحرنوت في ١٩٩١/١/١٩ جاء فيها:

في إحدى الأيام رغب الثعلب في لحم السلحفاة

حادثها الماكر:

يا صديقتي، الكون في الخارج

ربيع، أزهار

مطر في الجوار

ومنظر البحر وجبل داؤود...

سمعت السلحفاة تلك النصيحة

خرجت للترويح قليلاً عن نفسها

تستقبل الهواء

استقبلها الثعلب

وصارت في القِدْر..!

لعل الإحساس المفرط بالتفوق والتميز عن بقية الشعوب جعل بعض الكتاب يصف أصحابه بأنهم «مصابون بمرض (المايوبيا) وهو مرض نفسي أشبه بالعقدة التي تستعصي على الشفاء وتخفي وراءها شعوراً عميقا بالتفوق العنصري»[٤٢].

يقول «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية: «أن الشعب اليهودي هو شعب فريد من نوعه لا يسعه الاندماج في بقية الشعوب»[٤٣]. وما دام هذا الشعب فريد لا يسعه الاندماج بسواه، فعلينا نحن العرب أن نتنازل عن فلسطين ليحافظ على فرادته وتميزه وعجزه عن الاندماج.!!

أما «غولدمان» الزعيم الصهيوني البارز فإنه يقدم العلاج ويرى أن الحل الوحيد لحماية الشعب اليهودي والمحافظة على خصائصه «الفريدة» من خطر التحرر والاندماج، هو إقامة دولة يهودية في فلسطين، يقول في ذلك: «إن إقامة دولة يهودية في فلسطين هدفه حفظ الشعب اليهودي من خطر التحرر والاندماج»[٤٤].

وهذا يعني أن لا مكان للشعب الفلسطيني في هذه الدولة، لأن من شأن هذا الوجود أن يهدد هذه الخصائص، وقد عبر عن هذه الرغبة التي تتجاهل وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه ومصيره، عدد من منظري الحركة الصهيونية وقادتها، فقال جوزيف ويتنر المدير السابق للاستيطان في الوكالة اليهودية: «إن لا مكان في بلادنا فلسطين إلا لليهود وإن فلسطين لا تتسع إلا لشعب واحد»[٤٥].

وهذا يعني حتماً، أن لا مكان للشعب الفلسطيني في بلاده وفي أرضه ودياره. أما وايزمان و«إسرائيل زانجويل» فيقرران بأن فلسطين قبل الهجرة اليهودية إليها كانت خالية من السكان، تسهيلاً لعودة الشعب المختار إلى أرضه التاريخية ودفعاً لكل مسؤولية أخلاقية أو قانونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». أما يوران بن بورات فيقرر: «أن ليس هناك من صهيونية ولا استعمار للدولة اليهودية من دون سحق العرب وتملك أراضيهم»(٤٦).

هكذا قررت الحركة الصهيونية أن الحل لمخاطر اندماج اليهود في المجتمعات، هو انتزاع فلسطين من أهلها وإنكار وجود الشعب الفلسطيني. وما دام الشعب اليهودي مهدداً بخطر الاختلاط وبتلوث دمه النقي، وليس بوسعه الاندماج في بقية الشعوب حسب مقولة هرتزل، وما دام الحفاظ على صفاء عرقه يتطلب إقامة دولة يهودية في فلسطين حسب تعبير غولدمان؛ فإن على الشعب الفلسطيني -حسب المنطق الصهيوني- أن يتنحى جانباً وأن يلغي وجوده وأن يتخلى عن وطنه وحقوقه وممتلكاته لتحقيق هذا الهدف وكرمى لنقاء العنصر اليهودي!!

هذه النزعة العنصرية المفرطة في أنانيتها وتعاليها وقسوتها وتجاهلها لحقوق الآخرين ونظرتها اللاإنسانية إلى الشعوب، عبرَّ عنها الكاتب والروائي الروسي الكبير دستويفسكي وتناولها بالتحليل العميق في بحثه (المسألة اليهودية) الذي كتبه عام ١٨٧٧ كاشفاً فيه بعض الخصائص النفسية والسلوكية التي تتصف بها الشخصية اليهودية، من ميل مفرط إلى العزلة والانغلاق والانطواء وتحاشي الاختلاط بالآخرين واحتقار من ليس يهودياً والتعالي عليه وابتزازه واستغلاله وتجاهل حقوقه، وما تتميز به من عنصرية وقسوة مفرطة ومن مبالغة في التشكي والتظلم واتهام الأقوام الذين يعيش اليهود معهم بكراهية اليهود واضطهادهم ومشيراً فيه إلى أن اليهود يعملون أينما وجدوا وحلوًا على إقامة دولة داخل الدولة التي

يعيشون فيها، والى اعتقادهم بأنهم فوق البشر جميعاً، وأنهم وحدهم المفضلون لدى الرب وأن من المباح لهم استغلال الآخرين وإفسادهم وإذلالهم والفتك بهم، يشترك في هذه الصفات المثقفون والمفكرون والعامة والعلمانيون والملحدون والمؤمنون على حد سواء.. وينتهي الكاتب الروسي الكبير إلى تحذير العالم منهم، قائلاً: إنني لا أؤمن حتى باليهود المتعلمين الملحدين، فكلهم سواء والله وحده يعلم ما ينتظر العالم من اليهود المتعلمين(٤٧).

وإذا كنا لا نشارك دستويفسكي في تعميماته هذه فإننا نقول: ألسنا نرى اليوم نبوءة دستويفسكي ومخاوفه قد بدأت تتحقق على الساحة الفلسطينية بل على ساحة الشرق العربي كله؟!

٤ - الأيديولوجية الصهيونية:

يطيب لمؤسسي الحركة الصهيونية الإدعاء بأنها وليدة الحضارة الغربية وامتدادها في قلب المشرق، وبأنها تنتمي وتنتسب إلى هذه الحضارة فكراً وممارسة وإنْ كانت من ناحية أخرى، تدعي أن منابتها وجذورها تضرب في عمق هذا الشرق وأنها تنتمي إليه بل هي جزء من نسيجه. والصحيح أن الحركة الصهيونية قد ولدت وترعرعت في كنف النظام الاستعماري الغربي وحظيت منه بكل أنواع الدعم والحماية والاحتضان واقتبست منه الكثير من مقولاته وأساليب تعامله وتعاطيه، واختارت الوقوف في معسكره ضد حرية الشعوب واستقلالها وسيادتها وفي زعزعة استقرار الدول العربية ودول العالم الثالث ومحاولة الهيمنة عليها، وأن الأيديولوجية الصهيونية هي مزيج من مقولات النظام الاستعماري العنصري وأفكاره ومسلماته ومن المقولات والمفاهيم والتعاليم والمسلمات العنصرية اليهودية المتوارثة.

هذه العلاقة التي تقوم على جملة من القواسم والمصالح والأهداف المشتركة بين النظام الاستعمارية الغربي وبين الحركة الصهيونية والتي مهدت الطريق لإنشاء الدولة العبرية في فلسطين، قد عبر عنها هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية بوضوح شديد حين اعتبر أن الدولة الصهيونية التي ينوي إقامتها في فلسطين، ستكون امتداداً للنظام الغربي الاستعماري في قلب الشرق وسوف تشكل حصناً متقدماً للحضارة الغربية في وجه ما أسماه همجية الشرق الذي يدعي أن جذوره ضاربة فيه.بهذا القول الموجز، يحدد هرتزل موقع الدولة الصهيونية ودورها وأهدافها ويرسم صورتها المسبقة، بل يمكن القول: إنه يحدد مسبقاً أسلوب تعاملها مع محيطها العربي واستراتيجيها وهي نفس إستراتيجية وأساليب الدول الاستعمارية العنصرية القائمة على الخداع والاحتلال والابتزاز والاستغلال ونفس ممارستها القائمة على العنف وقهر الشعوب واستغلالها واغتصاب حقوقها والهيمنة على مقدراتها، والتي تتلاقى كذلك مع القيم والمفاهيم والمسلمات والممارسات العنصرية التي حفظتها الذاكرة اليهودية وحملتها طوال آلاف السنين ضد من تعتبرهم أعداءها.. ثم جاء المفكرون والسياسيون والأدباء ورجال الدين الصهاينة فأعادوا استنساخها وتكريسها في أذهان الأجيال اليهودية بعد أن بدأ يتهددها تأثير وسائل التواصل والتفاعل الحديثة وبعد أن زالت ظاهرة اضطهاد اليهود. يرى هرتزل أن أفضل وسيلة واقصر طريق للتخلص من الشعب الفلسطيني وإقامة الدولة الصهيونية التي وعد بأن تكون امتداداً للحضارة الغربية في قلب المشرق العربي وحصناً متقدماً لها في وجه ما أسماه همجية الشرق، هو إتباع أسلوب الإبادة الجماعية الذي اتبعه يشوع منذ آلاف السنين، لكن بدلاً من استخدام السيف كما فعل يشوع أو استخدام الرمح أو السهام كما كان يفعل الصيادون في أوروبا في العهود القديمة، فإنه يقترح طريقة أكثر «تحضراً» وحسماً، هي قتل الفلسطينيين بإلقاء القنابل المميتة عليهم وقتلهم

بالجملة أو قتلهم بالطريقة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية بحق الزنوج والهنود الحمر[٤٨].

إنها طريقة تكشف بوضوح شديد عن طبيعة الدولة التي ينوي إقامتها في فلسطين وعن طبيعة إيديولوجيتها ومبادئها وقيمها ومسلماتها.. وإذا كان الموت قد حال بين هرتزل وبين قيادة حملة الإبادة الجماعية هذه ضد الشعب الفلسطيني، وتنفيذ طريقته المفضلة في إقامة دولته «المتحضرة» في قلب المشرق العربي «الهمجي»، فإن زعماء الحركة الصهيونية قد قاموا بهذه المهمة ونقلوا الأيديولوجية الصهيونية العنصرية من حيز المقولات والأفكار النظرية، إلى حيز الواقع، فقتلوا وشردوا ملايين الفلسطينيين واستباحوا حياتهم وأرضهم وممتلكاتهم ودمروا مئات القرى والبلدات الفلسطينية ومحوا آثارها محواً كاملاً وأقاموا المدن والمستعمرات الإسرائيلية على أنقاضها ثم توجهوا بعد ذلك ليقولوا للعالم وبضمير مستريح، أين الفلسطينيون الذين يتحدث عنهم العرب، لا يوجد شعب أو شيء بهذا الاسم.؟!

لست أريد الوقوف طويلاً للتدليل على دور هذه الأيديولوجية العنصرية في توليد العنف والكراهية والتسلط ونزعة العدوان في نفوس الإسرائيليين أو للتعريف بها، بل سأترك بعض زعماء الصهيونية وقادة إسرائيل التعريف بها من خلال مقولاتهم النظرية وتصريحاتهم فضلاً عن ممارساتهم التي شهدها العالم ويشهدها يومياً ضد بقايا الشعب الفلسطيني؛ فالصهيونية التي تزعم أنها حركة علمانية ديمقراطية؛ تتبنى في الوقت نفسه المفهوم التوراتي الديني وتحتمي خلفه وترفع شعار «شعب الله المختار» و«الوعد الإلهي» و«أرض الميعاد» وتتبنى المقولات الأسطورية والعنصرية الواردة في العهد القديم وتخرجها من سياقها الديني والتاريخي القديم لتعطيها مفهوماً سياسياً معاصراً هدفه التوسع الاستعماري وتبرير العنف ضد الشعب الفلسطيني. قالت غولدا مائير في حديث لجريدة لوموند الفرنسية في ١٩٧٠/١٠/١٥: «وجد هذا البلد،

إسرائيل، كإنجاز لوعد صدر عن الرب بالذات ومن السخف أن نطالب بتقديم حساب عن شرعيته». إنها تغطي احتلال فلسطين، وتبرر اغتصابها من أصحابها، بحجة وعد إلهي أعطى الله بموجبه إبراهيم وأبناءه من زوجته سارة، «الأرض المقدسة»، منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام مستثنياً ابنه الأكبر إسماعيل جد العرب من هذا الوعد الإلهي. ويتبنى دايان وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق المقولة الدينية التوراتية الأسطورية نفسها، فيقول في حديث له مع صحيفة جيروزاليم بوست في ١٩٦٧/٨/١٠: «إذا كنا نملك التوراة، وإذا ما اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة، وجب علينا امتلاك الأراضي التوراتية، أراضي القضاة والآباء أرض القدس والخليل وأريحا وغيرها من الأماكن وعلى الدول الأجنبية أن تفهم أن سيناء ومرتفعات الجولان ومضيق تيران وجبال غرب الأردن وبغض النظر عن أهميتها الإستراتيجية، هي في قلب التاريخ اليهودي»[٤٩].

فهل هناك من فارق بين هذا الصهيوني الذي عاش في نهاية القرن العشرين وبين شاؤول أو يشوع منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام؟!

يقول بيغن في يومياته: «إن بلادنا المعطاة لنا من الله، هي وحدة لا تتجزأ» وهنا يلتقي العلمانيون الملحدون مع رجال الدين اليهودي في اعتبار فلسطين والأراضي الممتدة من النيل إلى الفرات هي أرض يهودية اعتماداً على «وعد إلهي» لا ذكر له إلا في التوراة، قطعه الله مع إبراهيم، وليتهم يكتفون بانتزاع الأراضي العربية بحجة هذه الذريعة، بل يعتبرون امتلاكها واجب ديني ومهمة مقدسة تهدف إلى تحرير الأرض المقدسة من سطوة الشيطان؛ فالحاخام عبيدة هدايا يصف غزو إسرائيل للأراضي العربية عام ١٩٦٧ «بأنه تحرير للأرض المقدسة من سطوة الشيطان»[٥٠]. فالشيطان هنا هو العربي، وانتزاع أرضه منه بل قتله، هو واجب ديني أمر به موسى

والكتب اليهودية المقدسة.! ويدعي الحاخام الإسرائيلي «شاؤول» وهو يدافع عن الجنود الإسرائيليين الذين قاموا بمذبحة «قبية» أن الجنود كانوا يقتلون أطفالاً وثنيين، دعا إلى موتهم النبي موسى نفسه حينما أمر بقتل الأطفال الميديين بحد السيف(٥١).

ويقول الحاخام أبراهام أفيدام، حاخام القيادة المركزية الإسرائيلية بأنه مسموح للجنود الإسرائيليين، بل من واجبهم طبقاً للشريعة أن يقتلوا المدنيين من الأغيار حتى لو كانوا من الخيرين، مقتبساً من التلمود العبارة التالية: «ينبغي عليك أن تقتل أفضل الأغيار»(٥٢).

العنصرية الصهيونية هنا؛ وممارسة العنف والقتل وحتى قتل الأطفال والأخيار يرتديان الرداء المقدس وينفذان بأمر إلهي وبتفويض منه ويكتسبان منه «المشروعية الأخلاقية»؛ بل إن الصهيونية تبرر ممارساتها العنصرية العدوانية وأطماعها الاستعمارية التوسعية بالاعتماد على مزاعم توارثية وتلمودية وعلى مقولات زائفة وعنصرية، كمزاعم التفوق والاصطفاء والنقاء العرقي ورفض الاندماج ببقية الشعوب الأخرى أو عدم القدرة على الاندماج، ليس فقط بسبب الحفاظ على الهوية أو الخصوصية اليهودية؛ بل لأن بقية الشعوب أدنى قيمة وأقل استعداداً للارتقاء الروحي والفكري والسلوكي من الشعب اليهودي ولأن الاختلاط يفسد الخصائص السامية اليهودية ويدنس طهارة الدم اليهودي ونقاءه.

يقول الحاخام مناحيم شنيؤورسن: «الجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب.. وما يصح على الجسد يصح كذلك على النفس والروح إذ أن أصل أرواح الشعوب هو من طبقات النجاسة بينما أصل أرواح بني إسرائيل من الروح القدس ذاتها»(٥٣). أو كالأخذ بمقولة «شعب الله المختار» وهي مقولة عنصرية تختزن مشاعر التعالي والاحتقار والعدوانية والإصرار على العزلة ورفض التآخي الإنساني مع الآخرين رغم مزاعم وادعاءات الديمقراطية وحقوق الإنسان.. وهي مقولة وصفها المفكر الفرنسي روجيه

غارودي بأنها فكرة إجرامية، ذلك أنها أضفت القداسة على العدوان والتوسع والسيطرة(٥٤).

ويصف منظرو الحركة الصهيونية وأدباؤها، اليهودي، بأنه النموذج المتكامل والمتفوق بفطرته، آخذين بالمقولات التوراتية والأفكار الاستعمارية العنصرية التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين على يد جملة من المفكرين الذين نادوا بتفوق العرق الآري على بقية الشعوب(٥٥).

يرى «موسى هيس» وعدد كبير من الأدباء وعلماء الاجتماع اليهود، أن الجنس اليهودي ليس متفوقاً بذكائه وموهبته وثقافته فحسب؛ بل بجماله الجسدي أيضاً ومتفوق حتى في علاقات الزواج؛ فاليهود وحدهم لديهم الشعور الحقيقي بتغليب الحب الأمومي على الحب الجنسي، والقلب اليهودي وحده يستطيع أن يفسح مجالاً للحب الحميم تجاه العائلة، واليهود وحدهم قادرون على الارتقاء روحياً، على حد قول هيس(٥٦).

ويزعم «غوتين»، أستاذ الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في كتاب له بعنوان: «اليهود والعرب» أن اليهود متفوقون على العرب لأسباب عرقية ولمزايا مخلوقة خلقاً معهم وممتنعة عن العرب بالقضاء والقدر(٥٧).

ويحذر «روبني» من خطر الاندماج أو الانصهار ببقية الشعوب معتبراً أن العنصر اليهودي يفقد طابعه الخاص بالزواج المختلط، وأن الزواج المختلط يشكل في نظره خطراً على صفات العناصر الراقية لليهود، وأن من الضروري منعه للمحافظة على انفصال اليهود(٥٨). أما «كلاكتزن» فيشبه الانصهار بمرض معد تنتقل عدواه إلى الجماعات اليهودية، فيشوهها ويفقرها، وقد أكد ناحوم غولدمان على الانفرادية العنصرية الأزلية لليهود وأن اليهود ينتمون إلى عنصر متميز بحكم تاريخ استمر آلاف السنين، أما من يقول من اليهود بغير ذلك، فقد اتهمه بقلة الأمانة(٥٩).

ويذهب آخرون إلى القول: بأن شعب إسرائيل، هو شعب الرب، وأنه يمثل عنصراً فريداً متميزاً في عائلة الشعوب(٦٠).

ولقد استخدمت الصهيونية ومنظروها، نظرية التفوق العرقي ومزاعم عدم إمكانية اندماج اليهود ببقية الشعوب بفعل هذا التفوق أو التمايز العرقي، فضلاً عن نفي الوجود العربي الفلسطيني بالمعنى الإنساني، وتشويه صورته وإخراجه من التاريخ، ذريعةً من ذرائع احتلال فلسطين ومبرراً لإقامة الدولة العبرية على أنقاض أصحابها، وتطبيقاً لنظرية الاصطفاء العرقي ومقولة البقاء للأصلح!

يدعي هرتزل أنَّ اليهود شعب فريد لا يسعه الاندماج في بقية الشعوب(٦١). وهذا حسب رأيه ورأي منظري الحركة الصهيونية مبرر كاف للاستيلاء على فلسطين وإقامة وطن يهودي يستجيب لرفض الاندماج ويحفظ فرادة الشعب اليهودي لاسيما وأن العربي في نظره ونظر مؤسسي الحركة الصهيونية، مخلوق متخلف جاهل عاجز بفطرته عن التطور، بل هو شرير عدواني شهواني لا يصلح أن يكون أكثر من يد عاملة، حين يصف العرب الفلسطينيين بأنهم دهماء الشرق المختلطة(٦٢).

أما حاييم وايزمان فلا يرى في الشعب الفلسطيني أكثر من بضع مئات من الزنوج يسكنون الوطن اليهودي(٦٣).

ويطلب دايان من الحكومة الإسرائيلية «أن تُخَيِّرَ من بقي من الفلسطينيين على قيد الحياة بين الرحيل وبين أن يواصلوا حياتهم مثل الكلاب في إسرائيل»(٦٤).

ويعتبر يرميا هويوفال رئيس قسم الفلسفة في الجامعة العبرية في القدس، في حديث لصحيفة ها آرتس في ١٩٧٢/١١/٦ أن القول، إنه لا يوجد فلسطينيون، يعني أنه على الرغم من وجودهم يجب اعتبارهم وكأنهم غير موجودين والنظر إليهم أنهم ليسوا من البشر(٦٥). أما اسحق رابين فيصف

العربي بأنه: «لا يقرأ ولا يتعلم ولا يفكر ولا يحلم ولا يتخيل ولا يحارب، حسبه أن يمتلك بعض المال ليصرفه على رغباته الجنسية»[٦٦].

ويدّعي بن غوريون وعدد من الصهاينة أن الطريقة الوحيدة للتعامل مع العرب هي القوة وأن العرب لا يستطيعون الانتقال بمفردهم إلى القرن العشرين[٦٧].

ويزعم الكاتب الإسرائيلي، أ. تسيبورى في كتابه «الكوزاري» أن العرب هم العنصر الغريب عن فلسطين وأنهم لا يستحقون الحياة[٦٨].

ويقول يوران بن بورات: ليس هناك من صهيونية ولا استعمار للدولة اليهودية من دون سحق العرب وتملك أراضيهم[٦٩].

ولا يكتفي بيغن باعتماد أسلوب الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين التي اعتمدها يشوع بن نون ضد الكنعانيين والفلسطينيين، بل يطالب جنوده بالقضاء على الحضارة العربية وبناء الحضارة اليهودية على أنقاضها[٧٠]. ويعترف بأن إسرائيل ما كانت لتقوم لولا إتباع أسلوب الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين وضد سكان بلدة دير ياسين[٧١].

ويحذو الأدباء والشعراء حذو السياسيين كما سنرى لاحقاً في الحض على الكراهية والعنف واعتماد أسلوب القوة ضد الإنسان العربي، ولعل رواية يائيل دايان (طوبى للخائفين) أكبر شاهد على التربية العنصرية وعلى تقديس منطق القوة وتمجيدها في إسرائيل والتي تحوّل الفرد الإسرائيلي إلى وحش مفترس.

لقد أصدر رجال الدين الإسرائيليين فتاوى معتمدة على التوراة وعلى أقوال بعض أنبياء العهد القديم بقتل العرب، فقد أفتى بعض الحاخامات -كما سبق وذكرنا- بذبح الأطفال الفلسطينيين[٧٢]. وأفتى آخر للجنود الإسرائيليين بقتل المدنيين من الأغيار حتى لو كانوا أخياراً[٧٣]. واعتبر حاخام آخر أن احتلال إسرائيل للأراضي العربية عام ١٩٦٧ بأنه تحرير لها من سطوة الشيطان[٧٤].

هذه الفتاوى العنصرية العنفية وما رافقها من ممارسات وحشية ضد الشعب الفلسطيني، حَدَتْ بعدد كبير من المفكرين والباحثين إلى التنديد بسياسة إسرائيل العنصرية التي تحاول أن تستمد مبرراتها ومشروعيتها من بعض أسفار التوراة ومن كتاب التلمود أو من سير بعض أنبياء بني إسرائيل.

فقد شبه ديورانت الطريقة التي اتبعتها الصهيونية في احتلال فلسطين بالطريقة الوحشية التي اتبعها يشوع ضد الكنعانيين وأمر بها «يهوه» شعبه المختار بأن يذبحوا بوحشية أمماً بأكملها(٧٥).

وكشف الكاتب الهولندي لوكاس غرولبترغ عن التشابه والترابط بين أعمال العنف التي تمارسها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وبين ما ورد في بعض أسفار التوراة التي تحتوي على أقدم قصص الإبادة الجماعية(٧٦).

ووصف الكاتب الألماني فرانتز شايدل حرب الإبادة العنصرية التي تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين كما سبق وأشرنا بأنها تقوم على مبدأ الإبادة المعروفة في العهد القديم(٧٧).

وقد نقل عن المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي انتقاده الشديد لسياسة إسرائيل العنصرية ضد الفلسطينيين في محاضرة له في كندا عام ١٩٦١ شبه فيها سياسة إسرائيل ضد العرب في فلسطين بمعاملة النازيين لليهود، ووصف شايدل قسوة الصهاينة الجنونية ضد الفلسطينيين بقوله: «إن الصهاينة القوميين ينتمون، فيما يتصل بالقسوة الوحشية تجاه أعدائهم، إلى أكثر البشر في هذه الأرض قسوة وبربرية فلقد أفسد الصهاينة دولتهم إسرائيل القائمة على السرقة، الصورةَ التي كونها العالم حتى الآن عن اليهود فأيقظت الصهيونية في هؤلاء اليهود المجانين أحط الغرائز وجعلت من اليهود الذين أصيبوا بها مجرد حيوانات»، وانتهى إلى وصف ما فعلته الصهيونية في فلسطين بقوله: «لقد سُرقت بلاد بأسرها، وسُلب شعب بأسره كل ممتلكاته، وأُخرج من

أرضه، ودُفع به خارج البلاد والعالم ساكت فوق ذلك، في أي عالم نعيش»؟!(٧٨).

ووصف المفكر الفرنسي روجيه غارودي غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ بأنه تم بتأشيرة من التوراة، مشيراً إلى ما ورد في التوراة، بأن لبنان جزء من أرض إسرائيل الكبرى(٧٩).

هذا التوجه العنصري للحركة الصهيونية - الممثلة بإسرائيل - وممارساتها العدوانية التوسعية، كان وراء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثلاثين في ١١ تشرين ثاني عام ١٩٧٥ بإدانة الصهيونية وأيديولوجيتها العنصرية واعتبارها شكلاً من أشكال «العنصرية والتمييز العنصري» حتى أن عدداً كبيراً من المفكرين اليهود قد استنكر وأدان عنصرية الحركة الصهيونية وممارساتها العدوانية التوسعية ضد الشعب الفلسطيني وضد العرب بعامة. في مقدمة هؤلاء المفكرين، آحاد عاهام أحد مؤسسي الحركة الصهيونية والعالم الفيزيائي الشهير ألبرت اينشتاين والبروفسور إسرائيل شاهاك وعالم الاجتماع الإسرائيلي جورج تامارين والمفكر وعالم اللغة تشومسكي والمستشرق مكسيم رودنسن والمستشار النمساوي كراسيكي؛ فقد شجب آحاد عاهام المتوفي عام ١٩٢٢ سياسة الصهيونية العنصرية العنفية ضد العرب، حتى قبل أن تتوغل وتتمادى الصهيونية في عمليات القتل والتنكيل والإبادة والتهجير ضد العرب، حين اطلع على سياسة سلب الفلسطينيين حقوقهم وممتلكاتهم وعلى تشويه صورتهم والنظر إليهم باعتبارهم وحوشاً أو حيوانات لا يفهمون ما يجري حولهم.. ونفى مزاعم الصهيونية وادعاءاتها بأن فلسطين بلد غير مسكون قبل الهجرة اليهودية إليه وأكد بأنه لا يمكن أن يتوفر في فلسطين السكن إلا لنسبة جد صغيرة من اليهود الذين يعيشون مبعثرين في أنحاء العالم، وتساءل عن حلمه

في العودة إلى أرض الميعاد قائلاً: «أهذا هو الحلم، بأن نلطخ ثراها بالدم البريء»؟! ثم وصف ميول الصهاينة في فلسطين بالميول الحقيرة والخطيرة قائلاً: «لقد كانوا خدماً في منفاهم، وفجأة وجدوا أنفسهم في حالة من الحرية غير المحدودة أو المقيدة... ولقد خلق هذا التغيير المفاجئ في مخيلتهم ميلاً نحو الاستبداد كما هو الحال دائما عندما يصبح الخادم سيداً»(٨٠).

واستنكر العالم الفيزيائي الشهير ألبرت اينشتاين طموحات الصهيونية في إقامة دولة على أرض فلسطين معادية للعرب وحذر من خطر ذلك على الروح اليهودية قائلاً: «إنني أخشى الدمار الداخلي الذي ستتكبده الصهيونية لاسيما من تطور قومية ضيقة في صفوفنا، يجب علينا أن نحاربها بضراوة حتى بدون دولة يهودية واقترح اتفاقاً مع العرب على أساس العيش بسلام معهم بدلاً من إقامة دولة يهودية..»(٨١).

أما البروفيسور إسرائيل شاهاك أستاذ الكيمياء العضوية في الجامعة العبرية سابقاً، فقد شجب عنصرية إسرائيل والأسس التي قامت عليها وأجاب رداً عن سؤال عما إذا كان سيؤيد إسرائيل بوصفه «يهويداً» بقوله: «من واجب البشر كافة أن يعصوا دولة تتكلم الشر وتقترفه وتقوده» وأعلن رفضه لها ولقوانينها العنصرية قائلاً إن ولائي ليس للقانون بل للعدالة(٨٢).

وقد أكد تشومسكي المفكر والعالم اللغوي ذو الأصل اليهودي قائلا: إن النظام العنصري الذي كان قائماً في جنوب إفريقيا قد منح السود قبل أربعين عاماً أكثر مما منحته إسرائيل للفلسطينيين في أوسلو(٨٣).

وأدان عالم النفس الاجتماعي الإسرائيلي جورج تامارين، التربية العنصرية التي تربت عليها الأجيال الإسرائيلية وإدخال سفر يشوع الذي يحض على إبادة غير اليهود ضمن كتب القراءة المقررة الإجبارية في المدارس، حين أجرى تحقيقاً حول نتائج هذا التعليم التوراتي في شتى

المدارس، فكانت النتيجة، أن غالبية الأطفال كانت تعتقد اعتقاداً واضحاً أن على الجيش الإسرائيلي أن يدوس العرب بالطريقة نفسها التي عامل بها يشوع - بأمر من الله – الكنعانيين[٨٤].

ووصف جورج تامارين في كتابه «المعضلة الإسرائيلية» استراتيجية التنشئة الاجتماعية والفكرية والسلوكية الإسرائيلية بأنها تصبغ الشخصية الإسرائيلية بطابع تسلطي، مشيراً إلى أن القيم الإسرائيلية التي تشجع على العنف والعدوان إزاء العرب، قد ساعدت على صياغة الشخصية الإسرائيلية العنصرية كما أدت مسلمات الصهيونية العنصرية وسياستها التطبيقية إلى صياغة شخصية إسرائيلية عدوانية تسلطية متعصبة منغلقة[٨٥].

تلك بعض آراء ومقولات عدد من المفكرين، تكشف عن طبيعة أيديولوجية الحركة الصهيونية، فتؤكد أنها حركة عنصرية استعمارية توسعية وأن مقولاتها ومسلماتها قد صبغت الشخصية الإسرائيلية بصبغة عدوانية تسلطية متعصبة منغلقة، شخصية تحتقر الآخر وترفض الاندماج به وتدعي تفوق العنصر اليهودي عقلياً وجسدياً وروحيا على جميع الشعوب وتتبنى المقولات اللاهوتية كمقولة «شعب الله المختار» والوعد الإلهي، والاصطفاء الروحي وتتبع سياسة العنف والتوسع والقتل والاستباحة والغزو «المقدس» وتنتهج سياسة الخداع والتحايل والمخاتلة وتزييف الحقائق وشراء الضمائر والابتزاز والتخويف، وتمزج بين النقائض، بين اللاهوتي والأسطوري وبين العلماني، بين الديمقراطي والإلغائي، بين الانتماء إلى الشرق وبين معاداته واحتقاره والادعاء بأنها امتداد للغرب وقلعة متقدمة له في وجه الشرق البربري، بين الشكوى من العداء للسامية وبين اعتبارها ضرورة ومن أهم أنصار الصهيونية، بين التشكي من الاضطهاد واعتبار زواله يهدد الوجود اليهودي ويهدد المشروع الصهيوني كما يذهب هرتزل وغولدمان وايزمان وابن غوريون وغيرهم من قادة الحركة الصهيونية.

هذه السمات والمسلمات والمقولات قد حملت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثلاثين وفي ١٩٧٥/١١/١١ على إصدار قرار يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال «العنصرية والتمييز العنصري» قبل أن تعمل الولايات المتحدة وحلفاؤها من الدول الغربية مؤخراً على إلغاء هذا القرار؛ إلا أن إلغاء هذا القرار لن يغير شيئاً من حقيقة الحركة الصهيونية ومن طبيعتها، ولا يخفي النوايا التوسعية الإسرائيلية والممارسات العنصرية الوحشية التي تمارسها إسرائيل ويشاهدها العالم في كل يوم ضد بقايا الشعب الفلسطيني وفي عمليات زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة العربية وبذر بذور الفتنة والانقسام وتغذية كل عوامل الفرقة والتباغض والاقتتال فيها...

ولعل من بين هذه المتناقضات والمفارقات أن الولايات المتحدة الأمريكية التي ألغت قرار الجمعية العامة المذكور – بضغط من إسرائيل - تعود اليوم وبضغط منها لتنادي بإسرائيل دولة يهودية صرفة، أي دولة عرقية عنصرية!

* * *

حواشي ومراجع
الفصل الثاني

١ - فلسطين أولاً، لوكاس غرولنبرغ، ترجمة محمــود فلاحــة، دمــشق، ١٩٨٢، ص: ٢٠٥ -٢٠٨.

٢ - الإرهاب الإسرائيلي فرانتز شايدل، ترجمة محمــد جديــد، دمــشق، ١٩٧٧، ص: ٨٣و٣٣و٤٤.

٣ - قصة الحضارة، ول ديورانت، م، ج٢، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربيــة، ط٥، ص:٣٢٧.

٤ - روجيه غارودي، حديث مع مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٨٢/٩/١٠.

٥ - الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧، ص:١٠٦١.

٦ - سفر تثنية الاشتراع، فصل ٧.

٧ - سفر الخروج، فصل ٣٣.

٨ - سفر يشوع، فصل ٦.

٩ - سفر يشوع، فصل ١٠ وسفر العدد، الإصحاح ٣١، الآيتان ٩و١٨.

١٠ - حرب الثمانين يوماً في الشعر الإسرائيلي، خليــل الــسواحري، دار الكرمــل، ط١ عمان، ١٩٨٥، ص:١٦.

١١ - المرجع السابق، ص:٦٣.

١٢ - صوت فلسطين، العدد ١٨٩، ص:٧٦.

١٣ - سفر التكوين، الفصل ١٥.

١٤ - سفر تثنية الاشتراع، الفصل ١١و٩.

١٥ - سفر يشوع، فصل ٦.

١٦ - سفر يشوع، فصل ١٣.

١٧ - سفر الملوك الأول، فصل١٥.

١٨ - قصة الحضارة، مرجع سابق، م١، جــ٢، ص:٣٣٢.

١٩ - التاريخ اليهودي، ترجمة عبد الكريم محفوظ، عن البعــث الــسورية، عــدد ١٠١٠ تاريخ ١٩٩٦/٨/٢٢.

٢٠ - الصهيونية والعنصرية، خالد القشطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، م١، ط١، ١٩٧٧، ص:٢٦.
٢١ - كتاب العربي، عبد الوهاب المسيري، عدد نيسان ١٩٨٨، ص: ١٢٨.
٢٢ - يوميات مناحيم بيغن، ترجمة معن أحمد محمود، بيروت، دار المسيرة ١٩٩٣، ص:١٦ وقضية إسرائيل والصهيونية، غارودي، ترجمة د. إبراهيم كيلاني، دمشق، ١٩٨٤، ص:٨١.
٢٣ - فلسطين أولاً، لوكاس غرولنبرغ، ترجمة محمود فلاحة، دمشق، ١٩٨٢، ص: ٩١ -٩٢.
٢٤ - احذروا الصهيونية، يوري ايفانوف، موسكو وكالة نوفستي، ١٩٦٩، ص: ١٣.
٢٥ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، روجيه غارودي، ترجمة إبراهيم كيلاني، دمشق، ١٩٨٤ ص:٨١ عن صحيفة لوموند الفرنسية في ١٩٧١/١٠/١٥.
٢٦ - حديث لموشي دايان وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق لصحيفة الجيروزليم بوست الإسرائيلية في ١٩٦٧/٨/١٠.
٢٧ - روجيه غارودي، في حديث لمجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٨٢/٩/١٠.
٢٨ - الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية للدولة اليهودية، هرتزل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص:٤١.
٢٩ - مجلة شؤون عربية عدد حزيران ١٩٨٩ص: ١٢٦ -١٣٩ عن أنيس صائغ، الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، سلسلة كتب فلسطينية عدد (٢١) بيروت مركز الأبحاث، م.ت.ف١٩٧٠، ص: ١١٨ -١٢٠.
٣٠ – الأساطير المؤسسة للسياسية الإسرائيلية، روجيه غارودي، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهيم، ط٢، بيروت، ١٩٩٦، ص:١٨٣.
٣١ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، دمشق، ٢٠٠٠، ص: ٧٠ - ٧١.
٣٢ - المثقفون والسلطة، أحمد بهاء الدين - كتاب العربي، تاريخ ١٩٩٩/١٠/١٥ ص:٩٢.
٣٣ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، عبد الوهاب المسيري، ص: ١١٠.
٣٤ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ١٩١، نقلاً عن دير شبيغل في ١٩٧٠١/٤/٢٧.
٣٥ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، غارودي، مرجع سابق، ص: ١٥٩.
٣٦ - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص: ١١٢.
٣٧ - المرجع السابق، ص:١١١.
٣٨ - جريدة الرأي العام الكويتية في٢٠٠٥/١/١٨ نقلاً عن معاريف الإسرائيلية.
٣٩ - الإرهاب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ١٤٧و١٦٠.

٤٠ - الصهيونية والعنصرية مرجع سابق، عبد الوهاب المسيري، ص: ١٠٩و١١٠.
٤١ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، صالح العياري، دار طلاس، ط١، دمشق ١٩٨٧، ص: ٦٠ -٦١.
٤٢ - الآثار الكاملة، غسان كنفاني، م٤، ط٢، في الأدب الصهيوني، دار الطليعة، ١٩٨٠، ص:٥٩٣.
٤٣ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مرجع سابق، ص:١٤٢.
٤٤ – إسرائيليات، احمد بهاء الدين، كتاب الهلال، عدد ١٦٨، ص: ١٤.
٤٥ - الأساطير المؤسسة، مرجع سابق، ص:١٩٢.
٤٦ - المرجع السابق، ص:١٩٢.
٤٧ - المسألة اليهودية، فيدور دستويفسكي، صحيفة السفير، في ٧و١٤/٣/١٩٨٢.
٤٨ - مجلة شؤون عربية، حزيران ١٩٨٩، ص: ١٢٦ -١٣٨، عن الفكرة الصهيونية والنصوص الأساسية، كتب فلسطينية (٢١) أنيس صائغ، بيروت، مركز الأبحاث م.ت.ف ١٩٧٠، ص: ١١٨ -١٢٠.
٤٩ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص:٣٧.
٥٠ - المرجع السابق، ص:٢٦.
٥١ - المرجع السابق، ص:٢٦.
٥٢ - كتاب العربي، عبد الوهاب المسيري، عدد نيسان ١٩٨، ص: ١٢٨.
٥٣ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص:٨.
٥٤ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مرجع سابق، ص:٨٣.
٥٥ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص:٥٥ و٨٧.
٥٦ - المرجع السابق، ص: ٢٢ -٢٤.
٥٧ - الآثار الكاملة غسان كنفاني، دار الطليعة، م٤، ط٢، ١٩٨٠، ص: ٥٧٧.
٥٨ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص: ١٠٩ -١١٣.
٥٩ - المرجع السابق، ص:١١٤.
٦٠ - المرجع السابق، ص:٦١.
٦١ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مرجع سابق، ص:١٤٢.
٦٢ - يوميات هرتزل، أنيس صائغ، ترجمة هيلدا شعبان صائغ مركز الأبحاث والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٣، عن صوت فلسطين ١٨٩، ص: ٥٦.
٦٣ - المحرر العربي، عدد ٣٤٣، ٣ -٩ مايو، ٢٠٠٠، ص: ١٨ -١٩ نعوم تشومسكي نشر في ١١/٣/٢٠٠٢ على أحد مواقع الانترنت تحت عنوان الولايات المتحدة وإسرائيل وفلسطين.
٦٤ - المرجع السابق ص:١٨ -١٩.

٦٥ - همجية التعاليم الصهيونية، الأب بولس حنا مسعد، دار الكتاب العربـــي، بيـــروت، ١٩٦٩، ص:٥٠.
٦٦ - كتاب العربي في ١٩٨٨/٤/١٥ ص ١٣٦، حديث لرابين، مجلة الأزمنة الحديثـــة، عدد حزيران، ١٩٦٧.
٦٧ - الصهيونية والعنصرية، ص: ٢٥.
٦٨ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ١٤٨ -١٤٩.
٦٩ - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مرجع سابق، ص: ١٩٢.
٧٠ - احذروا الصهيونية، مرجع سابق، ص: ١٣.
٧١ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ٩٢.
٧٢ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص: ٢٦.
٧٣ - كتاب العربي، عبد الوهاب المسيري، نيسان ١٩٨٨، ص: ١٢٨.
٧٤ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص: ٢٦.
٧٥ - قصة الحضارة، ول ديورانت، مرجع سابق، ص: ٣٢٧ -٣٤١.
٧٦ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ٢٠٨.
٧٧ - الإرهاب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ٨٣.
٧٨ - المرجع السابق، ص: ٤٥ و١١٩و١٤٧.
٧٩ - روجيه غارودي حديث مع مجلة الحوادث اللبنانية بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٠.
٨٠ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ٣٠و٧١ والصهيونية والعنصرية مرجع ســـابق، ص: ١٨٥ و٢٧٢.
٨١ - فلسطين أولاً، ص: ٧٢
٨٢ - المرجع السابق ، ص: ٢٠٤ -٢٠٥.
٨٣ – المحرر، عدد ٣٤٣ ، ص: ١٨ -١٩.
٨٤ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ٢٠٨ نشرت التحقيق مجلة (النظرة الجديدة) ســـنة ١٩٦٦.
٨٥ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص:١٠٦ بحث، سيد يسيين.

* * *

الفصل الثالث
العنف في الرواية والقصة

تناولنا في الفصلين السابقين ظاهرة العنف الصهيوني بأوجهها المختلفة وأشكالها المادية والمعنوية وأشرنا إلى بعض تجلياتها في الأدب والفكر وفي المقولات السياسية والدينية وفي وسائل التربية والإعلام وفي عمليات القتل والتنكيل والتهجير التي تمارسها الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني وحاولنا تتبع جذور هذه الظاهرة وروافدها الرئيسية الضاربة في أعماق التاريخ اليهودي، وكان هدفنا أن نضع القارئ في المناخات والأجواء والمكونات والمولدات التي نشأت فيها ظاهرة العنف في الأدب الصهيوني واستمدت منها مقولاتها وزخمها وقوتها ومبرراتها..

وكان واضحاً، أن العنف في الأدب الصهيوني، ليس ظاهرة استثنائية أو مستقلة عن سواها وعن سياق الموروث اليهودي؛ بل هو ظاهرة اشترك فيها وفي حملها وتوليدها الفكر والدين والتقاليد والمكونات النفسية والسياسة والثقافة والفن والتربية والإعلام، ظاهرة تضرب جذورها بعيداً وعميقاً في التراث اليهودي، وإن كل متتبع لهذا التراث سيقف على أشكال وصور مختلفة من العنف تعود إلى عشرات القرون قبل ظهور الحركة الصهيونية. وإنْ بدتْ هذه الأشكال أقلَّ حدة وقسوة ودموية من ممارسات الحركة الصهيونية أو كانت أقل قدرة على ممارسة العنف، فقد كانت تظهر في ممارسات مارسها اليهود واشتهروا بها عبر العصور مثل ممارسة الاحتكار والربا الفاحش واستغلال الفقراء، والضعفاء واستباحة حقوقهم، أو في نزعة

التشفي والانتقام أوفي القسوة المفرطة ضد من ليس بيهودي وفي النظر إليه باعتباره عدواً أو أقل شأناً أو من فصيلة أدنى، أو في تزوير الحقائق والسطو على تراث الآخرين وانتحاله، أو في اعتماد أساليب الخداع والتحايل والوقيعة، أو في مزاعم التفوق العرقي والروحي والاصطفاء الإلهي وفي أسلوب التعالي واحتقار الشعوب.

هذه الظواهر العنصرية والعنفية التي أشار إليها أو إلى بعضها فريق من كبار المفكرين وعلماء النفس والأدباء والمؤرخين أمثال: غوستاف لوبون وول ديورانت وهـ. ج. ولز وشكسبير ودستويفسكي وتشارلزدكنز وفولتير وفرويد وماريو بوزو وهمنغواي وايفو اندريتش وكولن ولسن وغيرهم كثيرون، سوف نجدها ونراها مبثوثة في الأعمال الأدبية الصهيونية لاسيما في الأعمال التي أسست للحركة الصهيونية ومهدت لقيام الدولة العبرية في فلسطين. ولقد كان للرواية دور بارز في إشاعة ثقافة العنف والتحريض عليه؛ وتُعد يائيل دايان، بنت وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق، أول روائية صهيونية تجرأت في أعمالها الروائية على الاعتراف بسياسة العنف التي تنتهجها الصهيونية وتربي الأجيال الإسرائيلية على اعتناقها وعلى تمجيدها وممارستها والإيمان المطلق بمنطق القوة وتحويل الناشئة الإسرائيلية إلى مخلوقات مفرغة من العواطف والمشاعر الإنسانية، مخلوقات مشحونة بمشاعر القسوة والكراهية والتعالي والعنف، تتبارى وتتسابق في إظهار القوة والتخلص من بقايا الشفقة والرحمة والتعاطف، وتعتمد على القوة وحدها في التعاطي مع الآخر واعتبارها الوسيلة الوحيدة للتفوق وتحقيق الحلم الصهيوني، كما كانت «دايان» أول روائية إسرائيلية حذّرت من خطورة تبني وانتهاج سياسة العنف والاعتماد على القوة وحدها وإن كان مقصدها من هذا التحذير ليس إدانة العنف الصهيوني ضد العربي؛ بل الخشية على الدولة الصهيونية من عواقب هذه التربية ومن نتائجها الخطيرة المدمرة على الأجيال

الإسرائيلية؛ ففي رواياتها (طوبى للخائفين) التي كتبتها في ستينيات القرن الماضي، فضحت أسلوب التربية الذي تتبعه الصهيونية والذي يقوم على التسابق والتنافس في إظهار القوة العضلية وانتهاج سياسة الغلبة والقسوة وازدراء العواطف ومشاعر العطف واللين والرحمة.. وكشفت عن مخاطر هذه السياسة وعن النتائج المأساوية والفاجعة التي تنجم عنها، فالناشئة الإسرائيلية تتربى على مثل هذه التوجيهات والنصائح التي تقول: « يجب أن لا نثق بأحد فليس ثمة أصدقاء، وعليك أن لا تتوقع شيئاً من أي إنسان، القوة صديقك الوحيد، احذر الشفقة والرحمة والحرارة». وقد أخذ العنف في الأدب الصهيوني شكلين، أو مظهرين مختلفين في الشكل؛ لكنهما يتفقان ويلتقيان في الغاية وفي الهدف:

الشكل الأول، الأكثر وضوحاً ومباشرة، هو العنف المادي، الذي يتجلى في الدعوة إلى اغتصاب الأرض، وهدم البلدات والقرى والمنازل والمساجد والكنائس والمقابر الفلسطينية؛ أو في التحريض على عمليات القتل والتنكيل والإذلال والمطاردة، وفي المجازر اليومية وعمليات المداهمة المستمرة، أو الحض على قطع الأشجار وإتلاف المزروعات والمحاصيل وجرف التربة وطمس المعالم الجغرافية. أما الشكل الآخر من أشكال العنف؛ فهو العنف المعنوي، أو العنف المبطن؛ وهو عنف يخدم العنف الأول ويكمله ويمهد له ويسوغه، ثم يأخذ بدوره أشكالاً عديدة، تشوه، كلها صورة العربي وتحط من شأنه، وتسطو على الحقائق أو تزيفها أو تطمسها، وتستخدم مختلف وسائل التضليل والخداع والتحايل والابتزاز والترغيب والترهيب والمتاجرة باللا سامية ومزاعم الاضطهاد والعداء لليهود، ومزاعم التفوق والاصطفاء، وغير ذلك من أشكال العنف المعنوي؛ ليس ضد الفلسطيني العربي فحسب؛ بل ضد الرأي العام العالمي، وضد العقل اليهودي والوجدان اليهودي.

فبطل رواية دايان، «طوبى للخائفين»، (جيـــدون) الملقـــب بالـــصخرة لقسوته وعنفه والمعبر عن الجيل الذي تريده الصهيونية نموذجاً للناشئة والذي تربيه وتصنعه كما تصنع الآلة التي لا روح فيها ولا مشاعر لها، وتديره كما تديرها، قد نشأ وتربى على الإيمان بمبدأ واحد هو مبدأ القوة والغلبة وممارسة العنف والتخلص ليس من المشاعر الإنسانية وحدها، بل من العقل الذي يوازن بين المشاعر والعواطف وبين السلوك، ينتهي به المطاف إلى نهاية مأســاوية فيعود من إحدى مهماته السرية العنفية، محطماً مشوه الجسد مــشلولاً عــاجزاً عن الحركة، على أثر انفجار لغم فيه، وعندما يزوره (نمرود) أحــد أبطــال الرواية ومثيل جيدون في تبني أسلوب القوة والقسوة والعنف، يسأله مستفسراً ومعزياً له بقوله: لكنك ما تزال تستطيع القــراءة والتفكيــر والكــلام.يجيبــه جيدون: إن الصخرة لا عقل لها(١). أما مصير البطل الآخر في الرواية نمرود الذي تربى مثل جيدون على منطق القوة والغلبــة والعنــف فيــشبه مــصير جيدون، ينتهي إلى الموت عالقاً على سلك كهربائي. فالقوة هنا، باعتراف من آمن بها ومارسها، وباعتراف الروائية، قوة عمياء متعسفة لا تعقل ولا تفكــر ولا مستقبل أو أمل لها في الاستمرار والحياة السوية، لأنها قوة أفرغت مــن الروح والحس الإنساني، قوة تحركها الغرائز والأحقــاد والكراهيــة وحــب الغلبة، قوة لا تدمر خصمها فحسب، بل تدمر نفسها كذلك..

لكن الغريب أن يائيل دايان التي اعترفت بعبثية منطق العنــف والقــوة التي تبنته الصهيونية ومارسته ضد الشعب الفلسطيني، وامتلكت الشجاعة فــي روايتها هذه وفي روايتها (ولدان للموت) على إدانة وتــسفيه منطــق القــوة والغلبة والاعتراف بعبثيته والتحذير من نتائجه الكارثية على أصــحابه، قــد مارست نوعاً من العنف ضد الشعب الفلــسطيني عنــدما تجاهلــت حقوقــه المشروعة واعتبرته الطرف المعتدي. ولم تسعفها الجرأة الأخلاقية والشجاعة الفكرية في الدفاع عن الضحية، ضحية القوة والعنف الصهيونيين، حتى لكأن

سياسة القوة والعنف التي تمارسها إسرائيل وتدينها الكاتبة من خلال إدانتها لجيدون ونمرود، كانت موجهة ضد مجهول، وليست موجهة ضد الشعب الفلسطيني، أو كأن ضحاياها ليسوا من الشعب العربي أو ليسوا بشراً!!

هذا التجاهل الفاضح، يجعلنا نعتقد بأن إدانة دايان لمنطق القوة والعنف لم تكن نتيجة يقظة الضمير أو يقظة الحس الإنساني الذي أبدت الكاتبة حرصها عليهما وافتقدتهما في الأجيال الصهيونية، بل هي رؤية الفنان الاستباقية وخوف الكاتبة من أن ينتهي إغراء القوة والاعتماد عليها وحدها بالدولة العبرية وبالحركة الصهيونية، إلى نهاية مماثلة لنهاية كل من جيدون ونمرود، ونهاية جميع الغزاة الذين مارسوا الوحشية وأسلوب العنف والقوة، فانتهوا إلى الهزيمة والانهيار، أو هي شكل من أشكال الخداع والإيهام التي برعت بها الصهيونية وأجادت توجيهها وتسويقها إلى العالم والظهور أمامه بمظهر من يدين العنف حتى لو مارسه اليهود أنفسهم.. فمنطق القوة مدان عند دايان -كما نعتقد- ليس لرادع إنساني أو أخلاقي أو مبدأي، وإلا لكانت استنكرته وأدانت ممارسته ضد الإنسان العربي، إنما هو مدان عندها لأنه يهدد بالمخاطر والانهيار الكيان الإسرائيلي الذي نهض عليه، إذا ما استمر في حدته ولا عقلانيته، وليس لسبب آخر، لان الكيان الإسرائيلي ما كان ليقوم لولا منطق القوة ولولا ممارسة أبشع أشكال العنف والقسوة وأشدها وحشية ودموية..

ألم يؤكد ذلك بيغن في أعقاب مجزرة دير ياسين ويؤكده هرتزل حين دعا إلى التعامل مع الفلسطينيين للتخلص منهم، على طريقة الصيد الجماعي الحديثة التي تقضي على حيوانات الصيد من خلال إلقاء القنابل المميتة وسطها. إن دعوة هرتزل هذه إلى الصيد أو القتل الجماعي والتي تذكرنا بأسلوب يشوع في الإبادة الجماعية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، لا تقتصر على العنف المادي والجسدي الذي يحكم بقتل الضحايا وإبادتهم بل هو أكثر

قسوة وبشاعة، حين يجردهم من الصفات البشرية والإنسانية ومن حقهم بالحياة، وينحدر بهم إلى مستوى الحيوانات قبل قتلهم.

في روايته (الأرض الجديدة القديمة) يسير هرتزل في طريق العنف، يتبناه ويدعو إليه ويسخر الأدب في خدمة أهدافه التوسعية حين يدعو للتخلص من الفلسطينيين أو حين يتجاهل وجودهم أو ينكر حقهم في أرضهم التاريخية فيزعم أن (فلسطين المضاعفة) كانت قبل الهجرات الصهيونية إليها خالية من السكان ومن الأحياء[٢]، وكأن سكانها العرب ليسوا بشراً يحق لهم تملك الأرض والوطن، بل هم مجرد طرائد للصيد، وحين يزعم أن فلسطين كانت خرابا قبل هجرات اليهود إليها، وان المهاجرين اليهود لم يفعلوا سوى نقل المؤسسات المتحضرة إليها.

أما آلة القتل التي نقلها هؤلاء المهاجرون واستخدموها ضد الشعب الفلسطيني الأعزل فقد أخفاها هرتزل تحت غطاء من مزاعم التحضر والأعمار والرغبة في «إقامة قلعة متقدمة للغرب المتحضر، في وجه بربرية وهمجية الشرق» هذا الشرق الذي يدعي الانتماء إليه!

لون العنف الدامي الذي ظهر شديد الوضوح في دعوة هرتزل ومزاعمه، وفي اعترافات يائيل دايان، سنجده قانياً شديد الوضوح في معظم الأعمال الروائية والقصصية الصهيونية، فلقد أسهمت هذه الأعمال في بلورة المفاهيم والمقولات الصهيونية العنصرية، وفي تكوين الرأي العام وتشكيل قناعاته وتوجيه ممارساته وأفسح هذا العنف المبثوث في الأدب والفكر السياسي والديني، الطريق أمام آلة القتل الصهيوني ومنحها المشروعية والمبررات الأخلاقية حين ربطت بين استخدامها وبين مصير اليهود، بل جعل من استخدامها ضرورة من ضرورات الحياة والبقاء، في الوقت الذي تتسابق فيه دول العالم، لاسيما الدول الغربية التي هاجر منها اليهود إلى فلسطين، إلى محاباتهم واسترضائهم وطلب ودهم ومنحهم من الامتيازات ما لم تمنحه لمواطنيها الأصليين..

إن كل من يطلع على مظاهر العنف وصوره في الأدب الصهيوني، وينظر إلى آلة القتل والدمار وإلى ممارسات القتل والتنكيل والإذلال اليومية ضد بقايا الشعب الفلسطيني، سيكتشف مدى الترابط بين عنف الكلمة والعبارة وبين عنف آلة القتل، بين عنف الفكر، وعنف اليد.

في رواية (خربة خزعة) يقدم يزهار سميلانسكي، مشهداً من مشاهد العنف والقسوة وأساليب التنكيل والإذلال التي مارستها القوات العسكرية الإسرائيلية ضد سكان إحدى البلدات الفلسطينية التي تحمل اسم هذه الرواية لإرغامهم على الهجرة منها وتركها للمستوطنين الإسرائيليين شأنها شأن، مئات البلدات والقرى الفلسطينية التي نكلت قوات الاحتلال بسكانها وأرغمت من بقي منهم حياً على الهجرة لتقام على أنقاضها المدن والمستعمرات الإسرائيلية.

سميلانسكي الذي يعترف في روايته بالممارسات اللا إنسانية غير المبررة، التي مارستها إحدى الوحدات العسكرية الإسرائيلية لإرغام سكان هذه البلدة على مغادرتها والذي كان هو نفسه يستنكرها ويشجبها ويظهر تعاطفه وشفقته على سكان البلدة الفلسطينية، قد مارس بدوره، نوعاً من العنف والقسوة ضدهم، حين أثار في روايته، نفور القارئ واشمئزازه من سكان هذه البلدة وحين جردهم من الصفات الإنسانية فوصفهم على لسان أشخاص الرواية بأقبح الصفات وأكثرها مدعاة للنفور والاحتقار، فهم أشبه بالحيوانات أو الديدان أو الجيف التي تلوث كل شيء وهم قذرون محتالون جبناء ما أن يروا اليهود حتى يتغوطوا في سراويلهم وهم أذلاء بلا كرامة يشبهون الكلاب في جلوسهم ومذعنون كالقطيع مستسلمون للقدر لا تربطهم بالأرض أية رابطة بل إن دوابهم وماشيتهم أهم عندهم من الأرض(٣).

وحتى الطفل الفلسطيني، فإن الكاتب يمارس ضده نوعاً من العنف حين يشوه صورته ويحرض على قتله. يصفه أحد أفراد الحملة بأنه «لا يمكن أن يكون حين يكبر إلا حية سامة»(٤).

أما بلدة خربة خزعة، هدف الحملة العسكرية، فيصفها سميلانسكي على النقيض من سكانها العرب الفلسطينيين. فبينما سكانها قذرون جبناء أذلاء أشبه بالديدان والحيوانات، يثيرون القرف والاشمئزاز، مرتبطون بالماشية أكثر من ارتباطهم بالأرض، فإن خربة خزعة بلدة جميلة ذات مياه وفيرة وبيارات وحقول، حولها سكانها العرب، إلى بقعة قذرة موبوءة ببولهم وبرازهم وروث أبقارهم وجمالهم!!.

هذه الصورة المنفرة التي رسمها سميلانسكي للفلسطينيين، تحملنا على التشكيك بجديته وصدقه، في استنكار وشجب ما لحق بسكان البلدة الفلسطينية، إذ لو كان صادقاً في تعاطفه وفي استنكاره، لأثار في نفوس القراء مشاعر الشفقة والتعاطف مع هؤلاء الضحايا المقهورين العاجزين عن مقاومة قوات الاحتلال والمغلوبين على أمرهم المفتقرين إلى أبسط وسائل الدفاع عن أنفسهم وعن كرامتهم وأرضهم وممتلكاتهم، بدلاً من أن يثير ضدهم مشاعر النفور والاشمئزاز والاحتقار، كما تحملنا على الاعتقاد بأن ما أبداه سميلانسكي من شجب واستنكار لما لحق بسكان خربة خزعة وما أظهره في روايته من تعاطف مع هؤلاء الضحايا، لا يعدو أن يكون محاولة لإرضاء وإسكات الذات المنقسمة على نفسها والتي تقترف الشر وتمارسه رغم معرفتها ببشاعته ووحشيته، أو هو نوع من أنواع التنفيس اللفظي عن الضمير المهزوم، أو هو تعبير عن نفس عاجزة أو مسوقة بنزعة العنصرية والعنف والكراهية المتأصلة في تربيتها وفي تكوينها..؟!!.

يصف سميلانسكي، حال الجنود وهم يمارسون عمليات القتل والتنكيل والإذلال وحرق المنازل والتهجير ضد سكان البلدة الفلسطينية بالصيادين الذين تتوقد في نفوسهم نزعة الصيد وشهوة القتل عندما يذهبون إلى الصيد فيقول: «تحمسنا، لقد توقدت فينا بقوة شرارة الصيادين الكامنة في كل إنسان»(٥). ثم يصف عجزه عن رفض المشاركة في جريمة الصيد هذه

وانسياقه مع الآخرين من أفراد الوحدة العسكرية في عملية القتل والتنكيل والتهجير، بأنه مغلوب بنزعة العنف، مستسلم لها، رغم استتكاره الوجداني وشجبه اللفظي لها، فيقول مبرراً إسكات ضميره وازدواجيته: «شعرت أنني على شفير الهاوية، نجحت في السيطرة على نفسي، كانت أعماقي كلها تصرخ: مستوطنون مغتصبون، صرختْ أعماقي، كذب، صرختُ خربة خزعة ليست لنا..».

ثم يقول: كأن ثمة شيئاً متمرداً فيَّ، يفجر كل شيء، من ذا الذي أخاطبه فيسمعني؟ ثم يعلو صوت الضمير المقموع داخله فيقول لزميله الجندي، ليس لنا، يا موشي، أي حق في إخراجهم من هنا، أما موشي فقال لي ثانية: ابتَدأً ثانية، فعرفت أن لا فائدة فيما أقول، وأسفت أسفاً حتى الاختناق[٦].

هكذا حل سميلانسكي المشكلة، اسكت ضميره، وتغلب على ازدواجيته وانقسامه على ذاته بحجة عجزه عن فعل أي شيء. يذكرني هذا العجز بقول شاعر إسرائيلي منتقداً صمت الإسرائيليين حيال ما ارتكب بحق الفلسطينيين من جرائم ومحتجاً على مثل هذه المواقف التي تدعي أنها عاجزة إلا عن المشاركة بالجريمة:

يداي لم تسفكا الدماء

لكنني أمسكت بالضحية فقط

حين وضع الجزار

سكينه فوق عنقها![٧].

قد يكون من الصعب فهم هذه التناقضات في نفس الكاتب، إلا إذا فهمنا بنيتها ومكوناتها، وفهمنا التشويهات التي أصابت الشخصية اليهودية عبر التاريخ، فأصبحت عدوانية عنصرية، تكره ما عداها ولا تبالي به.

في قصته «الأسير» التي تدور أحداثها، حول راع فلسطيني، تأسره قوة عسكرية إسرائيلية بحجة الحصول منه على أسرار عسكرية ومعلومات عن العدو المصري، يسير يزهار سميلانسكي، في الاتجاه نفسه الذي سار فيه في روايته (خربة خزعة) فيظهر تعاطفه مع الراعي الأسير، كما أظهر تعاطفه مع سكان (خربة خزعة) ويعبر عن استنكاره وشجبه لأسلوب العنف والتحقير والتنكيل والإذلال الذي مارسه الجنود الإسرائيليون ضد الراعي الفلسطيني مثلما استنكر وشجب ممارسات القتل والتنكيل والإذلال التي مارسها زملاؤه الجنود ضد سكان البلدة الفلسطينية، لكنه يقدم للقارئ صورة قبيحة منفرة للراعي الأسير شبيهة بالصورة القبيحة المنفرة التي رسمها لسكان (خربة خزعة) من العرب الفلسطينيين، صورة تجعل من العسير على القارئ أن يتعاطف مع الضحية أو يستنكر أو يشجب ما لحق بها من تنكيل وإذلال. إنه يجرد الراعي الفلسطيني من الصفات الإنسانية أولاً، ثم يدعو أخيراً إلى التعاطف معه واستنكار ما لحق به.!

فالراعي الأسير كما تصفه القصة، مخلوق بدائي جاهل غافل لا يعي ولا يدرك ما يدور حوله، ورغم هذا يُطلب إليه الإفضاء بأسرار عسكرية ومعلومات عن العدو المصري إنه كما يصوره سميلانسكي أشبه بالحيوان، قبيح المنظر منفر الشكل، أبله جبان وذليل ومستسلم وخانع وغافل عن مصيره، لا يعرف كم عمره، يتردد حتى في معرفة اسمه. «يسأله الضابط الإسرائيلي المحقق عن اسمه، فيقول بعد أن يكرر المحقق سؤاله عدة مرات: حسن.

- كم عمرك؟..

- آ.. لا كبير ولا صغير.. لا أعرف..!!

ويمضي الكاتب في تقديم هذا المشهد المنفر عن الأسير فيقول: «بعد أن كاد التحقيق والركل أن يتوقف: لَعَق الأسير شفتيه، وقد تخفف قليلاً، مدَّ يداً

جافية وقال: في سيجارة؟ لم يعرْ أحد ذلك الغبي البليد التفاتاً.. وتقرر نقله إلى معسكر آخر»[٨].

في نهاية القصة يعلن الكاتب عجزه كذلك عن تقديم أي نوع من أنـــواع المساندة للراعي البريء وأنه مساق بقوة الدفع الصهيونية على المشاركة فـــي اقتراف الجريمة وازدرادها ضد بريء لا علاقة له بما اعتقل بسببه.. يقــول سميلانسكي عن الراعي الأسير: «إنه ليس جندياً، ولا يملك سلاحاً.. إنه مدني بائس ضائع والقبض عليه أكذوبة.. إنها الجريمة»...[٩]. ثم يــصف عجــزه وحالة الشلل الأخلاقي والوجداني التي أصابته حيال الراعي فيقــول «إن أي إنسان يملك جزءاً من مشاعرك إزاء الحقيقية والحرية سوف يقف هنا تمامــاً ويطلق الرجل إلى بيته...»[١٠].

إنها الصهيونية، التي أصابت الكاتب بهذا العجز الأخلاقي، وقتلت فـــي اليهودي حسه الإنساني والأخلاقي وأرغمته على اقتراف الجريمة بحق نفـــسه حين أرغمته على اقترافها بحــق الآخــرين! وأضـــافت إلـــى التناقــضات والتشوهات التي أصابت الشخــصية اليهوديـــة عبـــر التـــاريخ، تناقــضات وتشوهات جديدة شديدة الخطورة..!

لكن لو تجاوزنا الحديث عن صدق أو عدم صدق مشاعر سميلانـــسكي وتعاطفه مع الراعي الأسير واستنكاره لما لاقاه من تنكيل وإذلال لا مبرر ولا تفسير لهما، سوى الرغبة في ممارسة العنف لا نستطيع إلا أن نتـــساءل عـــن هدف الكاتب من اختيار شخصية الراعي الفلسطيني بطلاً لقصته وعن المغزى أو البعد السياسي أو الإيديولوجي لاختيار هذه الشخصية الغارقة فـــي الغفلـــة والجهل والبدائية والقبح.. وهل هو اختيار واقعي عفوي؟ أم هو اختيار موظف ومتعمد وإن جاء مغلفاً بالتعاطف والنزعة الإنسانية والبراءة الزائفة.؟!

من الواضح، أن سميلانسكي، قد اختار شخصية الراعـــي الفلـــسطيني بعناية ليرمز بهذه الشخصية البدائية الرعوية المتخلفة التـــي لا تربطهـــا أيـــة

رابطة بالأرض والكرامة والحضارة، إلى العربي، أو إلى الوجود العربي في فلسطين وإلى أن هذا الوجود هو مجرد وجود بدائي رعوي متخلف، وأن علاقته بالأرض لا تعدو أن تكون علاقة سطحية تقتصر على الرعي، فالعرب مجرد بدو رحل، يسكنون الخيام ويتنقلون بماشيتهم طلباً للمرعى، وبهذا يوحي سميلانسكي بصحة وصدق المقولة الصهيونية بأن فلسطين أرض خالية من السكان العرب بالمعنى الحقيقي.

هذه الصورة المنفرة، التي رسمها سميلانسكي في رواية «خربة خزعة» وفي قصته «الأسير» عن العرب الفلسطينيين، تختزن مشاعر الاحتقار والتعالي والعنصرية وتبرر وتسوغ ممارسة العنف ضده وتتجاهل وجوده وقيمته الإنسانية وتنظر إليه وكأنه أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان وإلى أن وجوده الرعوي البدائي الهمجي المتخلف والمعادي للحضارة والتقدم، لا يؤهله، بل لا يعطيه حق ملكية الأرض التي تحتاج إلى من يحييها ويستثمرها، ويدافع عنها.

إن الصورة التي اختارها الروائيون والأدباء الإسرائيليون وتعمدوا بل اتفقوا على تكريسها في الأذهان، باعتبارها الصورة المعبرة عن العرب، هي صورة منتقاة عن أكثر النماذج العربية تخلفاً وبدائية وجهلاً أرادوا تعميمها على العرب جميعاً..!!

ولا تخفى النوايا السيئة والمسبقة من اختيار هذه النماذج واعتبارها تمثل الشعب العربي بعامة. هذه الصورة النمطية المنفرة عن العرب نجدها متكررة ومبثوثة في الأعمال الروائية والقصصية والمسرحية الإسرائيلية التي مهدت وأسست للغزو الصهيوني لفلسطين. إننا نجدها عند يتسحاق اورباز واسحاق شليف ونتان شاحيم وعاموس عوز وبنيامين تموزوعجنون وموشي شامير وبنحاس سادية وهزاز وران ادليسط وموشي ستافسكي ويهودا أمنحاي وغيرهم كثيرون.

في قصة (خريف أخضر) يتحدث ناتان شاحيم عن أسير عربي يأسره الجنود الإسرائيليون، فيصفه بالجبن والخنوع وانعدام الكرامة والاستعداد للتعاون مع عدوه دون أن يطلب منه ذلك، فهو ذليل متخاذل ينصاع كالكلب لما يؤمر به، يحاول تقبيل يد الجندي الإسرائيلي الذي يرفض ذلك(١١).

ويستنسخ يتسحتاق اورباز في قصته (على حد رصاصة) صورة العربي المألوفة في الأدب الصهيوني، حين يحدثنا عن عربي فلسطيني تلتقطه وتأسره إحدى الدوريات العسكرية الإسرائيلية من أحد الكهوف في غزة إشارة وتأكيداً على طبيعته البدائية المتوحشة - فينعته بالجبن والاستخذاء، فما أن رأى الجنود الإسرائيليين حتى ألقى سلاحه وحاول تقبيل أقدام الجنود الإسرائيليين، مطلقاً عليه المزيد من النعوت والصفات المنفرة، فيصفه بالخداع والكذب والتملق والإدعاء بأنه يحب اليهود وبأنه لا يجيد شيئاً حتى الهرب(١٢). ولا ينسى أورباز أن يظهر تعاطف الجندي الإسرائيلي مع أسيره العربي ونزعته الإنسانية ضد ضحيته، إلى حد أنه فكر بإطلاق سراحه، قبل أن يقتله أحد الجنود. وهكذا يستمر مسلسل العنف والقتل فيتغلب وينتصر دائماً على عنصر الشفقة والتعاطف والحس الإنساني الذي يبقى عاجزاً ومشلولاً أو زائفاً ومخادعاً أمام نزعة العنف!

أما اسحق شليف فإنه لا يرى حلاً للصراع مع الفلسطينيين إلا بقتلهم جميعاً، ففي روايته (حادثة جبرئيل تيروش) التي تعد من أكثر الروايات الصهيونية رواجا في الأوساط الإسرائيلية، لما تتضمنه من نزعة عدوانية ومن عنف وقسوة ضد العرب ولأنها تتجاوب مع الميول الصهيونية وتختزل العقلية الإسرائيلية العدوانية التوسعية، يتحدث في هذه الرواية عن معلم يهودي شاب من مواليد ألمانيا يعمل نهاراً في إحدى مدارس القدس، أما في الليل فإنه يقود مجموعة من الشباب اليهودي، هدفها ومهمتها قتل العرب والفتك بهم، لاعتقاده بأن الحل في الصراع العربي الإسرائيلي، هو في قتل

الفلسطينيين وفي اجتثاثهم وتدمير قراهم ومنازلهم والتخلص من أية عاطفة إنسانية حيالهم أو التفكير أو التوهم بوجود عربي طيب فيخاطب طلابه قائلا: الفلاح العربي لن يترك المكان إلا باجتثاثه. وفي موقع آخر يتساءل: كيف سندافع عن أنفسنا في وجه سيف محمد يقصد النبي العربي الكريم - ثم يجيب قائلاً: علينا أن نبادر إلى الهجوم في كل لحظة تتاح لنا فيها الفرصة، فمصير البلاد سيقرره الهجوم وليس الدفاع، يجب قتل الأفعى - أي العربي - وهي بالقرب من وكرها والتسلل إلى القرى العربية التي تشكل وكراً للقتلة وتدميرها عن بكرة أبيها[١٣].

في معركة الإبادة الجماعية هذه، التي يعلنها ويدعو إليها شليف على لسان مدرس يدرس الطلبة لغة العنف والقتل والكراهية، لا ينسى أن يُذكر الإسرائيليين بمصير الصليبيين وأن يدعوهم إلى تفادي مصيرهم واستخلاص العبر من ذلك، ولكن كيف وبأية وسيلة؟! إن وسيلته المجدية لتفادي مصير الغزاة الصليبيين، هي في قتل الفلسطينيين واجتثاثهم، اجتثاثا تاماً، والاعتماد على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ورفض اندماج اليهود في الشعوب التي يعيشون بينها، وإذكاء الخلافات العربية واستثمارها، والاستمرار في سياسة القوة والإخضاع للمحيط العربي، حتى يصل بقية العرب وليس الفلسطينيون وحدهم إلى حالة من اليأس والإحباط يقبلوا بها بوجود إسرائيل ويقتنعوا بضرورة التعايش معها ويكفوا نهائياً عن محاولة استرجاع فلسطينيين.

في دعوته هذه، يأخذ هو وعدد من الأدباء والسياسيين الإسرائيليين بنظرية الصدمة لماكس نورداو التي تتحدث عن العلاقة بين الفريسة والمفترس والتي تدفع بالمفترس إلى اليأس وإلى الاقتناع بعدم جدوى المقاومة. والتي تحدث عنها نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ودعا إلى تبنيها في الصراع مع العرب في كتابه «مكان تحت الشمس» "A palce Among The Nation" وإلى الاستمرار في سياسة القوة والإخضاع والضربات الموجعة المتتالية ضد العرب

حتى يصلوا إلى حالة من اليأس والاقتناع بعبث ولا جدوى مقاومة الغزاة الإسرائيليين، تدفعهم إلى الخضوع والتسليم بواقع الاحتلال، وإلى التعايش معه، لاعتقاده بأن العربي لا يفهم ولا يستجيب إلا للغة القوة والإخضاع. تتلخص نظرية ماكس نورداو حول علاقة المفترس بالفريسة بأنه أجرى تجربة على نوعين مختلفين من الأسماك، فَقَسَم حوضَ ماء كبير إلى قسمين بواسطة حاجز زجاجي سميك وشفاف، وضع في أحد القسمين سمكة من نوع كراكي المفترسة، وفي القسم الآخر سمكة من نوع الشبوط، ومنذ اللحظة التي شاهدت فيها سمكة الكراكي فريستها سارعت بالهجوم عليها، لأنها لم تر الحاجز الزجاجي فاصطدمت بقوة ولمرات عديدة في الحاجز الزجاجي وفي كل مرة كانت تعود سمكة الكراكي المفترسة خائبة موجعة من الصدمة حتى كفت عن المحاولة. وعندما أزيح الحاجز الزجاجي توقفت سمكة الكراكي عن محاولات الافتراس ويئست من إمكانية افتراس سمكة الشبوط، فبدأت تسبح معها جنباً إلى جنب ولم تحاول بعد ذلك افتراسها(١٤).

ولا يخفى ما في تطبيق هذه النظرية على الصراع مع العربي، من عنصرية وعدوانية واستخفاف بعقله ومداركه والحط من شأنه، عندما يقارن وعيه ومداركه بالأسماك.! فضلاً عن التزييف وقلب الحقائق وجعل الضحية أو الفريسة، مفترساً..!

إن شليف الذي يلتقي أيضاً، مع عدد كبير من الأدباء الإسرائيليين في تبني واعتماد سياسة الصدمات المتتالية الموجعة ضد العربي، يلخص على لسان بطل روايته فلسفة العنف الصهيونية وإستراتيجيتها وسياستها القسرية حيال العربي والأسلوب الذي تتبعه في تنشئة وتعليم الأجيال الإسرائيلية. وإن كل من يقرأ هذا الكاتب العنصري الخارج من رحم النازية وينظر إلى ما يجري يومياً في فلسطين المحتلة أو يشاهد التراجيديا الفلسطينية المتواصلة منذ أكثر من ستين عاماً، وما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلية ضد العرب

الفلسطينيين، من قتل ومطاردة وتنكيل واعتقال وإذلال وتدمير للمنازل والحقول والأشجار والممتلكات، يخال أنه يشاهد فيلماً سينمائياً كتب قصته أو سيناريوه إسحق شليف، وتقوم القوات الإسرائيلية بإخراجه وتمثيله..!

وحتى الكتّاب الإسرائيليون الذين يحاولون التقيد بالموضوعية والتحلي ببعض الإنصاف في نظرتهم للعربي أمثال الكاتبة الإسرائيلية «سافيون ليبرخت» لم يستطيعوا الإفلات من إغراء تكرار صفات العربي النمطية المنفرة في الأدب الإسرائيلي، فالعربي في قصتها (الطريق إلى سايدرسيتي) جبان جاهل متخلف غير قابل للتطور - العربي يبقى عربياً..! - أي أنه سيبقى جاهلاً متخلفاً معاد للحضارة والتطور ولا أمل في تغييره أو تطويره(١٥).

والعرب عند «يهودا بيرلا» عدوانيون، يحرقون ويخربون ويذبحون الأبناء أمام أعين والدهم، وهم عند «موشيه ستافي»، يتصفون بالوحشية والغدر والجبن لكنهم معتادون على الخضوع(١٦).

وهم عند «موشيه سطابيسكي» في (القرية العربية)، قذرون جهلة، يعتبرون أن القذارة والاتساخ تقويان جسم الطفل، وإن العربي يبصق بفنجان القهوة كي ينظفه ويلبس ثوبه ولا يغيره إلى أن يبلى ويكون مليئاً بالقمل والبراغيث(١٧).

والعربي عند «موشيه شمير» في قصته (حياة شعب إسماعيل)، إذا أراد الاستحمام فإنه يدخل قليلاً من الماء في فمه ثم يدخل أصابعه ويعرك أسنانه ثم يتناول حفنة من الرمل والوحل ويفرك بها جسده(١٨).

وقد بلغ الجنوح والتجني أقصاهما عند بعض الأدباء الإسرائيليين في تشويه صورة العربي والحط من شأنه، أن بعضهم لم يجد فرقاً بين العربي وحماره كما في رواية (الأرض العطشى) «ليورام كانيوك»(١٩).

وفي قصته (رحمة) يصف هزاز العربي بأنه مفرط الغباء ضيق الأفق والتفكير حتى يصعب التمييز بينه وبين حماره الذي يركبه، أما المرأة بالنسبة للعربي فإنها مجرد وسيلة للمتعة الجنسية أو «مطية جنسية»[٢٠].

ويصف «جون كليري» العربي في روايته (موسم الشك) بالكذب والخداع والجشع واللؤم والخبث، لا فرق في ذلك بين أمي جاهل وبين من تخرج من أرقى الجامعات[٢١].

أما «موشي ستافي»، فقد دخل في قصته «الضيف» عالم الحيوان وأصبغ على الكلاب في إحدى القرى الفلسطينية طبيعة بشرية تشبه طبيعة الإنسان العربي ومن الواضح أن المقصود بالكلاب هم العرب، فهم مزاجيون سريعو الغضب.. وفي هذا إشارة للخصائص العربية التي تحول دون تفاهم العرب مع اليهود[٢٢] على حد قوله.

وفي قصة (أحدوثة شجرة الزيتون) لبنيامين تموز، يبيع الأب العربي ابنته الصغيرة لجاره العجوز، وحين ترفض يربطها إلى جذع شجرة الزيتون ويحرمها من الطعام والماء حتى ترضخ وتنضم إلى زوجتين عجوزتين[٢٣].

أما «بنحاس ساديه» فإنه لا يرى في العربي الفلسطيني في روايته (العشب الأحمر والنهر الأخضر يتدفق للأبد) أكثر من شبح قبيح مخيف وعدواني لا يظهر إلا في الظلام متربصاً باليهودي المسالم صاحب الأرض المتمسك بها والمحب للحياة فيهدد الشبح أمنه وعشقه للحياة من خلال تهديده لعلاقة الحب الحميم والسامي التي تربط بين بطلي الرواية: أفشالوم، الذي يرمز للشعب اليهودي وأفيجيل، التي ترمز إلى أرض إسرائيل التاريخية. العربي في هذه الرواية يشكل الحائل دون تلاقي الشعب اليهودي وتلاحمه بأرضه، كما يشكل الخطر الذي يتهدد هذه العلاقة الإنسانية ويحاول فصمها والحيلولة دون تحقيقها حين يطعن بالسكين أفشالوم العاشق وهو في حالة عناق وتلاحم مع حبيبته أفيجيل.

وبينما يحتضر افشالوم، دافعاً ضريبة العناق أو التماهي بأفيجيل رمز أرض الميعاد، وتحقيقاً للحلم الصهيوني في امتلاك فلسطين، يحض الكاتب على الهجرة اليهودية وعلى تحقيق حلم أفشالوم وأفيجيل بتلاقي الشعب اليهودي بأرض إسرائيل من خلال استمرار الهجرة التي رمز إليها بنحاس ساديه بأسراب الكراكي المهاجرة التي كانت تعبر الفضاء فوق أفشالوم النازف وأفيجيل التي تحتضنه وتخاطبه بتفاؤل وبلغة صوفية حالمة قائلة له:

«بعد قليل، الآن أدفئك يا أفشالوم.. إن يديك باردتان.. ولكن بعد قليل عندما تطلع الشمس ستدفأ.. إن الشمس ستدفئنا جميعاً.. ستدفىء الأرض والأعشاب والزهور. كلنا سنصحو وسنقف ونلبس ثياباً ملونة، فقط انتظر قليلاً، من العسير عليك أن تتنفس الآن، إنني أسمع هذا لو استطعت أن أعطيك هوائي الذي أتنفسه.. أن أعطيك كل شيء.. ألست أنت أنا يا أفشالوم.. وألست أنا أنت وسأكون لك دائماً وستكون لي وسآتي إليك دائماً وستجدني؟»[٢٤].

بهذه الصورة الرومانسية الإنسانية البريئة يصور الكاتب علاقة المهاجر اليهودي المغتصب للأراضي الفلسطينية بفلسطين.. أما صاحب الأرض الحقيقي، فهو مجرد شبح قبيح عدواني عائم في الظلام، لا حق له في أرضه ولا دور له إلا العنف واغتصاب العلاقات الإنسانية السامية.!!

في قصته (فرات) للكاتب والناقد الصهيوني «ايهودا عيزر»، يعتبر القتل والعنف والإجرام غريزة من غرائز العربي وهواية من هواياته، بل إنه يشبه العرب بالحيوانات المفترسة تارة وتارة يصفهم باللصوص الذين يسطون ويسرقون ممتلكات اليهود ويقتلونهم ويعتدون على مقدساتهم ويغتصبون نساءهم[٢٥].

أما «ناتان شاحم» فيصف العرب بأنهم أشبه، بالكلاب في قصته(غبار الطريق)، إذا رأوك مرتبكاً ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم فإنهم يهجمون

عليك، أما إذا ما قمت بضربهم، فإنهم يهربون كما تهرب الكلاب. يقول شاحم على لسان يهوديين يتحدثان عن العربي، بأن العربي الجيد هو العربي الميت، أما إذا أردت أن تعرف العربي على حقيقته فيجب أن تفتح رأسه(٢٦).

ويقول «موشيه سميلانسكي» في قصته (في ظل البيارات) على لسان إحدى العائلات اليهودية التي تعيش في بيروت: إنك تستطيع شراء العربي بالمال، لأن المال عنده كل شيء(٢٧).

والعربي عند ش. شالوم في قصته (لينة) يبيع ابنته بثمن بخس يدفع الشاري قسماً أما الباقي فيبقى دينا عليه...(٢٨).

هذا شكل من أشكال العنف الذي يمارسه الأدب الصهيوني ضد العربي، وهذه هي الصورة التي يقدمها للعالم عن ضحاياه من الفلسطينيين والعرب.

أما الشكل الآخر من أشكال العنف الذي تمارسه ضده أمثال هذه الأعمال، فهو في تزييف الحقائق واختلاق الأكاذيب، وفي محاولة تغييب وطمس الوعي والحس الإنساني عند الإسرائيليين حيال العربي الفلسطيني وفي السطو على تاريخه وتراثه الحضاري وفنونه وموروثاته الشعبية؛ فلا تاريخ ولا ثقافة ولا حضارة ولا فن ولا موروث شعبي في فلسطين سوى التاريخ والثقافة والحضارة والفنون والموروثات الشعبية اليهودية؛ بل لا وجود في فلسطين إلا الوجود اليهودي فقد أراد لها هذا الأدب أن تكون خالية إلا من الشعب اليهودي والتاريخ اليهودي «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» أرض تنتظر عودة شعب الله المختار إليها، ليعمرها ويعيد إليها روحها ومجدها بعد أن سطا عليها العرب ودمروا معالمها الحضارية والروحية حسب زعم هؤلاء!!

«عاموس عوز»، الذي يعد من أبرز الكتاب والروائيين الإسرائيليين وأغزرهم إنتاجاً وأقدرهم على التقاط وفهم المتغيرات الاجتماعية والسياسية والذي انتقل من صفوف اليمين إلى صفوف اليسار، يمارس بدوره سلاح

التضليل والتزييف والتعالي وتجاهل الحقائق ويسهم إسهاماً كبيراً في زرع بذار العنف والعنصرية والكراهية في البنية العقلية الإسرائيلية وفي نفوس الأجيال، حين يشارك في تشويه صورة العربي والحط من شأنه والانضمام لجوقة المتاجرين باللاسامية واضطهاد اليهود وطمس الحقائق التاريخية والتلاعب بها، وفي السطو على تاريخ الفلسطيني، وعلى تراثه.

ففي روايته «الحروب الصليبية» يتلاعب بالتاريخ، فيتجاهل ما يشاء من الحقائق التاريخية أو يقفز فوقها أو يزيفها حين يغفل الطرف العربي الإسلامي إغفالاً تاماً في الحروب الصليبية التي كان هدفها الرئيسي تخليص الأراضي العربية في فلسطين من يد العرب المسلمين واستعمار المنطقة. إنه يوهم القارئ بأن هدف الحملة كان قتل اليهود والتنكيل بهم واغتصاب أموالهم وممتلكاتهم ونسائهم فحسب، تحت راية الصليب وبحجة تحرير القدس[٢٩].

لقد استغل الحديث عن هذه الحملة، ليصف ما تعرض له اليهود من ويلات ومآس، وما لاقوه من تنكيل واضطهاد، وما أبدوه أيضا من شجاعة واستبسال وثبات على معتقداتهم وتمسك بحقوقهم في عملية توظيف سياسي هدفها إثبات المقولات الصهيونية بأن اليهود كانوا في الماضي ومازالوا ضحايا اضطهاد العالم وضحايا كراهيته ومطاردته، وأنْ لا خلاص لهم من هذا الاضطهاد المتواصل إلا بإقامة وطنهم الخاص بهم، وأن على العالم مساندتهم والتعويض عليهم باحتلال فلسطين.

لكن عاموس عوز الذي أغفل ذكر العرب وتعمد تغييب وجودهم في روايته (الحروب الصليبية)، يعترف بهذا الوجود في غالبية أعماله الأدبية لكن في معرض الحط من شأن العربي والمشاركة في تكريس الصورة التي اعتمدتها الحركة الصهيونية عن العربي، بأنه مخلوق بدائي، متخلف، منفر، عدواني، عنيف بطبيعته مخادع، جبان معاد للحضارة غير قابل للتطور، وبالتالي غير جدير بامتلاك وطن.

فالعرب في قصته (بلاد بنات آوى) أشبه بالنمل الأسود، يتـألفون مـن جمهور قذر غامق اللون ينشر القمل والبراغيث والرائحة الكريهة، عدوانيون يحرقون كل ما يصادفهم يقلعون الأوتاد ويحولون لون البساتين الأخضر إلـى أصفر ، يتسلقون الجدران كالقرود المتوحشة، تـشتعل عيـونهم بالكراهيـة وأسنانهم صفراء والخناجر تلمع بين أصابعهم؛ بل جعل «المرض يجيء مـن الصحراء منتقلاً بلعاب الحيوانات المهملة» إشارة إلى العربي[٣٠].

ويظهر العربي في روايته (في مكان آخر.. ربما) التي يتحدث فيها عن «الكيبوتس» كرمز أو كنواة للدولة العبرية، كائناً شبحياً،عدوانياً ، متخلفاً، معاد للحضارة والتقدم، يقابل نوايا المستعمرين الإسرائيليين الطيبة ومحاولاتهم نقل وسائل التقدم والتطور إلى فلسطين، بالكراهية والعداء والرفض!

يقول مضمناً مزاعمه هذه مقولات الحركة الصهيونية؛ بـأن فلـسطين كانت قبل الهجرة اليهودية شبه خالية من الـسكان وأنهـا كانـت صـحراء قاحلة تحولت بفضل المهاجرين اليهود إلى جنـة، وأن العـرب فيهـا - إذا وجدوا - ليسوا أكثر من قلة بدائية متخلفة معادية للحضارة، بينما كـان عـدد السكان العرب في فلسطين وحسب الإحـصائيات الإنكليزيـة عـام١٩٢٢ - ٦٦٣,٠٠٠ عربياً مقابل ٨٣٠٠٠ يهودياً[٣١]. يقول عوز: «لمدة ألـف عـام، كان هذا المكان قفراً، إلى أن جاء مـستوطنونا الأوائـل ونـصبوا خيـامهم فجعلوا الصحراء تزدهر بأحدث الوسائل الزراعية.. فهربت الأشـباح عنـد مقدم هؤلاء المستوطنين المنقذين، إلى الجبال، ومـن هنـاك أخـذوا يلقـون علينا كراهيتهم التي لا تستند إلى أساس والتي تفتقد كل معنـى.. لـم نـسبب لهم ضرراً.. جئنا بالمحاريث فردوا على تحيتنـا بالـسيوف، لكـن سـيوفهم ارتدّت إليهم.. وأصبحوا على الحدود يهددون الكيبوتس باسـتمرار فينـالون جزاءهم باستمرار، لأنهم لا يفهمون لغة غيـر لغـة العنـف ولا يـستجيبون لسواها»![٣٢].

هنا يصل عاموس عوز إلى ذروة العمى الأخلاقي في تبني التزييف والخداع والتضليل وقلب الحقائق: ذاهباً بالأدب بعيداً عن دوره، حين يزعم أن المهاجرين اليهود جاءوا إلى عرب فلسطين بالتحية وأغصان الزيتون والمحاريث ووسائل الحضارة الحديثة، فقابلهم العرب بالسيوف، فاضطر اليهود إلى طردهم خارج الحدود وأرغموا على ممارسة العنف والقتل ضدهم - لقد قاومت الضحية من احتل وطنها، فاضطر المحتل إلى قتلها..!! وحين يزعم أن المهاجرين اليهود جاءوا إلى فلسطين فوجدوها قفراً..!!

فالحقيقة أنهم جاءوا بالبنادق والمدافع والطائرات والعنصرية وشهوة الاستعمار والتوسع، فقتلوا ونكلوا وشردوا الفلسطينيين من وطنهم ومدنهم وقراهم ومزارعهم واغتصبوا ممتلكاتهم وسطوا على تاريخهم وإرثهم الحضاري ورجموهم بالكراهية والبغضاء ونزعة الانتقام، وشوهوا صورتهم وجاؤوا أيضا بالبلدوزرات والجرافات فهدموا المنازل، فوق رؤوس أصحابها واقتلعوا المزارع والكروم.. وحتى القبور..!!

ولا ينسى عاموس عوز من أن يقيم في روايته مقارنة عنصرية بين العربي الذي يصفه بالكائن الشبحي البدائي المنفر القذر والمتخلف ذهنياً والمعادي للحضارة وبين الإسرائيلي، الذي هو نموذج للإنسان المتكامل في قدراته العقلية والعلمية وفي جماله الجسدي وذكائه، بل يتغنى حتى بالمومسات الإسرائيليات اللواتي يتمتعن، عند الكاتب، بسحر خاص وجمال نادر، ثم يستمر في نشوته العنصرية ليرسم مخلوقين غير واقعيين ومتناقضين أشد التناقض، مخلوقاً يهودياً متكاملاً، ومخلوقاً عربياً في غاية البدائية والتخلف والدمامة!!

من سمات الأدب الصهيوني المؤسس للدولة العبرية، أنه لا يتعمد إغفال الحقائق والقفز فوقها فحسب، بل يتعمد تزويرها ويقدم بدلاً عنها صوراً

خادعة مضللة مغايرة للواقع!! فصاحب الأرض في هذا الأدب، غاصب، معتد، مدان، لا حق له في أرضه، بحجة أنه مخلوق بدائي، متخلف، قبيح، منفر، جبان، أو بحجة أنه محدود الذكاء، غافل غير قابل للتطور، معاد للحضارة والتقدم بفطرته.

وقد يصل العمى الأخلاقي عند أصحاب هذا النوع من الأدب العنصري المضلل، أن أصحابه لا يجدون حرجاً أو تناقضاً بين الدعوة إلى قتل العربي والانتقام منه واغتصاب أرضه ووطنه بحجة أن النازيين اضطهدوا اليهود ونكلوا بهم، بل يجدون في ذلك ما يكفي من المبررات المقنعة لقتل الفلسطيني واغتصاب وطنه أو بذريعة أن لا خيار أمام الإسرائيليين إلا في قتل الفلسطيني أو تهجيره لأنه قاوم احتلالهم..! أو حين يزعمون أنهم لم يفعلوا في احتلال فلسطين أكثر من استعادة الأرض الموعودة التي وعدهم الله بها دون أن يكونوا ملزمين بتقديم أية وثيقة أو صكوك ملكية موقعة من الله الذي وعدهم وملكهم هذه الأرض، أو حين يزعمون أنهم احتلوا فلسطين خوفاً على العرق اليهودي الصافي والسامي من الاندماج والذوبان في الأعراق الأخرى وحفاظاً على نقاء عرقهم وتفوقهم أو حين يزعمون أن العرب لا يستأهلون هذه الأرض، ولم يدافعوا عنها حين احتلها المهاجرون اليهود إلى آخر هذه السلسة من الأكاذيب والمزاعم المضللة..

يُعد الروائي الصهيوني «شماؤيل يوسف عجنون» من أبرز هؤلاء الأدباء الإسرائيليين الذين قاموا في توظيف الأدب واستخدامه في عملية التزوير والتضليل هذه، فقد كرس عجنون أدبه في عملية تزوير الحقائق وطمسها وفي توليد البغضاء والكراهية والعنف ضد العرب وشارك في حالة التهييج العنصري والانتشاء العرقي في المجتمع الإسرائيلي، وقدم للعالم صورة زائفة ومضللة عن حقيقة الصهيونية وأهدافها الاستعمارية التوسعية وعن الشعب الفلسطيني وحقوقه، فجعل منه خصماً دخيلاً على أرضه ووطنه،

بل جعل منه عنصر هدم وتخريب وتدمير للحضارة وحـاول إزاحتـه عـن مسرح التاريخ، فلا وجود لفلسطين أو للفلسطينيين في أعمالـه، هنـاك فقـط ارض إسرائيل وشعب الله المختار. أما وجود الفلسطيني إذا ما وجـد، فلـيس أكثر من ظاهرة شريرة عدوانية معادية للحضارة.

لقد غذى عجنون الأجيال الصهيونية في أدبه، بأوهام التفوق والتفـرد والصفاء العرقي وأوهام ارض الميعاد والوعد الإلهي وشـعب الله المختـار فأسهم في صياغة مجتمع إسرائيلي عنصري عدواني مشحون بروح البغضاء والتعالي وحب الانتقام ونزعة التوسع وتجاهل الحقـائق والاسـتهانة بحيـاة الآخرين وحقوقهم.

والغريب أن هذا الأديب العنصري المعادي للحقيقة ولكرامـة الإنـسان وحقوقه والداعي إلى التوسع والعنف وزراعة الأوهام والأكاذيب في العقول، قد كوفئ بالحصول على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ إضافة إلى عدد من الجوائز التقديرية الأخرى!!

في قصته (من عدو إلى صديق) يزعم أن فلسطين كانت خراباً قفراً قبل هجرة اليهود إليها في بدايات القرن الماضي بسبب وجود العربي فيها، الـذي تظهره الرواية كظاهرة شريرة مدمرة معادية للحضارة.. انه يظهر بـصورة ريح مدمرة تنتشر في الجبال والسهول والتلال والأودية فتقتلع «الخيمة» التي بناها بطل الرواية اليهودي المهاجر إلى فلسطين والذي كان يعيد بناءها كلمـا هدمتها هذه الريح دون أن يتسرب الملل أو اليأس إلى نفسه حتى تعجز الـريح أخيرا وتكف عن محاولة هدمها وتعترف بالأمر الواقع..!

يقول عجنون في هذه القصة بأسلوب ركيك وتناول إنـشائي تبـسيطي «تم البناء ووقف البيت شامخاً - البيت أو الخيمـة هنـا دولـة إسـرائيل - وجاءت الريح وضربت النوافذ بقوة وعنف، فسألت الخيمـة مـن يـضرب

نوافذي؟ ضحكت الريح وقالت: أنا جارتك، قلت: مـــاذا تريـــد جـــارة مـــن جارها في ليلة عاصفة؟ قالت: جارة جاءت لتهنيء جارها بمـــسكنه الجديـــد، فقلت: وهل يسلك الجار طريق النوافذ كاللص؟. استدارت الـــريح وضـــربت الباب، قلت: من يطرق الباب؟ قالت: أنا جارتك، قلت لأنك جـــارتي تفـــضلي وادخلي، قالت: لكن الباب موصد، قلت: نعم أنا الذي أوصدته، قلـــت: افـــتح! قالت أخاف البرد، انتظري حتى تـــشرق الـــشمس وبعـــدها افـــتح، وعنـــدما أشرقت الشمس، فتحت الباب فلم أجدها، وقفتُ أمام البيت وإذ بالأرض مـــن حولي خربة وخالية، لا شجر فيها ولا عـــشب، لـــم أجـــد ســـوى الحجـــارة والغبار، قلت لنفسي: سأزرع حديقـــة جميلـــة، حرثـــت الأرض وغرســـت الشتل، ثم أتى المطر وسقى الغـــرس وســـطعت الـــشمس فنمـــت الغـــراس وأفرعت وبعد مدة أصبحت أشجاراً ذات أفنان، فصنعت مقعداً وجلـــست فـــي ظلها».

ويمضي في هذا السرد السطحي إلى هذه النهاية التـــصالحية الـــسعيدة المفتعلة والمتجاهلة للحقائق:

«جاءت الريح ذات ليلة وضـــربت الأشـــجار، لكـــن الأشـــجار ردت بدورها عليها، ولم تقم للريح بعد ذلك قائمة، فرحلـــتْ ومنـــذ ذلـــك الحـــين صارت الريح متواضعة وصارت تأتي بـــأدب واحتـــرام. لـــذلك، وبعـــدما وجدتُ هذا منها، تصرفت معها بالمثل، وكنت أخرج لاســـتقبالها وفـــي كـــل مرة كانت تأتي فيها، وأطلب إليها أن تجلس معـــي علـــى الكرســـي، الـــذي صنعته، في الحديقة بين الأشجار. وكانت تجلـــس، وهكـــذا صـــارت تتـــردد عليَّ باستمرار، ورداً للجميل صارت تجلب معها ريحاً طيبـــة مـــن الجبـــال والأغوار تنعشني أيام الحر، نسيت أعمالها السيئة وصرت أطلـــب منهـــا أن تزورني باستمرار»(٣٣).

بهذا التبسيط المبتذل يحسم عجنون الصراع فينتهي بخضوع العربي واستسلامه ورضوخه للأمر الواقع وتنازله عن وطنه.. عندها فقط يصفح المعتدي عن الضحية وتنال رضاه.!

ويتبارى عجنون مع بقية الأدباء الإسرائيليين المؤسسين للدولة العبرية في فلسطين في تشويه صورة العربي والحط من شأنه والاستخفاف بوعيه وإرادته وإخراجه من دائرة من يستحق امتلاك وطن بل إن عجنون لا يرى حرجاً أو تعارضاً مع العقل والعدل في تبني الأسطورة بأن الله قد ملَّك اليهود فلسطين إلى الأبد، وأن الإسرائيليين قاموا بغزو فلسطين واحتلالها حفاظاً على قوانين الله واستجابة لتعاليمه...

ففي روايته (مدينة كاملة) يصف العرب بالبلاهة والسطحية والغفلة والعجز عن فهم الحقائق وعما يجري حولهم بينما يصف اليهودي بالذكاء الخارق وسرعة البديهة وسعة الحيلة والقدرة على التكيف.

في هذه الرواية، يدخل أحد اليهود معبداً للإسماعيليين «العرب» فيغضبون من دخوله ويهمون بالاعتداء عليه، ولكنه يحتال عليهم، فيدعى أنه دخل إلى المعبد رغبة منه في التعرف على دينهم والدخول فيه، فيصدقونه وينخدعوا بحيلته.. ولم تمض أيام قليلة، حتى جعلوه واحداً من أئمتهم..!!(٣٤).

في روايته (الأمس القريب) يصف العرب بأنهم أعداء الحضارة والمدنية وأنهم هم سبب خراب أرض إسرائيل (فلسطين) بعد أن تركها اليهود منذ آلاف السنيين ولا ينسى حشر المقولات الصهيونية بأسلوب فج، كاللغة العبرية المقدسة وأرض إسرائيل والمنفى وكيل الشتائم للعرب فيصفهم بأنهم مغتصبون، اغتصبوا بيوت اليهود وحولوها ملكاً لهم ولدوابهم واستنساخ الماضي اليهودي والحض على هجرة اليهود إلى فلسطين والى توسيع حدود الدولة العبرية في كل الاتجاهات(٣٥).

وتصف «تهلة» بطلة رواية عجنون والتي ترمز إلى التاريخ اليهودي أو إلى الشخصية اليهودية الحاضنة لهذا التاريخ، العرب بأنهم محتلون، احتلوا بيوت اليهود في فلسطين وخربوا ما خلفوه من معالم حضارية ومراكز إشعاع فتقول:

«كان هناك في الليل والنهار دراسة وصلاة، لكنهم غادروا هذا المكان وجاء العرب أبناء إسماعيل وأخذوا أماكنهم» ... ولكن كيف ومتى حدث هذا؟! لا يرى الكاتب حاجة للإشارة إلى هذا النوع من «الاغتصاب».

وتمضي بطلة الرواية متهمة العرب أبناء إسماعيل أو أبناء الجارية هاجر كما يطيب للكثير من الكتاب الصهاينة وصفهم بأنهم هم الغاصبون وأنهم قد احتلوا أرض الشعب اليهودي وممتلكاته ومواقع حضارته وبيوت عبادته بعد أن هجرها أهلها فتقول: «هل ترى هذا الحوش؟ أربعون عائلة من إسرائيل عاشت مرة هنا وكان هناك معبدان وكان هنا في الليل والنهار دراسة وصلاة، لكنهم غادروا هذا المكان وجاء العرب وأخذوا أماكنهم. لقد كان هنا أكاديمية عظيمة حيث عاش ودرس علماء التوراة ولكنهم قضوا وجاء العرب واستولوا عليه.. وهكذا تسقط بيوت إسرائيل في الإهمال إلى أن يتم هجرها فيدخل أبناء إسماعيل ويمتلكونها، البيوت التي بنيت بدموع آبائهم يهجرونها الآن».

ويستغل عجنون الحديث عن تلك الهجرة اليهودية التي تمت في الماضي البعيد للدعوة إلى هجرة اليهود إلى فلسطين، وإلى توسيع حدود الدولة العبرية في كل الاتجاهات «فليأت ذلك اليوم الذي تمتد فيه القدس في كل الاتجاهات حتى تصل إلى دمشق»[٣٦].

لقد حول عجنون - الحائز على جائزة نوبل - الأدب إلى أداة احتلال وتوسع وإلى ترويج للخرافة والاستعمار دون أن يجد في ذلك أي حرج!!

أما حين ينوء ضمير الكاتب الصهيوني بتشويه الحقائق وخيانتها وبانضمامه إلى صفوف القتلة والغزاة وحملة البنادق، فإنه يختلق الحجج والمبررات لإسكات الضمير وإخماد أنينه، فيضع فرضية زائفة لعلها تسكت أو تخفف من احتجاجات الضمير، فيزعم أن لا خيار أمام الإسرائيلي للحفاظ على حياته وبقائه إلا بإزاحة العربي أو قتله.

في قصة (أغنية الإوز) يتحدث «ران أد ليسط»، عن جنود إسرائيليين على ضفة قناة السويس بعد أن احتلت إسرائيل سيناء في عدوان حزيران١٩٦٧.

يقول أحد أبطال الرواية لزميله: «إن الإسرائيليين لو لم يكونوا قد احتلوا سيناء، أو لو لم يكونوا على ضفة القناة فإن شعب إسرائيل لن يستطيع العيش هناك داخل إسرائيل! إنك إذا لم تمت هنا، فإن شعب إسرائيل لن يعيش هناك. ثم يكمل قائلاً: إنني أُقدِّر أن وجودي هنا يمثل أفضل خيار[٣٧].

ربما تختصر مقولة هذا الجندي فلسفة التوسع الإسرائيلي؛ فإسرائيل لن تعيش إلا بالتوسع وبالمزيد من عمليات الاحتلال..!

ولقد شارك المسرح والسينما وكتب الأطفال وكتب التربية فضلاً عن القصة والرواية والشعر في عملية إسكات الضمير وتبرير العنف والاحتلال وإضفاء الشرعية عليهما بهذه الحجة الزائفة حجة «اللا خيار».

يقول الكاتب المسرحي الصهيوني حانوخ برتوف في مسرحيته «ستة أجنحة لكل واحد»: إن اليهودي مرغم على القتال ما دام العرب لا يرضون به في المنطقة[٣٨]. أي أن على العربي القبول باحتلاله لأراضيهم وإلا فليس أمامه من خيار إلا قتله..!!

وفي حديث لمعاريف يقول برتوف: المشكلة هي مشكلة وجود اليهودي.. فإذا حاربت من أجل حياتك ونجحت في التغلب على القاتل وقتله،

فإنك ستذهب إلى البيت وتبكي لأنك قتلت إنساناً.. ولكنك، من ناحية أخرى تفعل ذلك، لأنه ليس أمامك من خيار سواه، ثم ينتهي إلى النتيجة التالية: لكي نتمكن من الوجود والاستمرار فنحن مرغمون على القتال[٣٩].

أما «هازى لابين» المتخصص بأدب الأطفال فيؤكد، أن لا خيار أمام الإسرائيليين إلا خيار واحد هو مواجهة «أعدائنا العرب» بقوة وتحطيمهم، إنها حرب الحياة أو الموت فإذا أراد أحد قتلك فلا بد لك إلا أن تعجل في قتله[٤٠].

ويقول كاتب صهيوني آخر، اسمه يورام كينون، إننا مرغمون على أن نعبر طريقنا

هو الطريق العادل وليس لدينا خيار[٤١].

لقد سبق ورأينا أن يزهار سميلانسكي قد أسكت ضميره في روايته (خربة خزعة) وفي قصته (الأسير) بحجة أنه كان مرغماً على مجاراة الآخرين، ولم يكن أمامه من خيار سوى السكوت والتسليم والمشاركة بقتل وتهجير من يعتبرهم ضحايا أبرياء لم يرتكبوا ذنباً..!

فالأديب الصهيوني لا يرى حرجاً في إسكات ضميره ولا يرى تناقضاً في تبرير قتل العربي، بحجة أنه قاوم من يحاول قتله وسرقته.. بل أن الخيار الصحيح عنده، ليس في إعادة ما سلبه من العربي أو حتى مشاركته فيه بل في قتله إذا ما قاوم الإسرائيلي الذي يقتله ويحتل أرضه..! أليس هذا، هو منطق الغزاة والطغاة واللصوص عبر التاريخ؟!

أليس هذا هو منطق قابيل؟!

تستعرض الكاتبة اليهودية الأصل الدكتورة «ريزا دومب» في كتابها(صورة العربي في الأدب اليهودي) عدداً من الأعمال الأدبية الصهيونية المؤسسة لقيام الدولة العبرية في فلسطين، والتي عملت على تكريس صورة

بالغة الدمامة والقبح للعربي وأدخلتها في أذهان العالم وقناعاته وفي نسيج الثقافة اليهودية والمجتمع الإسرائيلي، فجعلت منه مخلوقاً بدائياً متخلفاً عدوانياً قبيحاً معاد للحضارة والتطور. بل جعلته أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.. فقد شبهت هذه الأعمال العرب بالكلاب، والحمير، والديدان والأشباح والمخلوقات الشريرة العدوانية.. وأسقطت عنهم صفة الإنسان وحقوق الإنسان.

في استعراض الكاتبة لصورة العربي في الأدب اليهودي تتحدث عن عملين أدبيين للروائي الصهيوني «موشي ستافي»، هما (الضيف) و(القرية)، حيث يدخل فيهما الكاتب عالم الحيوانات - الكلاب - فيمنحها صفات بشرية، أقرب ما تكون إلى صفات الإنسان العربي. إن من يقرأ قول ستافي هذا عن الكلاب: «كان يمكن للكلاب أن تعيش لولا مزاجها المتقلب وغضبها غير العقلاني..» سيكتشف في هذا القول إشارة واضحة وانتقاداً للخصائص العربية الغريبة عن عقلية الغربيين والتي يعتبرها ستافي حائلاً دون تفاهم العرب واليهود[٤٢]، ويدرك أنه لا يعني الكلاب، بل يقصد سكان القرية العربية.

وتنقل الكاتبة نظرة كل من «شامي» و«موشي سميلانسكي»، إلى العربي، فترى أنهما يصوران العربي في أعمالهما الأدبية، بأنه مجرم بالفطرة، وأن هناك شيئا في تكوينه النفسي والعقلي يدفعه إلى ارتكاب الجريمة[٤٣].

فحمدان بطل رواية شامي (تل المحبة) مخلوق انفعالي عدواني أناني شرير مجرد من المشاعر والقيم الإنسانية، إنه يقتل أخاه، لمجرد أنه لم يجبه عندما سأله عن البندقية والسيف والسرج التي ورثها عن أبيه[٤٤].

وفي قصة سميلانسكي (بسبب امرأة) يبدو العربي مزاجياً سريع الغضب متهوراً ميالاً للعنف وارتكاب الجريمة لأتفه الأسباب، بل إنه يقتل

الآخرين لمجرد التسلية، فابن الشيخ في هذه القصة، يقتل أباه بالسيف لأنه منعه من معاشرة راقصة قابلها في اليوم السابق![٤٥].

وفي قصته (امرأة الشيخ ومهره) و(محمد عذرا)، يسيء العربي معاملة المرأة ويرغمها على ما لا تريده ويبيعها كما يبيع الحمير[٤٦].

وتنقل الكاتبة دومب عن زراحي بعض ما وصف به العربي، فقد وصفه «بالإسماعيلي القذر» نسبة إلى إسماعيل جد العرب، وصور القرويين العرب بالجنوح والفظاظة والنفاق والقسوة واللصوصية والسرقة وانعدام الحس الإنساني وسلب حتى الموتى لباسهم وحليهم[٤٧]. كما تنقل عن «راينوفيتش» في رواية (عماسي الشومير) وصفه للعربي بالنشاز، وبأن العرب لهم تكوين نفسي وعقلي غريب ومحير، فكل واحد يسير في اتجاه مختلف عن الآخر، معللاً ذلك بتعودهم على الكذب والخداع[٤٨].

هذه هي الصورة التي أرادها الأدب الإسرائيلي ورسمها، للإنسان العربي وعمل على تكريسها في أذهان العالم وأذهان المجتمع الإسرائيلي وبثها في كتب الأطفال وفي الفنون ومناهج التعليم وفي الإعلام والأمثال الشعبية..

أما صورة اليهودي في هذا الأدب فهي على النقيض من صورة العربي: إنسان متفوق، خارق الذكاء، واسع الحيلة، سريع البديهة، قوي يتصف بالشجاعة والإقدام والاستقامة والحس الإنساني والثبات على المواقف، وهو بفطرته مهيأ للتطور والإبداع والابتكار، فضلاً عن تكامله الخلقي والجسدي، بل هو باني الحضارات الأولى في مصر وبابل، والشرق القديم، فاليهود، هم بناة الأهرامات في مصر وبناة المعابد والهياكل والزيغورات والمعالم الحضارية في بابل حسب المزاعم الصهيونية.!!

هاتان الصورتان العنصريتان المصنوعتان والمتناقضتان، لكل من العربي واليهودي والتي رسمها الأدب الصهيوني وصممها مسبقاً وعمل على

تكريسها في أذهان وقناعات الأجيال والناشئة الإسرائيليين، أدتا إلى صناعة جيل إسرائيلي عنصري، عدواني ومتعال ومنغلق على نفسه وعلى إحساسه المرضي بالتفرد والتفوق والتكامل؛ جيل يحتقر الآخر - لاسيما العربي - ويستهين به وبكرامته وإنسانيته وحياته وجعلت منه في الوقت نفسه مخلوقاً توهمياً يعيش في حالة من التوهم وخداع النفس وفي حالة من النشوة العنصرية والإحساس المرضي بالتفوق والتفرد والتكامل، الذي يطلق عليه علماء النفس «المايوبيا» مما أقام بينه وبين الآخر المختلف، جداراً من العزلة والرفض والإلغاء وعدم القبول أو الاعتراف بالندية وأسهم في تشكيل شخصية إسرائيلية تتسم بالعدوانية والتسلط والتعصب والانغلاق حسب قول جورج تامارين رئيس قسم لجنة حقوق الإنسان الإسرائيلية سابقاً(٤٩).

أدب الأطفال وزراعة الكراهية والأوهام:

لم يقف الأدباء المؤسسون للحركة الصهيونية عند الإسهام في صياغة وتشكيل جيل من الرواد الصهاينة، تزخر نفوسهم وعقولهم بنزعة العنف والكراهية والعنصرية والتعالي واحتقار العربي وإنكار حقوقه وإنسانيته، وقسر الحقائق وتزويرها لصالح الأهداف والأطماع الصهيونية وتثبيت دعائم الدولة الإسرائيلية في فلسطين، بل حرص هؤلاء الأدباء على أن يجعلوا من إيديولوجية الكراهية والعنصرية والعنف والتعالي نهجاً وأسلوباً تؤمن به وتتبناه الأجيال الصهيونية اللاحقة، وتتغذى منه وذلك عن طريق صياغة أدب مخصص للأطفال وطلاب المدارس، يزرع في نفوسهم وعقولهم بذور العنف والكراهية والعنصرية ونزعة التعالي واحتقار من ليس يهودياً وبخاصة الإنسان العربي؛ فقد تجند عدد من كتاب أدب الأطفال الإسرائيليين للقيام بهذه المهمة، فكرسوا نتاجهم لخدمة أيديولوجية العنف والكراهية والتعالي وتغذية نزعة التفوق العنصري وترسيخها في البنية العقلية والسلوكية للأجيال الإسرائيلية المتعاقبة. وقد أسرفوا في رسم صورة الطفل اليهودي فجعلوه أقرب إلى

الإنسان الأسطوري حين سلبوه مزايا الطفولة وغذوه بأوهام التفوق والتمايز عن بقية أبناء البشر وحقنوه بمشاعر الكراهية والبغضاء والعنصرية ونزعة الانتقام وسوّغوا له اغتصاب حقوق الآخر والاستهانة بكرامته وحياته..

فالطفل اليهودي في هذا الأدب، مخلوق جبار لا يقهر، إنه بالغ الذكاء والقوة واسع الحيلة سريع البديهة سليل شعب مختار، يجترح المعجزات ويصل إلى أهدافه بسهولة ويسر. أما الإنسان العربي فهو في هذا الأدب، عدو بغيض قبيح غبي عنيف بدائي مخادع ذليل معاد بفطرته للحضارة والتطور لا يفهم ولا يستجيب إلا لمنطق القوة والغلبة.. وفضلاً عن هذا كله، فإنه يكره الحب والجمال وينفر من كل ما هو جميل وجديد، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير، متعلم وأُمّي..!

حتى أن هذا الإسراف في رسم صورة الطفل اليهودي والإنسان العربي، قد أثار استهجان بعض النقاد الإسرائيليين، فقد انتقدت الكاتبة الإسرائيلية «تامار مازور» في مقالة نشرتها صحيفة هاآرتس في ١٩٧٤/٩/٢٠ هذه الكتب المسرفة في تصوير الأطفال اليهود بأنهم جبابرة عظماء لا يقهرون، يهزمون بسهولة ويسر أعداءهم العرب الأغبياء، المغفلين، العنيفين الذين يقتلون اليهود لمجرد المتعة!![٥٠].

هذا الأدب العنفي المسرف في التزييف وصناعة الأوهام، أسهم إلى حد كبير في إعادة استنساخ الجيل المؤسس للحركة الصهيونية، عبر الأجيال الإسرائيلية التالية التي تبنت وانتهجت سياسة العنف والكراهية والعنصرية والقوة والتعالي والمكابرة التي تبنتها الحركة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني بخاصة، وضد الشعب العربي بعامة.

من أشهر الأدباء الإسرائيليين الذين كرسوا أدبهم لهذه المهمة ومن أكثرهم رواجاً بين صفوف الناشئة الإسرائيلية كاتبان يكتبان باسمين مستعارين، أحدهما يسمى «هازي لابين» وأسمه المستعار (ايدوستير) ويعني

المتكتم، وبطله (أوز يا أوز) أي القوي الشجاع، والثاني يسمى «شراجا أغافني» واسمه المستعار (أن ساريج) ويعني الشبكة القوية الفعالة، وبطله (داندين) أي الطفل الخفي. وتدور أحداث قصصهما حول مغامرات وبطولات هذين الطفلين المعجزتين ضد العدو العربي..

يقول الكاتب شراجا أغافني: إن هدفه الرئيسي من وراء هذه الكتب هو تغذية الأطفال بحب أرض إسرائيل وإبراز الصفحات المجيدة لشعب الأنبياء كي يكون الطفل الإسرائيلي مثل بطل القصة[٥١].

أما الكاتب هازي لابين فيقول: كنت أسأل نفسي باستمرار ماذا يمكن أن اقرأ لو كنت طفلاً أعيش مثل هذا الواقع؟! ثم يجيب: نحن نعيش في زمن صراع مع العرب، نعيش فيما يمكن أن نطلق عليه (حقول الدم)، لهذا نجد من واجبنا أن نبتعد عن كتابة القصص الجميلة التي تتحدث عن الفراشات والزهور.. ويمضي قائلاً كاشفاً عن الهدف الحقيقي لكتابته: «إنني أريد أن أخلق الجيل الذي ينتقم لي ويأخذ بثأري، وهذا الجيل، هو مئات الآلاف من القراء الأطفال الذين يتهافتون على قراءة كتبي! لكن الكاتب الذي كرس أدبه للعنف ضد العرب ولزراعة كراهيتهم والثأر منهم، يتجاهل أنه يدعو إلى الانتقام والثأر من ضحايا الصهيونية التي سلبتهم أرضهم وديارهم ومنازلهم وفتكت بهم وأرغمت من بقي منهم حياً على الفرار والتشرد دون ذنب ارتكبوه سوى أنهم دافعوا عن حقهم في الحياة..!!» وعندما سئل عن هذه المؤلفات الحاقدة التي تغذي الشعور بالنقمة والحقد والجريمة لدى الأطفال، أجاب: «هذا هو مشهد الحرب التي نخوضها ضد أعدائنا ولا يوجد أمامنا خيار إلا مواجهتهم وتحطيمهم»[٥٢].

ألا يشبه منطق هذا الكاتب منطق اللص الذي يسطو على بيتك وممتلكاتك، ثم يقتلك إذا قاومته بحجة أنه يدافع عن نفسه ضد من يعتدي عليه؟!

في كتابه (الجواسيس الشباب)، يتحدث هازي لابين عن الطفل الإسرائيلي الأسطوري (أوز يا أوز) الشجاع الذي لا يهاب ولا يقهر والذي يقوم بمغامرات أسطورية يقتحم في بعضها موقع أحد الحراس المصريين في سيناء، مستغلاً هذا الاقتحام المزعوم ليصف الحارس المصري العربي بأقبح الأوصاف والنعوت المنفرة التي درج الأدب الإسرائيلي على إلصاقها بالعربي. فهو بشع، منفر بشاربه الأسود الكثيف وعينيه القاسيتين العدوانيتين وأسنانه التي تشبه أسنان الذئب المفترس(٥٣).

وفي قصة (داندين في مهمة) لشراجا أغافني، يتمكن الطفل داندين المعجزة من الهبوط بالبارشوت على الإذاعة الأردنية فيحتلها بسهولة ويُسر ويبعث البلبلة والاضطراب في صفوف العاملين فيها، وحين يسأله الحراس عن هويته يدعي أنه الملك الأردني فيصدقوه ويصدقه مدير الإذاعة الذي يصرخ في وجوه الحراس المرتبكين موبخاً وشاتماً لهم لأنهم أغلقوا الباب في وجه جلالة الملك. ومن غريب المصادفات أن الملك الأردني يصل إلى الإذاعة في الوقت الذي اقتحمها داندين، فيختلط الأمر على الحراس وعلى العاملين في الإذاعة، عندها يستغل داندين هذا الارتباك فيدخل إلى الاستدوديو دون أن يراه أحد فيتحدث من الإذاعة الأردنية، ممجداً أرض إسرائيل وشعبها قائلاً: «إلى كل أرض إسرائيل، أرض العهد القديم.. إن شعب إسرائيل في أرض إسرائيل، هو وحده الذي يستطيع أن يحيل هذه الأرض إلى جنات، لذا يجب أن نحرر وطننا من نير واستعباد العرب الذين غزوها والذين يريدون أن يجعلوها جزءاً من الأرض العربية، إن علينا أن نعود إلى هذه الأرض، إلى شعبنا، شعب الله المختار، ثم يوجه خطابه إلى الجنود الإسرائيليين قائلاً: يا جنود إسرائيل أن أرض الوطن تنتظركم بشوق، فتقدموا لتحرروا الأرض، كل الأرض».!!(٥٤).

بهذه الإنشائية السطحية، وبهذه القسرية، وبهذا التزييف والتزوير والحط من شأن، العربي، من عقله ومداركه وإرادته، وبهذا التباهي المبتذل بقدرات الطفل اليهودي الخارقة، وبهذه الأوهام والمقولات الزائفة المضللة (أرض إسرائيل، شعب الله المختار، شعب الأنبياء، العرب الغزاة..) تُحشى عقول وأذهان الأطفال الإسرائيليين..!!

لهذا الكاتب قصص أخرى تؤكد المفاهيم والأهداف والمقولات الصهيونية نفسها، نقتطف من إحداها، المقاطع التالية وهي بعنوان (داندين في البحر) وتدور أحداثها حول عملية يقوم بها داندين على ظهر الباخرة المصرية محروسة، يحصل بها على وثائق بالغة الأهمية..

وقف الطفل داندين أمام الضابط الإسرائيلي، وقال بانضباط: أمرك يا سيدي:

قال الضابط: أمامك عملية خطيرة، قال داندين: أنا جاهز يا سيدي.

قاد الضابط داندين إلى غرفة العمليات وأطلعه على تفاصيل العملية وشرح له الصعوبات التي ستواجهه.. فقال داندين: لا تخش شيئاً يا سيدي وانطلق حتى تسلق جدران الباخرة المصرية المحروسة دون أن يراه أحد.. وأخرج الخريطة من جيبه، حدق فيها بعض الوقت ثم طواها ثانية وأعادها إلى جيبه..

كان على ظهر الباخرة ثلاثة جنود يراقبون؛ فلما رأوه صرخ أحدهم: جِنٌّ، جِنٌّ،!! العفاريت على سطح الباخرة!.. وجد داندين أن هذا يمكن أن يساعده في تنفيذ مهمته، فأخرج الخريطة وأخذ يلوح بها في الهواء، فصاح الجندي: انظر، انظر ورقة تقف لوحدها في الهواء، هذا مستحيل، هذا مستحيل... ثم هرول الجنود الثلاثة باتجاه كبين القيادة وهم يصرخون: جِنٌّ جِنٌّ، العفاريت تسكن معنا على ظهر الباخرة.. فيهرول داندين بسرعة كبيرة

خلفهم، وما أن فتح الباب، حتى كان داندين أول من يدخل، في حين وقف القائد، ذو الشارب الكث الأسود ينظر إلى الجنود باحتقار ثم يبصق في وجوههم ويقول: حمقى، جبناء، أغبياء... ما هذا؟

قال الأول: العفاريت، تسكن معنا على ظهر الباخرة يا سيدي.

حدق فيه الضابط بغضب وصاح: اخرس، لا أريد أن اسمع هذا الكلام ثانية.. ثم أمرهم بالانصراف، فانصرفوا.. وبقي داندين وحده في مواجهة هذا الضابط المرعب، عينان تقدحان شرراً ووجهه الأسمر المتغضن كأنه وجه أسد هرم، يزفر كما تزفر الأفعى الهندية، ويكز على أسنانه، كأنه يريد أن يحطم كل شيء أمامه.

تساءل داندين عن هذا الوحش، تراه شجاعاً حقاً، أم أن هذه الأمارات ما هي إلا إمارات الجبن والغباء، وأراد أن يجرب معه الورقة إياها، فأخرج الخريطة من جيبه وأخذ يلوح بها، وما هي إلا لحظات حتى كان الوحش يتهاوى أمام داندين وهو يصرخ: النجدة.. النجدة.. الشياطين تحاصرني، النجدة.. حينها اندفع الجنود الثلاثة بسرعة البرق إلى قائدهم فحملوه وأخرجوه وهو لا يستطيع الحراك، لقد تجمدت أوصاله وعقد لسانه وأصبح يهذي بكلمات لا معنى لها.. أما داندين فقد استغل الفرصة وأخذ يبحث بدأب عن مكان الوثائق الهامة التي تطلبها القيادة، وهكذا يستطيع هذا الطفل المعجزة أن يصل إلى الباخرة وأن يزرع الرعب والهلع في نفوس طاقمها وأن يحصل على الأوراق والوثائق المطلوبة ولم تمض لحظات حتى كانت أمام الضابط الإسرائيلي المسؤول، وكان داندين يقف أمام الضابط يؤدي له التحية ويقول كلنا في خدمة إسرائيل وشعب إسرائيل يا سيدي!![٥٥].

وفي قصته (الأميرة والقمر)، يغذي الكاتب الأطفال الإسرائيليين ويشحنهم بشحنة قوية من العداء والكراهية والأكاذيب ضد العرب الذين

يتهمهم الكاتب بأنهم لصوص مجرمون وأنهم ضد كل ما هو جميل ومضيء من خلال زعمه أنهم سرقوا القمر ليجعلوا الظلمة تعم «أرض إسرائيل» ولكي يعلقوه على جدران بيوتهم ويحرمون منه ومن ضوئه الآخرين.. رامزاً بالقمر إلى الشعب اليهودي الذي غاب عن فلسطين ثم عاد إليها على يد الصهيونية التي أعادته وبعثته من جديد..

في هذه القصة تسأل الصغيرة الإسرائيلية «لي»:

من الذي سرق القمر؟

ويكون الجواب: العرب

فتقول: ماذا يفعلون به؟

يجيب الكاتب: إنهم يعلقونه على جدران بيوتهم. ويمضي قائلاً: منذ ذلك الوقت والصغيرة تحلم بالقمر وتكره العرب، لأنهم سرقوا حلمها وحلم آبائها.. وهنا يجيء المنقذ الصهيوني ليسترد القمر من يد «الأشرار العرب» ويعيده إلى مكانه فينعم الناس بالضياء.

ويتابع الكاتب: بعد أن سرق العرب القمر، جاء أمير يهودي صغير إلى بيت الصغيرة قائلاً لها: هل تقبلون بي ضيفاً؟ فترحب به الصغيرة شريطة أن يُعرِّف بنفسه، فيقول: أنا فارس من فرسان هذه الأرض محارب قديم من أرض إسرائيل مت صغيراً، لكنني أخرج مرة في العام وأطوف في هذه الأرض وأسال أن كان شعبي يسكنها أم لا.

قالت الصغيرة: نحن شعبك وأنا حبيبتك أيها الأمير.

قال الأمير: ما أروعك! إنني أطلبُ منك الملجأ لليلة واحدة، فتفتحين لي قلبك، أنت حقاً يهودية.

قلت: نعم، كلنا هنا شعب إسرائيل.

حينها يضرب الأمير الصغير، الأرض برمحه ويقول: إذن لقد تحقق الحلم، الآن أستطيع أن أعود إلى قبري مرتاح البال. فتتشبث به الصغيرة وتقول: لا.. لم يتحقق الحلم بعد.

يقول الأمير: كيف؟ قالت: لقد سرقوا القمر.

قال الأمير وهو يضرب الأرض برمحه مرة ثانية: من.؟

قالت: العرب

وهنا يبصق الأمير على الأرض ويقول:

الجبناء، كلهم لصوص، قتلة.. لكن لا بأس..

سألت الصغيرة: وماذا ستفعل؟

قال الأمير: انتظريني الليلة، وسأعود لك بالحلم الجميل..

انتظرت الصغيرة وألقت رأسها على إطار النافذة، وظلت تنظر إلى السماء ومرت الساعات، ونام الأطفال والرجال والشيوخ والنساء، لكن الصغيرة ظلت تنتظر، لم تيأس ولم تستسلم للنوم، لأنها تعرف أن أطفال شعب إسرائيل لا يكذبون.

وبعد منتصف الليل بقليل، انشقت الغيوم فجأة ورأت القمر لأول مرة رأته جميلاً ورائعاً، حدقت فيه طويلاً، ثم ركضت إلى أبيها وقالت: استيقظ يا أبي، استيقظ..

وقادته إلى النافذة وقالت: انظر يا أبي، هل هذا هو القمر، أم وجه الأمير الصغير فيجيبها الأب: يا ابنتي الذي سرق القمر، هو الذي قتل الأمير الصغير.

وينهي الكاتب قصته قائلاً. لم تبك الصغيرة، فقد تحقق حلمها وأشرق القمر على أرض إسرائيل(٥٦).

من المفارقات في هذا الكم الهائل من الكراهيـــة والبغـــضاء والعنـــف وتزوير الحقائق وضخ أذهان الأجيال الإسرائيلية وشحنها المتواصـــل بهـــذا القدر الكبير من الأوهام ومن التحريض علـــى القتـــل والتنكيـــل والاحـــتلال والاستهانة بكرامة الإنسان العربي وإنسانيته والحط من شأنه وتشويه صورته وحشره في عداد المخلوقات القاصرة المتوحشة المعادية بفطرتهـــا للحـــضارة والتقدم العاجزة عن التطور.. وتجنيد السياسة والدين والفكر والفن والإعـــلام والأدب والمال في خدمة أيديولوجية الحقد والكراهية والعنف والتوسع هـــذه.. من المفارقات في هذا كله، أن يتجاهل العالم هذا الخطاب التربوي العنصري العدواني، ويتجاوزه، بينما يُطَالَب العرب بمحو كل ما يـــشير إلـــى أطمـــاع إسرائيل وجرائمها، أو إلى ما في هذا الخطاب من حقد وكراهية وعنـــصرية وغطرسة وتوحش وتحريض على العنف والعدوان والانتقام والاحتلال ومـــا فيه من تشويه للحقائق وتزوير للتاريخ وأن يطالبوا بتعديل المناهج التعليميـــة والحقائق التاريخية بما يتفق مع المطالب والمطـــامع الإســـرائيلية، وبتبـــديل الخطاب السياسي والفكري والديني والأدبي العربي الـــذي يتنـــاول بالنقـــد، أيديولوجية الكراهية والعدوان والتوسع الإسرائيلية..!

* * *

حواشي ومراجع
الفصل الثالث

١ - اقتباس من كتاب إسرائيليات لأحمد بهاء الدين، كتاب الهلال، العدد ١٦٨ والآثار الكاملة لغسان كنفاني، دار الطليعة، بيروت، مجلد ٤، ط.٢، في الأدب الصهيوني ومجلة أقلام العراقية عدد حزيران ١٩٧٩، ص:٣٩ وما بعدها.

٢ - الآثار الكاملة غسان كنفاني، مرجع سابق.

٣ - خربة خزعة، يزهار سميلانسكي، ترجمة توفيق فياض، دار الكلمة، ط١ بيروت، ١٩٨١، ص:٤ و٢٩ و٤٠ و٤١ و٥٤ و٥٥ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ و١٠٧ و١٠٨و١١١.

٤ - المرجع السابق، ص:١١٩.

٥ - المرجع السابق، ص:٤١.

٦ - المرجع السابق، ص:١٢٢ -١٢٤.

٧ - حرب الثمانين يوماً، خليل السواحري، دار الكرمل، ط١ عمان، ١٩٨٥، ص:٤٤.

٨ - قصة الأسير، ترجمة محمد عفيفي مطر، مجلة أقلام، عدد٧٢ حزيران ١٩٧٩، ص:١٦٤ -١٧٢.

٩ - المرجع السابق، ص: ١٧١.

١٠ - المرجع السابق، ص: ١٧١.

١١ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، وليد أبو بكر، دار الكرمل، عمان ١٩٩٦ ص:٤٠ والشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، غانم مزعل، دار الجليل ط١، عمان، ١٩٨٦، ص: ١٠٦.

١٢ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ٦٢ -٦٣.

١٣ - الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، غانم مزعل، دار الجليل ط١ عمـــان، ١٩٨٦، ص: ١١٥ -١١٨.
١٤ - مكان تحت الشمس، بنيامين نتنياهو، ترجمة محمود عودة الـــدويري، دار الجليـــل عمان، ١٩٩٥، ص: ٢٩٢ -٢٩٣.
١٥ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ٢٩.
١٦ - المرجع السابق، ص: ٣٥ -٣٦ عن أنطوان شلحت، شخصية العربـــي فـــي الأدب العبري.
١٧ - الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، ص: ١٥٠ -١٥١.
١٨ - المرجع السابق، ص: ١٦٠.
١٩ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ٣٦.
٢٠ - صوت فلسطين عدد ١٨٩ تشرين أول، ١٩٨٣، ص: ٧٠ -٢١.
٢١ - المرجع السابق، ص: ٧٠.
٢٢ - صورة العربي في الأدب اليهودي، د. ريزا دومب، ترجمة عارف عطـــاري، دار الجليل ط٣، عمان، ١٩٨٥، ص: ٧٠ -٧١.
٢٣ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ٦٧.
٢٤ - الأدب الصهيوني بين حربي حزيـــران ١٩٦٧ وتـــشرين أول ١٩٧٣، المؤســـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص: ٩١ -١٢٤.
٢٥ - الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، ص: ٨٩ -٩٧.
٢٦ - المرجع السابق، ص: ١٢٠.
٢٧ - المرجع السابق، ص: ١٢٢.
٢٨ - المرجع السابق، ص: ١٣٨.
٢٩ - الحروب الصليبية، ترجمة غالب هلسا، مجلة أقلام العراقيـــة، عـــدد ٧٢ حزيـــران ١٩٧٩، ص: ١٢٠ -١٣٩.
٣٠ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ١٨٢.
٣١ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، روجيه غارودي، دمشق ١٩٨٤، ص: ٤٥.

٣٢ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ١٠١ وصورة العربي في الأدب الإسـرائيلي ص: ٧١.

٣٣ - المرجع السابق، ص: ٨٨ والأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام مرجـع سـابق، ص: ٦٦ -٨٨ وصوت فلسطين عدد١٨٩، ١٩٨٣، ص: ٩٦.

٣٤ - صوت فلسطين، عدد ١٨٩، ١٩٨٣، ص: ٦٨ -٦٩.

٣٥ - الاستيطان في الأدب الصهيوني، عبد الوهاب وهب الله ، دار الكلمة ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ص: ١١٧ -١٣٢، صوت فلسطين عدد ١٨٩، ص: ٧٠

٣٦ - رواية تهلة، ترجمة غالب هلسا، مجلة أقـلام، عـدد ٧٢، حزيـران ١٩٧٩، ص: ١٤٦ -١٤٨.

٣٧ - الأدب الصهيوني بين حربي حزيران ٦٧وتشرين أول ٧٣، مرجـع سـابق، ص: ١٨٤ -١٨٥.

٣٨ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٢٠٩ -٢١٠.

٣٩ - جريدة معاريف الإسرائيلية في ١٩٥٩/٥/٩.

٤٠ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٧٠.

٤١ - المرجع السابق، ص: ٢١٠ عن معاريف ١٩٦٩/٤/٢٥.

٤٢ - صورة العربي في الأدب اليهودي، مرجع سابق، ص: ٧٠ -٧١.

٤٣ - المرجع السابق، ص: ١٠٨.

٤٤ - المرجع السابق، ص: ١٠٨.

٤٥ - المرجع السابق، ص: ١٠٨.

٤٦ - المرجع السابق، ص: ١٣٩.

٤٧ - المرجع السابق، ص: ١١٠.

٤٨ - المرجع السابق، ص: ١١١.

٤٩ - الصهيونية والعنصرية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، م١، ١٩٧٧، ص: ١٠٦.

٥٠ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٦٨ -٧٠.

٥١ - المرجع السابق، ص: ٦٨ وما بعدها.

٥٢ - المرجع السابق، ص: ٦٨ -٧٠.

٥٣ - المرجع السابق، ص: ٧٠.

٥٤ - المرجع السابق، ص: ٧٠ -٧١.

٥٥ - المرجع السابق، ص: ٧٦ -٧٧.

٥٦ - المرجع السابق، ص: ٧٥ -٧٦.

* * *

الفصل الرابع
العنف في الشعر الصهيوني

عندما نذكر الشعر أو نتحدث عنه، يتبادر إلى الأذهان والحواس ذلك التدفق المضيء والمنعش من المشاعر الإنسانية السامية والعنصر السحري الذي يبعث النشوة والدفء في شرايين الحياة ويجدد شبابها ونضارتها ويشيع فيها الحيوية والأمل كلما صدئت وكلما خبا فيها الحس الجمالي والإنساني وعكرتها الأهواء والأطماع والجشع ومشاعر الكراهية وحب الغلبة ونوازع الشر، هذا العنصر الذي يمنحها المعاني التي تجعل منها هدفاً عظيماً وقيمة تستحق أن نعيشها ونصونها ونكافح من أجلها.

نكتشف هذا حين نتصفح سجل البشرية الشعري وما يحتويه هذا السجل من المشاعر والمعاني والرؤى والقيم الجمالية والأخلاقية السامية سواء كان شعراً قديماً موغلاً في القدم، قادماً إلينا من فجر الحياة، من بساطتها وعفويتها ونضارتها، أو كان شعراً معاصراً خارجاً من تعقيدات هذا العصر ومن تشابكاته وهمومه وعبثيته..!

وإنَّ من يقرأ شعر القدماء في بلاد ما بين النهرين وفي مصر وبلاد كنعان أو في غيرها من بلدان الشرق القديم، سيكتشف هذا المخزون الحافل بالمعاني والرؤى والمشاعر والقيم الجمالية والأخلاقية السامية، ويلمس التعاطف الحميم مع البشر ومع المخلوقات والكائنات كلها، والذي قدَّم للبشرية أول بواكير تفتح إنسانية الإنسان.. وأقدم أشكال البوح والتعبير الفني، عن ارتعاشات المشاعر البشرية وعن أكثرها رقة ودفئاً وحُنواً ورحمة وسمواً وتعاطفاً مع المظلومين والمقهورين والمحرومين وأقواها نفوراً وشجباً

لمظاهر القسوة والظلم والكراهية والتعالي والاستغلال، وكل ما من شأنه أن يعكر صفو الحياة أو يفسدها أو يشوه جمالها.

فالشاعر السومري أو الشاعر البابلي، أو الكنعاني أو المصري القديم، قَدمَّ لنا في ملاحمه وأساطيره، أول تصور عن نشأة الكون والكائنات وصاغ أول الضوابط والنواظم للسلوك البشري وأسهم في انتقال الإنسان من مرحلة الهمجية والبدائية، إلى مرحلة التحضر، ومن العشوائية والغفلة والفوضى، إلى التنظيم والانضباط والتساؤل والتأمل والابتكار وعمل على إعطاء معنى وقيمة للوجود البشري وعلى تطوير الحياة وتجديدها وابتكر آلهته وقسم أعمالها ووظائفها وحملّها قيمه ومثله ومطامحه ومشاعره الإنسانية وأوكل إليها مسؤولية تنظيم شؤون الكون والحياة ومسؤولية تطويرها والحفاظ عليها، ومجّد أعمالها النافعة وأشاد من خلالها بمشاعر العدل والرأفة والاستقامة والحنان والانتصار للحق والحرص على الحياة، وجعل من نفسه رقيباً على سلوك الآلهة والحكام، فحكم لهم أو عليهم، وجعلهم عرضة للمساءلة والمحاسبة والقصاص إذا ما قصروا أو تخلوا عن مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه البشرية وتجاه الحياة أو جعل منهم موضوعاً للتمجيد والثناء إذا ما نهضوا بهذه المسؤوليات وهذه الواجبات.

ورغم أن الشاعر أو الإنسان السومري أو البابلي أو المصري أو السوري القديم، قد عاش في زمن الآلهة وفي ظل الحاكم المطلق المستبد؛ فإنه لم يصمت ولم يتخل عن دوره وعن مسؤوليته تجاه الحياة وتجاه الناس أو عن حماية قيم العدل والحق والاستقامة والرحمة والرأفة؛ فلقد صب غضبه وأنزل عقابه الشعري الصارم على الحكام؛ بل وعلى الآلهة حين كانوا يَشْتطّون في الحكم، وينقادون للأهواء والشهوات، أو يمارسون القسوة والبغي والتعسف.

فالإله «إنليل» كما ورد في ملحمة جلجامش - رغم مكانته الرفيعة بين آلهة الشرق القديم، يتعرض للمحاسبة والتقريع والعقاب الشديدين؛ فيطرد من

مجمع الآلهة إلى العالم السفلي (الجحيم) بسبب انقيـاده لـشهواته ونزواتـه، حين اغتصب الإلهة الشابة ننليل، وينزل به أشد العقاب مـرة أخـرى، لأنـه قسا واشتط وأمر، في حالة من حالات الغضب والتسلط والتـسرع بـإغراق الأرض والأحياء بالطوفان غير آبه بمصير البشر والمخلوقات، مما يـذكرنا بقصة آدم وإقصائه من الجنة إلـى الأرض لأنـه عـصى ربـه واستـسلم للغواية..!

يخاطبه الشاعر كاتب ملحمة جلجامش، بلسان الآلهة، نازعاً عنه صـفة الألوهية:

يا إنليل، أيها الفاسق

اخرج من المدينة

اخرج أيها الخليع من المدينة..

ثم يُطرد إلى الجحيم السومري(١).

إن صفة الألوهية، لم تحم الإله إنليل، ولم تعفه من المـساءلة والإدانـة والعقاب في نظر الشاعر ما لم يمارس العدل والاستقامة الرأفة، ويبتعد عـن الشطط ويحرص على الحياة وعلى ازدهارها، ثم إن هـذا الـشاعر الـذي يُظهر حرصه على الاستقامة وغيرته وجزعه على الحيـاة وعلـى مـصير البشرية، ويبتدع من مخيلته تلـك الأسـطورة ومـسألة القـصاص وإنـزال العقاب بكل من يعكرها أو يسيء إليها، يبدو شديد الجـزع والحـرص علـى استمرار الحياة وعلى مصير البشرية، من القسوة والأهواء والـشطط حـين أوكل في هذه الأسطورة إلى الإله «إيا» مسؤولية الحفاظ على بـذرة الحيـاة ومهمة حملها على ظهر سفينة الطوفان، بعد أن قـرر الإلـه إنليـل تـدمير الحياة البشرية وإغراق الأرض بالطوفان في حالـة مـن حـالات غـضبه ونفوره.

حملت جميع بذور الحياة

مواشي المزارع

حيوان البر

كل الصناع[٢] .

حتى الإلهة عشتار ربة الحب والخصب والمكيدة، لا تنجو من النقد والإدانة والتجريح بلسان جلجامش ملك أوروك وبطل ملحمة جلجامش المشهورة بفعل سلوكها المشين وشهواتها وغرورها وانقلابها على من تحب، غير آبه لطبيعة الإلوهية[٣].

فحين تشكو جلجامش لأبيها «أنو» إله السماء، يوبخها على أعمالها القبيحة المستهجنة وعلى تصرفاتها المدنسة بقوله:

لقد جلبت هذا التوبيخ لنفسك

لهذا تكلم «جلجامش» عن أعمالك النتنة

عن تصرفاتك الكريهة

وعن دنسك..[٤].

إلا أن هذا الشاعر الذي يتوارى خلف هذه الأساطير وما تحمله من قيم ورموز ومعان فكرية وإنسانية، وينزل العقاب الصارم حتى بآلهته ويحصبها بغضبه إذا ما جنحت أو تعسفت أو انقادت لأهوائها أو تسببت بإفساد الحياة، لا يتوانى عن كيل المديح والثناء عليها، إذا ما حرصت على الحياة واحتضنت البشرية وحمت الحياة من العبث والأذى.

إنه يُمجّد الإلهة «نانشة» وينوه بعدالتها وحنوها ورأفتها بالأيتام والأرامل والضعفاء ويعدد صفاتها الحميدة مزهواً بهذه الصفات التي أصبغها عليها، في هذه الترتيلة السامية التي نهلت منها البشرية جميعاً:

هي التي تعرف اليتيم

وتعرف الأرملة

وهي التي تعرف اضطهاد الإنسان للإنسان

وهي أم اليتيم..

الإلهة «نانشة» التي تُعنى بالأرملة وتنشد العدالة

وتأوي اللاإذين بحضنها وحماها

وتهيء المأوى للضعفاء...!(٥).

بل أن أحد هؤلاء الشعراء القدماء، يرتقي بنا وبالحس الإنساني إلى مستوى يذكرنا بحنو السيد المسيح ومقولاته في التسامح والصفح والتي لا يجد أبناء هذا العصر والمنادون بالعدالة والتسامح وحقوق الإنسان، أسمى منها حين يقول:

لا تسئ إلى خصمك

أحسن لمن يسيء إليك

عامل عدوك بالعدل

التقوى تولد السعادة..(٦).

هذا الحس الإنساني السامي وهذه المُثل العليا التي وجدناها في شعر سومر وبابل، نجد ما يماثلها في السمو والتعاطف الإنساني، عند شعراء مصر القديمة، فقد حمل إلينا شعر هؤلاء أقدم وأعمق المشاعر الإنسانية وأكثرها رقةً ورحمة وحناناً وشغفاً بالعدل والفضيلة والاستقامة..

يقول شاعر مصري منذ أكثر من أربعة آلاف عام، متحسساً وجع المحرومين، موصياً مواطنيه بالرفق والرأفة بالفقراء وبمساندة المحتاجين:

أطعم الخبز لمن لا حقل له

واترك وراءك ذكراً طيباً

يبقى أبدَ الدهر[٧].

ويقول آخر في ترتيلة إنسانية سامية سبقت أمثال سليمان بأكثر من ألفي عام وقد تأثر بها واضعو هذه الأمثال على حد قول ديورانت. والتي لا نجد لها مثيلاً إلا في الكتب السماوية:

لا تطمع في ذراع من الأرض

ولا تعتدِ على حدود أرملة

واحرث الحقل حتى تجد حاجتك

وخذ خبزك من بيدرك

وإنَّ قدحاً من الحَب يعطيكه الله

لخير من خمسة آلاف تنالها بالعدوان

وإن الفقر في يد الله

لخير من الغنى في المخازن

وإن الرغيف والقلب مبتهج

لخير من الغنى مع الشقاء..![٨].

هذه المثل الإنسانية السامية التي وصلتنا من شعراء ومصلحي مصر القديمة يصفها بعض مؤرخي الحضارات بأنها «أقدم وأنبل ما عبر عنه الإنسان عن مبادئه الأخلاقية»[٩].

لقد صاغ شعراء الشرق القديم في سومر وبابل وسوريا ومصر القديمة، آلهتهم على شاكلتهم وبالصورة التي يحبونها ويتمنونها في هذه الآلهة، وحملوها

مشاعرهم ونوازعهم وقيمهم ووزعوا أدوارها وحرصوا أشدّ الحرص على أن تكون الغلبة لآلهة الرحمة والخير والعدل، كما حرصوا على الحياة وعلى أبناء الحياة، واظهروا نفوراً شديداً من آلهة القسوة والعنف، والكراهية وحب الانتقام ومن أي تصرف فيه شطط أو ضرر يصدر عن هذه الآلهة.

ولعل من أكثر من مثَّل هذا التوجه الإنساني وأضفى على إلهه – الذي اختار أن يعبده - أنبل وأسمى وأكمل الصفات، هو الفرعون الشاعر اخناتون منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة، فلقد كان هذا الفرعون الشاب يحمل قلب الشاعر الثائر وروحه ومشاعره ونزوعه إلى العدل والرحمة والاستقامة والفضيلة والجمال ويحمل ثورته وغضبه على مظاهر الظلم والقسوة والجشع والاستغلال، فأعلى قيم العدل والخير والفضيلة، ومجد الرحمة والرأفة والحنو والجمال في الإله (أتون) الذي اختاره إلهاً وحيداً للعالم كله وصوره على شاكلته، وحمّله مشاعره الزاخرة بالرأفة والرحمة الحنان والعدل والصفاء والخير والتعاطف الحميم الذي يحتضن الحياة والكائنات كلها؛ فالإله (أتون) كما يصوره هذا الفرعون الشاعر أو كما يريده أن يكون، هو إله العالم كله، إله البشر والحيوان والبنات والكائنات كلها.. وليس إله بلد واحد أو شعب واحد أو امة واحدة.. إنه إله يفيض بالضوء، والدفء والحنان على العالم كله، وينشر الرحمة والرأفة والعدل والفرح والخصب والنماء والجمال في جسد العالم ويبعث الحياة والنشوة والبهجة في أوصال الكون وفي دماء الكائنات..

لنستمع إليه في هذه القصيدة أو الترتيلة الخالدة التي يمجد بها الإله (أتون) والتي نقتطف منها:

ما أجمل مطلعك في أفق السماء

أي (أتون) الحي، مبدأ الحياة

فإذا ما أشرقتَ في الأفق الشرقي
ملأت الأرض كلها بجمالك..
ما أبهى الأرض حين تشرق في الأفق،
حين تضيء يا أتون النهار
تدفع أمامك الظلام
وإذا ما أرسلت أشعتك
وأضحت الأرضان في أعياد يومية
واستيقظ كل من عليها، ووقفوا على أقدامهم
وأخذوا في جميع أنحاء العالم يؤدون أعمالهم
واستراحت الأنعام كلها في مراعيها
وازدهر الشجر والنبات
ورفرفت الطيور في مناقعها
ورقصت كل الأغنام وهي واقفة على أرجلها
وطار كل ذو جناحين..
كلها تحيا إذا ما أشرقت عليها
إن أشعتك تُغذّي كل الحدائق
فإذا ما أشرقت، سَرَتْ فيها الحياة
أنت الذي تُنميها، أنت موجد الفصول..
إن كل ما على الأرض من دابة
وكل ما يمشي على قدمين
وكل ما هو في العلا

ويطير بجناحين

والبلاد الأجنبية من سوريا

إلى كوش وأرض مصر..

إنك تضع كل إنسان في موضعه

وتمدهم بحاجاتهم

يا خالق الجرثومة في المرأة

ويا صانع النطفة في الرجل

ويا واهب الحياة للابن في جسم أمه

يا من ينعش كل من يصنعه...!![١٠].

في هذه القصيدة التي تحمل روحية شاعر هذا الشرق ونزوعه الإنساني وتحمل إلينا أولى بواكير التوحيد، يبدو الإله «أتون» على النقيض من الإله «يهوه» كما رسمته التوراة.. فبينما يبدو أتون إلها للعالم كله، يفيض حناناً ورحمة وعدلاً وعطاء على البشر وعلى الكائنات كلها، يبدو يهوه كما رسم صورته كتبة العهد القديم - إلهاً شديد القسوة والعنف والرغبة في الانتقام، إلهاً عنصرياً لا ينال من رحمته أو عطفه أو رعايته إلا «شعبه المختار» وحده. وهو إله المعارك والحروب يقود شعبه ويأمره بإفناء بلدان وشعوب بأكملها، بكل ما فيها من بشر وشجر ونبات وحيوان.!!

لقد لفت ول ديورانت النظر إلى هذا التناقض الصارخ بين الإله «أتون» كما رسم صورته الفرعون اخناتون، بل كما أراده، وبين الإله العبري «يهوه» كما رسم صورته كتبة العهد القديم وكما أرادوه أن يكون بقوله:

«أتون لا يوجد في الوقائع والانتصارات الحربية، بل يوجد في الأزهار والأشجار وفي جميع صور الحياة والنماء، فأتون هو الفرحة التي تجعل

الخراف الصغرى ترقص فوق أرجلها والطير ترفرف في مناقعها وهو رمز للأبوة الجزعة والقلقة الرحيمة القلب ولم يكن كيهوه رب الجيوش، بل كان رب الرحمة والسلام»[١١].

لقد سبق وأشرنا إلى جملة من المزايا والخصائص التي تميز شعر هذا الشرق وتقدم صورة جلية عن نزعته الإنسانية وحرصه الشديد على الحياة، وأبناء الحياة وهي صفات ومزايا ما تزال مستمرة فيه تميزه وتمنحه الدفء الإنساني والتوهج الروحي. هذه النزعة الإنسانية نجدها مستمرة ومتدفقة في الشعر العربي قديمه وحديثه، في شعر عنترة وعروة بن الورد وزهير بن أبي سلمى وحاتم الطائي وأبي العلاء المعري وبدوي الجبل وغيرهم كثيرون.

وهنا؛ يتبادر إلى الذهن هذا التساؤل: أين موقع شعر الحركة الصهيونية التي تدعي الانتماء إلى هذا الشرق، من هذه المزايا والمعاني الإنسانية التي لمسناها في شعره!؟ وما مدى صلة شعر الحركة الصهيونية أو تأثره أو مشاركته أو تلاقيه مع هذه المزايا والصفات والقيم الإنسانية!؟ وهل تنتمي بحق، تجربة شعر الحركة الصهيونية إليه وتنهل من منابع حضارته وثقافته وقيمه ومثله؟ أم أنها غريبة عنه دخيلة عليه، تنتمي وتنهل من ثقافة مختلفة، ومن حضارة مغايرة تؤمن بمنطق القوة والتفوق والغلبة والتسلط، حضارة الحديد والاسمنت والنصال!؟ وأن مزاعمها وادعاءاتها بالانتماء إلى هذا الشرق ما هي إلا أكذوبة وغطاء وذريعة لتمويه وتبرير الاحتلال والتوسع والاستغلال والغلبة وانتزاع موقع لها في هذا الشرق!؟

الصحيح، أن الحركة الصهيونية وشعرها، لم يولدا من رحم هذا الشرق ولم ينشأا في حاضنته أو يتنفسا من مناخه الروحي والثقافي والأخلاقي، ولم ينهلا من مثله وقيمه وإرثه الحضاري؛ بل ولدا من رحم الغرب الاستعماري ونشأا وترعرعا في حاضنته وتنفسا من مناخه ونهلا من ثقافته وحضارته وقيمه ومفاهيمه العنصرية الاستعمارية؛ فالحركة

الصهيونية تفاخر بانتمائها للحضارة الغربية وبأنها تشكل قلعة متقدمة للغرب والحضارة الغربية في وجه الشرق البربري على حد قول مؤسس هذه الحركة[١٢]. بل يمكننا القول: إن الحركة الصهيونية دخيلة على روحية القيم والمثل العليا اليهودية نفسها وغريبة عن جوهر الدين اليهودي وإنها لم تأخذ من أسفار العهد القديم إلا ما يحض على العنف والكراهية واحتقار الآخر..

وفي هذا السياق، أرى أن من الموضوعية والأمانة العلمية، التفريق بين اليهودية كدين وبين الحركة الصهيونية كأيديولوجية وحركة سياسية استعمارية لها أطماعها التوسعية تحاول أن تخلط وتدمج ما بينهما على ما بينهما من اختلاف وتباين في الجوهر، خدمةً لأهدافها وأطماعها الاستعمارية التوسعية، كما أرى أن من الإنصاف التفريق بين الشعر اليهودي، بل بين بعض الشعراء الإسرائيليين وبين شعراء الحركة الصهيونية، لما بينهما من تباين واختلاف، بل يمكن القول: إن بعض الشعراء والمفكرين اليهود، هم أشد نفوراً ورفضاً للصهيونية وممارساتها العدوانية التوسعية، من بعض الأدباء والمثقفين والسياسيين العرب..!

فالشعر الصهيوني الذي هو موضوع بحثنا، هو الذي بشر بالدولة الصهيونية وروج لها وأسهم في تأسيسها وسوّغ قيامها على أنقاض الشعب الفلسطيني وعلى أرضه وممتلكاته وحقوقه، بل كان مُولدا للحركة الصهيونية وحاملاً لإيديولوجيتها ولمقولاتها وأطماعها وأوهامها وتوتراتها، ومسوغاً للأجيال الإسرائيلية أسلوب الصهيونية ومنطقها ونهجها في اللجوء إلى استخدام العنف والتنكيل بالعرب، وموقظاً في هذه الأجيال نزعة الانتقام وذاكرة الأحقاد والإحساس المرضي بالتفوق والتميز العرقي، ومذكياً في نفوسهم أوهام «الحق الإلهي» في فلسطين والتفويض باحتلال

أراضي الآخرين وممتلكاتهم ومدخلاً في روعهم، أن الخيار الوحيد لبقائهم والمحافظة على خصوصيتهم وتفوقهم وأمنهم ونقاء دمهم والكف عن اضطهادهم، هو إقامة دولتهم اليهودية في فلسطين، التي صورها مؤسسو الحركة الصهيونية، تارة بأنها خالية من السكان (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) وصوروها تارة أخرى بأنها مُحتلة ومغتصبة من قبل «الغزاة» العرب، وإن من واجبهم المقدس تحريرها واستردادها من الغزاة، أو من سطوة الشيطان(١٣).

لقد استقى الشعر الصهيوني من المفاهيم والمقولات والإرث اليهودي، ما يخدم الإيديولوجية الصهيونية وعنصريتها وعدوانيتها وأهدافها ومطامعها العدوانية التوسعية ومن الشرق القديم بدائيته وقسوته، وأغفل ما عدا ذلك من قيم الشرق ومن تعاليم الدين اليهودي وقيمه ومثله. وأخذ من الإيديولوجية الاستعمارية وبخاصة من الحركة النازية، عدوانيتها واستعلاءها وعنصريتها ومزاعمها بالتفوق العرقي وحقها بالغلبة والتوسع واحتقار الأعراق الأخرى؛ فجاء شعراً مخضباً بالعنف والعنصرية والاستعلاء والبدائية، تفوح منه رائحة الدماء والجثث المحروقة والأشلاء الممزقة، والرؤوس المقطوعة، وجاء كما سنرى، مفتقراً لمقومات الشعر الأساسية، ونموذجاً فريداً وشاذاً بين تجارب الشعر وتجارب شعر هذا الشرق، في تنكره لدور الشعر ولرسالته الإنسانية والفنية والجمالية، متباهياً بالعنف والقتل والاحتلال ورفض السلام وإظهار الجانب المتوحش المفرط في القسوة والسادية كما في هذه القصيدة للشاعر الصهيوني «يوناثان غيفن» أثناء عودته، في إجازة ، أثناء احتلال إسرائيل لجنوب لبنان:

حينما عدت من إجازتي

إلى وحدتي التي تقاتل

عند مداخل بيروت

بادرني «بوعز» بالسؤال:
كيف كانت الإجازة؟
قلت له: إن والدتي بكتْ كثيراً
لأنني لم أحضر لها
رأس أحدهم..!
والدتي بكت
لأنني لم أقتل المزيد..
قال «بوعز»
نعم إن الأمر هو كذلك
في هذه الحرب..
عليك أن تقتل
أن تكون المبادر إلى القتل..!!
حتى تعود وتقص على والدتك
أشياء كثيرة
أشياء جملية
عن الدماء، عن الدمار، عن القتل..
أشياء جملية تقصها
على كل من يريد أن يسأل..
يوسي سريد ورجال السلام الآن..
هؤلاء الخونة..
يصرخون في ساحة ملخي يسرائيل

ضد الحرب العادلة..!

اصلبوا كل الخونة

اطردوا كل الخونة

من البلاد اليهودية

لا نريد هنا

إلا كل صهيوني حقيقي

يصرخ أمام الملأ

يهودا والسامرة لنا...

وانتم يا سكان يهودا والسامرة

اجلسوا بصمت، بهدوء

وقولوا شكراً لأنكم لم ترحلوا بعد

إلى ما وراء البحر..[١٤].

لا شك أن القارئ سيقف مذهولاً أمام هذا الشاعر وحيال ما في قصيدته من مشاعر العنف والقسوة والحقد ونزعة الافتراس والانتقام والرغبة الملحة في القتل وسفك الدماء والابتعاد السحيق عن روحية شعر هذا الشرق، ولا يمكنه إلا أن يتساءل: عن طبيعة كاتبها وعن المكونات النفسية والثقافية والأخلاقية، التي كونت مادته الشعرية وقيمه وثقافته ومفاهيمه وغذت أحاسيسه وذائقته الفنية، وعما إذا كان كاتبها شاعراً، لامس قلبَه ووعيَه، الشعرُ والحب والفن والجمال والحس الإنساني؟! أم هو طاغية يدمن العنف والقتل وقطع الرؤوس ويتلذذ برؤية الدم المسفوك، أم هو جلاد لا يشوه وجه الشعر ومغزاه الإنساني والجمالي ويخون دوره فحسب، بل يشوه معنى الأمومة وجوهرها وخصائصها الحانية وقدسية العلاقة الإنسانية بين الأم

وابنها، حين تحضه على القتل وسفك الدماء، وتبكـــي لأن ابنهـــا «الـــشاعر» والعائد من إجازته من غزو بلد آخر، لم يجلب لها رأساً من رؤوس أبناء هذا البلد المحتل، هديةً تبعث الفرح والسعادة في نفسها!!..

ولعل الأمر الأكثر غرابةً وشذوذاً في شعر «غيفن» وفي موقفـــه مـــن احتلال بلد آخر ومن استباحته، ليس التباهي والتبجح والنشوة بـــاحتلال هـــذا البلد، وليس موقفه الرافض للسلام ودعوته لصلب من ينادي به من اليهود، بل غضبه وحنقه على نفسه لأنه لم يقتل المزيد ولم يحصد الكثير من الـــرؤوس، كي يعود ويقص على مواطنيه قصص القتل الجميلة والمفرحة وقدرته الغريبة على اكتشاف الجمال والوصول إلى المتعة في القتل وفي اقتلاع الرؤوس..!!

هذا النوع من الشعر وهذا النمط الفريد من الأمومـــة، الـــذي أفرزتـــه وولدته ثقافة وسياسة الحركة الصهيونية في النفوس، حتى في نفوس الشعراء ونفوس الأمهات!! يوضح للقارئ والناقد، كيف خربت الصهيونية، بل كيـــف غيرت بثقافة العنف والكراهية والتعالي والإلغاء والأطماع وتشويه المشاعر، إنسانيةَ اليهودي وجوهر الدين اليهودي وطبيعة الأمومة وطبيعة الفن، وكيـــف انقلبت على مفهوم الفن والشعر والأمومة فغدا الفن والشعر والأدب والأمومة، أداة من أدوات العنف والقتل والكراهية والانتقام، ووسيلة من وسائل الافتراس والتلذذ بجمال الرؤوس المقطوعة والدماء المسفوحة والأراضي المغتـــصبة!! ألا يصدم إحساسنا وإنسانيتنا، صورة هـــذه الأم الـــصهيونية التـــي شـــوهت الصهيونية مغزى أمومتها وخربت أنوثتها ومشاعرها وقيمها وحتى غرائزها، إلى الحد الذي جعلها تغضب وتبكي، لأن ابنها الشاعر لم يحـــضر لهـــا رأس عربي من الأرض التي احتلها الجيش الإسرائيلي وفتك بأهلها؟! وهـــل فـــوق هذا التشويه، تشويهٌ للأمومة وللشعر معاً؟!

ثم ألا يُعدُّ انقلاباً على الشعر والأدب وإنسانية الإنسان، أن يدعو شاعر أو أديب إلى المبادرة بالقتل وتقطيع الرؤوس؟!

في مقطوعة شعرية أخرى لهذا الشاعر بعنوان «دماء في صبرا وشاتيلا» يفاخر «غيفن» ويتباهى، بمشاركة الجمهور الإسرائيلي الذي ربته الصهيونية وأرضعته ثقافة العنف والقسوة وحب الانتقام والتلذذ باستباحة دماء الآخرين وممتلكاتهم وإنسانيتهم، يفاخر ويتباهى بمشاركة هذا الجمهور فرحته ونشوته، برؤية إذلال الأسرى الفلسطينيين والتنكيل بهم في عرس همجي تقتصر هتافات جمهوره وصرخاته على الدعوة والمطالبة بقتلهم وذبحهم وحصاد رؤوسهم. فالقتل والذبح وحصاد الرؤوس هو ما يهدئ من غليان هذه النفوس ومن ضغط الأحقاد ونزعة الانتقام ومن شهوة العنف، ويبعث لدى أصحابها وفي نفس الشاعر، إحساساً بالمتعة والنشوة وراحة النفس:

هناك في مقهى، بكريات شمونه
كان جمهور غفير، يجلس أمام
الشاشة الصغيرة..
عن الأسرى الفلسطينيين
صرخ الجمهور
وصرختُ أنا أيضا
ابتهاجاً بالحشد الجميل
حيث الإرهابيون
في طريقهم إلى المعتقل:
اقتلوهم، صرخ الجمهور
صرخنا جميعاً:
احصدوهم.. اذبحوهم.. اقتلوهم
في صبرا وشاتيلا

شاهدت دماء كثيرة..

فارتاحت نفسي..!![١٥].

لا شك أن القارئ، يعرف من هم هؤلاء «الإرهابيون» الذين يطالب الشاعر بحصاد رؤوسهم، ويعرف أنهم ضحايا القتل والتهجير الصهيوني وضحايا سرقة وطنهم وممتلكاتهم..!

في هذين النصين الشعريين تذوب شاعرية الشاعر وثقافته وإنسانيته في تيار العنف ونزعات الغوغاء وتوتراتها، ويختفي الأديب والشاعر وتختفي معه القيم والمعاني الفنية والجمالية والإنسانية للشعر والفن، فلا يبقى ظاهراً للعيان غير فوران الحقد والكراهية والرغبة في التنكيل وغير وجه الطاغية والجلاد الذي لا يُهدّئ من روعه ومن غليان عنفه وقسوته أو يريحه من فوران الرغبة في التنكيل والقتل، غير مشهد الذبح وحصاد الرؤوس:

صرخ الجمهور

وصرخت أنا أيضا..

احصدوهم.. اذبحوهم.. اقتلوهم..

في صبرا وشاتيلا

شاهدت دماء كثيرة

فارتاحت نفسي..!!

ليس الشاعر «غيفن» حالة فريدة في هذا التوجه المسرف بالقسوة والعنف وليس استثناء بن شعراء الحركة الصهيونية. إنه واحد من بين عشرات الشعراء الإسرائيليين الذين تبنوا هذا التوجه وساروا فيه وجندوا أنفسهم وشعرهم وكتاباتهم في خدمة أهداف الحركة الصهيونية، وجندتهم الصهيونية واستثمرت أقلامهم وشعرهم في خدمة هذه الأهداف.

لقد مارس هذا الفريق من الشعراء مختلف أنواع العنف المادي والمعنوي ضد الإنسان العربي بعامة وضد الإنسان الفلسطيني بخاصة، وشارك في عمليات الاحتلال والتوسع وعمليات القتل والتنكيل وهدم المنازل وانتزاع الأرض والممتلكات من أصحابها كما شارك هذا الفريق من الشعراء في اقتلاع الأشجار وإتلاف المزروعات والمحاصيل وفي عمليات طرد الفلسطينيين خارج أرضهم وديارهم، ساعدهم في هذا أن معظمهم يعمل جندياً أو ضابط احتياط في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية!

وقد لعب هذا الفريق دوراً لا يقل قسوة وعنفاً من العنف المادي، في تشويه صورة العربي والحط من شأنه واحتقار إنسانيته والمشاركة في طمس تاريخه وتغييب ثقافته وتراثه ومصادرة خصوصيته وفي تزوير الحقائق وتضليل الرأي العام العالمي، حتى الرأي اليهودي، وفي ممارسة مختلف عمليات الابتزاز والخداع والتمويه والمتاجرة بآلام ومآسي اليهود التاريخية وبمسألة العداء للسامية كمبرر ومسوغ لاضطهاد العرب والتنكيل بهم والسطو على حقوقهم، حين عمل بكل الوسائل على إسكات الأصوات المعارضة للسياسة الإسرائيلية العدوانية، وجند المقولات والمسلمات الدينية واللاهوتية والحوادث الأسطورية لتأكيد حق الإسرائيليين في فلسطين وإلغاء الحق العربي والوجود العربي فيها، واستخدم مختلف أساليب الترغيب والخداع والتحايل في استدراج هجرة اليهود إلى «أرض الميعاد» لتحقيق وعد إله لا تؤمن الحركة الصهيونية بوجوده... فتارة هي أرض اللبن والعسل وتارة هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، أرض صحراوية قبل الهجرة اليهودية إليها تنتظر قدوم شعب الله المختار لإنقاذها وتعميرها والعثور فيها على الأمن والأمان والقدرة على التعبير والإفصاح عن عبقرية الشعب اليهودي بل المكان الوحيد الذي يمارس فيه اليهودي كل انحرافاته وشذوذه، دون خوف أو وجل كما يقول «يهوذا عميحاي» أحد مؤسسي الحركة الصهيونية وأحد

الحالمين بأرض الميعاد وأكثر المحرضين على الهجرة إلى فلسطين والتمسك بحق العودة إليها:

هذا هو وطني..

الذي يمكنني فيه أن أحلم دون أن أسقط

وأن أرتكب أعمالاً سيئة دون أن أضيع

وأن أهمل امرأتي دون أن أصبح معزولاً

وأن أبكي دون خجل وأن أخون وأكذب

دون أن أتعرض للهلاك(١٦).

وكما يقول الشاعر حاييم بيالك محتفياً بإلقاء القبض على لص يهودي متلبساً بجريمة السرقة في تل أبيب:

حين بلغني، أن أول لص يهودي ضبط متلبساً

بالسرقة في تل أبيب

هزتني الفرحة حتى العظم

حتى أنني صرخت ليباركه الرب

فقد عشت ورأيت هذا اليوم(١٧).

ألا يثير الدهشة وخيبة الأمل أن يفرح شاعر كبير مثل بيالك بمثل هذا اللص الذي لم يسرق ليسد رمق جوعه أو حاجته، بل سرق وطناً بكامله من أصحابه؟

ثم ألا يثير الدهشة أن بيالك الذي عرف بشدة تدينه لا يرى، بل لا يأبه، إلا بما يسعده هو أو يسعد هذا اللص اليهودي.. متجاهلاً شقاء وتعاسة من كان ضحية حشد هائل من اللصوص!؟

ثقافة العنف والكراهية:

لقد عثر شعراء العنف والكراهية على المبررات والمسوغات التي تبرر قسوتهم وعنفهم في بعض أسفار العهد القديم وفي كتاب التلمود الذي وصفه أحد المفكرين بأنه كتاب «العنف الدموي وكتاب الحقد والتطرف»[١٨].. وجدوها في فتاوى الحاخامات الذين تثقفوا بثقافية الكراهية واحتقار كل من ليس بيهودي، واختاروا المكوث في قواقعهم العنصرية المتحجرة وداخل أسفارهم، فمزج هذا الفريق من الشعراء بين ثقافة وقيم أسفار العنف وفتاوى الحاخامات وبين الثقافة والقيم الاستعمارية والنازية ومقولات الحركة الصهيونية، ليسهم هذا المزيج في توليد ثقافة هجينة يمكن تسميتها بثقافة العنف والكراهية، أهم ما يميزها أنها خلطت وربطت ما بين النقائض، بين الدين والقومية، بين العلم والخرافة، بين الحق في العيش وبين إلغاء حق الآخر به، بين الماضي البدائي الهمجي وبين هذا العصر، بين الشاعر والقاتل، بين رجل الدين والمشعوذ! ثقافة أسهمت بدورها في ولادة دولة «تتكلم الشر وتقترفه وتقوده» كما وصفها البروفسور اليهودي الأصل «إسرائيل شاهاك» أستاذ الكيمياء العضوية الأسبق في الجامعة العبرية[١٩].

دولة قامت على «العنف والرياء» كما يصفها الكاتب البريطاني مايكل آدمز[٢٠]، وعلى «مبدأ الإبادة المعروف في العهد القديم» كما يذهب الكاتب الألماني فرانتز شايدل[٢١]، أو كما يعترف الكونت برنادوت بأنها دولة لم تقم بالسلام بل بالعنف وإراقة الدماء[٢٢]، وعلى المبدأ الذي اتبعته النازية والقائم على العنصرية ومزاعم التفوق والنقاء العرقي.. دولة اسمها إسرائيل، تلد شعراء وأدباء لا يقيمون وزناً للبراءة والصدق واكتشاف الجمال في الإنسان وفي الموجودات ولا يفرحهم الجمال ومشاعر الحنان ودفء التعاطف الإنساني ولا تغريهم المشاركة في التخفيف من آلام الناس وأحزانهم ولا يهتزون لمنظر الظلم واغتصاب الحقوق وانتزاع لقمة العيش من أفواه الجائعين.. ما يغريهم

ويفرحهم ويحفزهم ويولد طاقة الكتابة والشعر لديهم، مشاعر الكراهية، ومشاهد العنف وتوليده، والدعوة إليه، والمشاركة في ممارسته، والمشاركة في تزوير الحقائق وتسويق الأكاذيب ومنحها شكل الحقيقة والتغرير باليهود واستدراجهم إلى فلسطين تحت ذرائع خادعة مضللة..!

الشاعر «ابشلوم كور» أحد أبناء هذه الدولة وأحد أبناء ثقافة الكراهية والعنف ودعاتها والمبشرين بها، يقول في قصيدة عنوانها، (لو كنت قائداً لجيشنا الأسطوري):

لو كنت قائداً لجيشنا الأسطورة

جيشنا العظيم

ووقفت عند أبواب المدينة المحاصرة، المختنقة

مدينة «المخربين»

مدينة الفلسطينيين

لزرعت الموت والدمار

في كل المنازل والشوارع

في كل المساجد والكنائس...

هل يرحلون من المدينة المحاصرة المختنقة؟

إلى أين سيرحلون؟

وأين سيسكنون؟

هل سيسكنون عندنا؟

سمعت أنهم سيسكنون في «مسعاف عام»

أو أنهم يسكنون عند أسواق «معلوت»

عند أسواق نهاريا..!!

لا سكن لهم عندنا

لا رحمة لهم عندنا

لن يكون لهم وجود في عالمنا.

اليوم في حملة سلامة الجليل

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ

كي يعلموا بأننا لن ننسى أطفال معلوت ومسعاف عام

لو كنت قائداً لجيشنا الأسطورة

لما تركتهم يرحلون

من المدينة المحاصرة المختنقة..!![٢٣].

هذه المقطوعة الشعرية، تستوقف الناقد ليس لما فيها من قسوة وعنف وعدوانية وحسب؛ أو لما تختزنه من طاقة إبداعية، ورؤية فنية؛ بل لما تحمله من أفكار ومقولات هي ترجمة حرفية لمقولات الحركة الصهيونية وتَبَنٍّ واستحسان لأسلوبها في ممارسة العنف والخداع وتزييف الحقائق، فقد اختار الشاعر أن يكون مشاركا ومسوقاً لهذه المقولات وأن يشكل غطاءً كتيماً يخفي الحقيقة، ولاعباً رئيسياً في عملية التزوير والتعمية وخداع الرأي العام العالمي بأن عنف إسرائيل هو ردٌّ على عنف الفلسطينيين؛ فالشاعر يعلم قبل سواه أن الحرب التي شنها «جيشه العظيم الأسطوري» على لبنان بحجة سلامة الجليل وصد «مدافع الفلسطينيين»، لم تكن في حقيقة الأمر حرباً لصد هذه المدافع أو لضمان سلامة الجليل بل كان هدفها الرئيسي هو تحقيق حلم إسرائيل في احتلال لبنان حتى الليطاني وإقامة دويلة موالية وتابعة لها تخدم أهدافها ومطامعها، كما تؤكد الرسائل المتبادلة بين دافيد بن غيورن وموشي شاريت والياهوساسون عام ١٩٥٤ ونشرتها صحيفة دافار في ١٩٧١/١٠/٢٩ بل حسبما يرسم بن غوريون

من قبل حدود إسرائيل في عام ١٩٣٧ مستنداً إلى التوراة، فقال أنها تضم خمس مناطق هي: جنوب لبنان حتى نهر الليطاني وجنوب سوريا والأردن وفلسطين وسيناء وينبغي للحدود الشمالية المرور بحمص[٢٤].

إن هذا ما كانت الصهيونية تخطط وتعمل له في الخفاء، أما في العلن فكانت تتظاهر بالمسالمة وترفع شعاراتها المضللة، بأنها لا تريد احتلال فلسطين ولا تريد إقامة دولة يهودية، بل كل ما يريده المهاجرون اليهود، أن يعيشوا بأمن في جوار العرب الفلسطينيين وأن يشاركوا في إعمار البلاد!

عندما سأل غاندي، المفكرَ الإسرائيلي «مارتان بوبير» عن مصير الفلسطينيين، وذكَّره بأن فلسطين تخص العرب وإن من الظلم والعمل غير الإنساني فرض سيطرة اليهود عليهم، أجابه بوبير: إننا لا نريد أن ننتزع منهم أملاكهم، كل ما نريده هو العيش معهم[٢٥].

وعندما قابل وايزمان أحدُ مؤسسي الدولة العبرية، الملك فيصل في حزيران عام ١٩١٨ في العقبة، أكَّد له أن الصهيونيين لا ينوون إقامة دولة يهودية في فلسطين بل يرغبون فقط في العمل ما أمكن على تطوير البلاد دون أن يلحقوا أي ضرر بالمصالح العربية[٢٦]. لكن وايزمان، الذي نفى أي نوايا لليهود بإقامة دولة يهودية في فلسطين، طالب فيما بعد، وبعد أن قويت شوكة المهاجرين اليهود، بقيام دولة يهودية تضم فلسطين والأردن أيضا..![٢٧].

سياسة الخداع والاحتيال والتظاهر بمظهر البريء، التي مارستها الصهيونية في اغتصاب فلسطين وابتلاعها تدريجياً، قد مكنت الإسرائيليين من الانتقال والتحول من المطالبة بالعيش بجوار الفلسطيني صاحب البلاد، إلى رفض العيش معه، ورفض الاعتراف بأي حق له في فلسطين، بل إلى رفض حقه في الوجود:

«لا مسكن لهم عندنا،

لا رحمة لهم عندنا،

لن يكون لهم وجود في عالمنا».

على حد قول الشاعر «غيفن».

هذه السياسة تذكرنا بقصة «اليهودي والعربي»: تقول القصة القديمة أن يهودياً كان يهم باجتياز نهر، لكنه كان خائفاً من البلل، وبينما هو في هذه الحال رأى عربياً يركب حماراً ويهم باجتياز النهر، فرجاه اليهودي أن يردفه خلفه إلى الضفة الأخرى من النهر، لكن ما أن استقر خلف العربي حتى بادره بالإطراء على حماره قائلاً: يا إلهي ما أقوى حمارك؟! ولكن ما أن اقترب من الضفة الأخرى حتى صرخ اليهودي قائلاً يا إلهي ما أقوى حمارنا؟!

ويبدو أن ذلك العربي صاحب الحمار كان أكثر حذراً وفطنة ومعرفة بطبيعة ذلك اليهودي من عرب اليوم، فبادره قائلا: انزل عن الحمار، قبل أن تدعي أنه حمارك!..

لكن الشاعر ابشلوم كور الذي يتعامى ويتكتم عن الهدف الحقيقي لاحتلال جيشه لبنان بل يعتبره مجرد رد فعل على اعتداءات الفلسطينيين، يكشف عن حقيقة تحاول إسرائيل إخفاءها والتعتيم عليها احتساباً للرأي العام العالمي رغم موقفها الحقيقي منها وهي الوجود الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة فالشاعر يجاهر هنا بما لا تريد إسرائيل المجاهرة به فيقول بوضوح شديد: أن لا مكان للفلسطينيين في وطنهم فلسطين، فهي لليهود وحدهم!

أما مصير هؤلاء الفلسطينيين الذين لا مكان لهم في وطنهم، فيحدده الشاعر ويجب أن يكون أشبه بمصير الشعوب التي كان يغزوها يشوع بن نون ويحتل بلادها، فيقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والحيوانات ويحرق البيوت والنباتات ويهدم المدن والقرى فوق رؤوس أصحابها وقاطنيها.

ولعل أكثر ما يثير الانتباه والدهشة في هذه المقطوعة الشعرية، المقاطع الثلاثة الأخيرة منها، لما فيها من مدلولات تكشف عن طبيعة مرضية مثقلة بنزعة الانتقام وشهوة القتل والتلذذ بسحق الضحية وتحطيم إنسانيتها قبل الإجهاز عليها:

لو كنت قائداً لجيشنا الأسطوري

لما تركتهم يرحلون

من المدينة المحاصرة..

فالشاعر يفك في نزعته هذه، أي ارتباط أو علاقة له بالشعر، ويختار أن يكون قائداً عسكرياً، ولكن أي قائد يريد أن يكون؟! ولأي جيش؟

يريد أن يكون قائداً لجيش لا يكتفي بالغزو والاحتلال ولا بإجلاء ضحاياه عن أرضهم وديارهم والتفرد بامتلاكها ولا يكتفي بأسر خصومه وإذلالهم والتنكيل بهم، أو تخييرهم بين أن يعيشوا عيشة العبيد أو الكلاب في بلادهم المحتلة، على حد تعبير موشي دايان وبين أن يرمى بهم إلى ما وراء البحار كما خيرهم الشاعر غيفن.! بل يريدهم أن يموتوا تحت أنقاض بيوتهم ومدنهم المحاصرة كي ينتشي برؤيتهم وهم يحتضرون ويموتون تحت الأنقاض، بعد أن يمحو هو وجيشه «العظيم الأسطوري» أي أثر يدل على وجودهم بعد أن هدم وأزال الشوارع والمنازل والمساجد والكنائس..

نزعة الانتقام عند هذا الشاعر ورغبته بتحطيم ضحيته، تذكرنا بشايلوك اليهودي أحد أبطال مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» الذي يجد متعة في ممارسة العنف والتنكيل والإذلال ضد مَدِيْنه وتحطيم إنسانيته وتركه للنزيف والموت البطيء بعد اقتطاع رطل من لحمه، تفوق متعته في استرداد دينه، يقول كور في قصيدة أخرى:

إننا يجب أن نقاتل

يجب أن نقتل

حتى يكون لنا وطن

من النهر إلى النهر(٢٨).

الشاعر «كور» ينطق بالحقيقة التي تحاول إسرائيل إخفاءها أو تمويهها، لكنها تعمل لتحقيقها بكل الوسائل، وتنتظر الظروف المناسبة واستكمال مشروع الفوضى الخلاقة ومشروع الشرق الأوسط الجديد.

إنه يخبرنا بالوسيلة التي تنوي إسرائيل استخدامها لامتلاك هذا الوطن، فالشاعر لا يريده وليد القانون والحق والعدل المشاركة والقيم الإنسانية واحترام حقوق الآخرين، بل يريده وليداً غير شرعي وليد الاغتصاب، وليد الإرغام والقتل والإذلال وشريعة الغاب والغزاة، مغمضاً عينيه مستخّفاً بالنتائج التي تنجم عن هذا الأسلوب في إقامة الأوطان، غير مكترس بمصير الضحية التي ستبقى متحفزة لاسترجاع ما اغتصب منها، ولم ينس الشاعر كور تحديد مساحة هذا الوطن الذي يحلم به فهو كما رسمته التوراة والحركة الصهيونية، يمتد من النيل إلى الفرات، من النهر إلى النهر.

وحين نعلم أن لا مكان في وطن الشاعر الممتد من النهر إلى النهر، لغير اليهود كما يقول:

لامسكن لهم عندنا

لا رحمة لهم عندنا

لن يكون لهم وجود في عالمنا..

أو كما يقول الشاعر يوناثان غيفن:

اصلبوا كل الخونة

اطردوا كل الخونة

من البلاد اليهودية

لا نريد هنا

إلا كل صهيوني حقيقي[٢٩].

حين نعلم أن لا مكان في هذا الوطن اليهودي الممتد من النيل إلى الفرات لغير الصهاينة الحقيقيين ندرك أي مصير ينتظر السكان الأصليين لهذا الوطن، أو لهذه الأرض الممتدة من النهر إلى النهر إذا ما تحقق حلم هذين الشاعرين والذي لن يكون بأحسن حال من مصير الفلسطينيين أو الهنود الحمر في أمريكا!!

لكن الغريب في أمر الشاعر كور أنه لم يتساءل عن أي وطن اختاره هذا الشاعر وبشر بولادته، فأي أمن سيحصل عليه أو ينعم به داخل الوطن المغتصب الذي سيزرع فيه جيشه العظيم، بالإضافة إلى الدمار والخراب والدماء، بذور الحقد والثأر والتصميم على الانتقام وعلى استرجاع ما اغتصب؟!.

صحيح أن بعضاً مما حلم به هذا الشاعر، قد تحقق، فقد قامت دولة إسرائيلية وبالطريقة التي يحبها ويريدها، دولة قائمة على القتل وسفك الدماء، وصحيح أنها وسعت رقعة احتلالها في محاولة لترسيخ دعائم هذه الدولة وتحقيق أمنها وإيصال الفلسطينيين إلى حالة من اليأس أو الحلم في استرجاع وطنهم واقتنت وكدست مختلف أنواع الأسلحة وأكثرها فتكاً وتدميراً وأقامت علاقات وصداقات مع فريق من العرب بل مع فريق من الفلسطينيين أنفسهم، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ هل حصل هذا الشاعر وهل حصل معه الإسرائيليون على الأمن والاستقرار والاطمئنان. وهل سَلمّت الضحية ورضخت، وهل اعترفت بالهزيمة وبالتنازل عن الوطن وهل وصلت إلى حالة اليأس والتسليم التي بشر بها نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق؟! مستفيداً من نظرية «ماكس نورداو» التي تتحدث عن علاقة المفترس

بالفريسة، وداعياً إلى تطبيقها على الفلسطينيين والعرب جميعاً، ما داموا في نظره لا يختلفون في مداركهم عن الأسماك[٣٠].

في قصيدة أخرى يتباهى ابشلوم كور بقوة إسرائيل وبقدرتها على الاحتلال وعلى فعل ما عجز الغزاة والفاتحون عن فعله أو احتلاله، مجاهراً بالدعوة إلى اغتيال كل من يقف في وجه الأطماع الإسرائيلية في الاحتلال والتوسع: كان هذا قبل أن تكسر المقاومة اللبنانية نصال أطماعه.

نابليون، لم يحتل عكا

نحن من احتلها

صلاح الدين، لم يحتل قلعة الشقيف

نحن نعم..

لكن النصر الحقيقي

هو ذبح ياسر عرفات...!![٣١].

نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧٨/٥/١٠ مقطوعة شعرية لشاعر إسرائيلي لم تذكر اسمه يرى فيها، أن تحقيق آدميته وآدمية الإسرائيليين، تمر عبر مسيرة الدم والقتل:

اعتَمرَ الخوذة استعداداً لمسيرة الدم

جائلاً عينيه.. إلى النار الحمقى

امتشاق السيف

جزء من آدميته

لرعشة الفرح

وإحالة الحرب إلى سعادة..[٣٢].

إننا نتساءل: كيف يمكن لهذا الشاعر أن يحقق آدميته بإلغاء آدمية الآخرين وقتلهم؟ وكيف يمكن أن يصل إلى نشوة الفرح والسعادة في قهر الآخرين واغتصاب فرحهم؟ ألم يتساءل: ضد من يعتمر الخوذة ويشهر السلاح ويأمر بالقتل ويمضي في مسيرة الدم؟ هل نسي أن من يدعو إلى سفك دمائهم والإجهاز عليهم، هم ضحايا أبرياء لم يرتكبوا ذنباً بحق هذا الشاعر وأنه هو وأمثاله من المهاجرين اليهود قد جردوا هؤلاء من وطنهم وممتلكاتهم وحقوقهم؟ وهل صحيح أن هذا الشاعر وأمثاله من شعراء الحركة الصهيونية لا يرون، بل لا يريدون رؤية حجم الظلم الفادح الذي ألحقه الإسرائيليون بهؤلاء الضحايا وأنهم لا يتحسسون آلام الآخرين ولا يبالون بأحزانهم ومآسيهم وحقوقهم ولا يقيمون وزناً إلا للأطماع الإسرائيلية ولا يرون إلا ما يخدم هذه الأطماع ولا يعترفون بشرعية إلا بشرعيتها.. وأنهم كما وصفهم عدد من المفكرين والأدباء والمؤرخين يعتقدون أنهم فوق الجميع وإن ما يحق لهم لا يحق لغيرهم. يصف الكاتب الألماني فرانتز شايدل هؤلاء بقوله:

«فاليهود الذين يُعتبر أكثرهم من ذوي الدم الساخن، يتحولون حين يكونون في جنونهم القومي إلى مخلوقات غريزية بحتة ويتبلد إحساسهم حتى تجاه أكبر الجرائم طالما أنها لا ترتكب إلا لمصلحة الصهيونية. ومن الجهة المقابلة يتحول أبرأ عمل يصدر عن أي إنسان إلى جريمة لا تغتفر عندما يمس المصالح الصهيونية أو يلحق الضرر بها»[٣٣].

ولعل أبلغ تعبير عن تبلد إحساس أمثال هؤلاء حيال الآخرين وحيال مآسيهم وحقوقهم ما قاله الكاتب الروسي الشهير ديستويفسكي، فقد وصف ديستويفسكي في بحثه «المسألة اليهودية»، اليهودي الروسي بأنه يؤمن، «بأن ليس ثمة شخصية آدمية سوى الفرد اليهودي، أما الآخرون، وإن كان لهم وجود، فينبغي تجاهل هذا الوجود..».

ويتحدث ديستويفسكي عن نظرة اليهودي لنفسه وعن الأسلوب الذي يتعبه في تعامله مع الآخرين.. فيصفه على النحو التالي: «تنحَّ عن الشعوب وكَونَّ هويتك الخاصة واعلم أنك الوحيد لدى الرب، أما الآخرون فافتك بهم أو اجعلهم عبيداً أو سخرهّم.. آمن ْبالنصر على العالم أجمع، آمن بأن كل شيء سيرضخ لك، كن صارماً في ازدراء الآخرين»...![٣٤].

شاعر آخر، يُدَّرس شعره في المدارس الإسرائيلية، يخشى أن تستيقظ آدميته وحسه الإنساني وهو يطعن العربي الفلسطيني برمحه، فيلجأ إلى إلهه يدعوه أن يحول قلبه إلى حجر وهو يطعن ضحيته بالرمح، ويرى كيف يتدفق الدم من صدره!

حوّل قلوبَنا إلى حجارة

كيلا ترتعش أو تلين

حين نغرس رماحنا في أجسادهم

ونرى دماءهم

التي أرقناها...!![٣٥].

يقول عالم النفس الإسرائيلي «جورج تامارين» الأستاذ الأسبق في جامعة تل أبيب في كتاب له بعنوان «المعضلة الإسرائيلية» والذي كان سبباً في طرده من الجامعة:

إن ما يطبع الشخصية الإسرائيلية بطابع تسلطي، القيم العنصرية التي تشجع على العنف والعدوان إزاء العرب سواء تجاه الفلسطينيين الذين ظلوا داخل حدود إسرائيل بعد عام ١٩٤٨ أو بالنسبة للبلاد العربية المحيطة بإسرائيل، وقدم شاهداً على ذلك قول بن غوريون، أو مسلمته، بأن العرب لا يفهمون إلا لغة القوة والعنف ومضى تامارين موضحاً

مقولته، إن مسلمات الصهيونية العنصرية وسياستها التطبيقية قد أدت إلى صياغة شخصية إسرائيلية تتسم بالعدوانية والتسلط والتعصب والانغلاق[٣٦].

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره عالم النفس الإسرائيلي جورج تامارين جملة من العوامل والمؤثرات الأخرى التي صاغت الشخصية الإسرائيلية، فجعلتها شخصية تتصف بالعدوانية والتسلط والتعصب والانغلاق؛ منها التراث الاعتقادي اليهودي الذي تمثله بعض أسفار التوراة وكتاب التلمود وفتاوى الحاخامات التي تجعل من اليهود شعباً وحيداً مختاراً عند الله، فضلاً عن التاريخ اليهودي الطويل وما رافقه من الويلات والمآسي إضافة إلى طبيعة العلاقة بين اليهود وبين بقية الشعوب والتي تقوم على الشك والريبة ونظرة اليهود المتعالية واعتبار أنفسهم أنهم فوق جميع الشعوب وأن ما يحق لهم لا يحق لغيرهم وقدرتهم على الاستمرار في اجترار مآسيهم وعلى الاحتفاظ بذاكرة الانتقام حيةً متقدة وإحساسهم المفرط بافتقاد الأمن وميلهم إلى العزلة ورفض الاندماج باعتبار الاندماج عاملاً يحط من خصائصهم المتفوقة ويفسد معدنهم النقي الصافي مع كل ما يحمله رفض الاندماج وتفسيراته العنصرية من عنف...!

هذه العوامل والمؤثرات إضافة إلى المسلمات الصهيونية العنصرية التي ذكرها تامارين قد شكلت وصاغت النسيج المعقد للشخصية الإسرائيلية، وجعلت منها شخصية عدوانية شديدة التعصب والتسلط والانغلاق والعنف، شخصية مرتابة لا تطمئن لأحد أو تثق به.

ولعل هذا ما يفسر النزعة العدوانية المفرطة والقسوة الوحشية التي لمسناها عند عدد من الأدباء والشعراء والتي سنجد مثيلاً لها فيما سنقدمه من نصوص شعرية.

فهذا شاعر إسرائيلي اسمه «افرايم سيدوم» يجعل من شعره منجلاً لحصاد رؤوس الأطفال والنساء والأمهات الحوامل والأرامل حين يقول في إحدى قصائده:

يا أطفال صور وصيدا

إني أتهمكم

ألعنكم

أيها المخربون الإرهابيون الصغار

يا من تحملون (الأر بي جي)

بدل الحقائب والكتب

إني اتهمكم.. ألعنكم

ستنامون محطمي العظام

في الحقول، في الطرقات..

لا تسألوا لماذا

فإنه العقاب

والآن، حان عقابكم

كل النساء في صيدا وصور

كل الأمهات

كل الحوامل

كل الأرامل

كل المسنين...

ها نحن قادمون لنعاقبكم

لنقتَّص منكم...![٣٧].

هذا الشاعر الذي وضع العصابة الصهيونية على عينيه، لا يتساءل، بل لا يريد أن يتساءل، أو يفهم، لماذا يحمل أطفال صور وصيدا البنادق و(الأر بي جي) بدلاً من الحقائب والكتب ولا يتساءل، لماذا جيشه احتلّ لبنان والجولان وفلسطين ويسعى لتوسيع رقعة احتلاله؟!

ونحن نسأل هذا الشاعر لماذا يجعل من الأطفال والنساء والأمهات والحوامل والأرامل هدفاً لعقابه وانتقامه؟ هل هو غير التفحش في ممارسة العنف؟ أم لأن الأطفال يمثلون المستقبل الذي يخيفه ويرعبه، أم لأن النساء الأمهات والأرامل والحوامل يرمزن إلى الخصوبة وإلى نبع الحياة الذي لا يستطيع الطغاة والغزاة إيقاف تدفقه؟

ربما يكون الشعر أهم وأصدق وثيقة يمكن الرجوع إليها لقراءة شعب من الشعوب أو عصر من العصور وأكبر كاشف لحقائق ومشاعر لا يريد أو لا يقدر غالبية البشر الكشف عنها. أما إذا كان الكثير من شعراء الحركة الصهيونية يمارسون مهنة الخداع والتمويه والتخفي والتزوير وطمس الحقائق، فإن اندفاع بعضهم وشدة حماسته وانفعاله ونزعته العدوانية تدفع به إلى المجاهرة والوضوح في الكشف عما لا تريد المؤسسة الصهيونية الكشف عنه من أطماع توسعية.

في قصيدة أخرى لهذا الشاعر، يفور داخله مرجل العنف وتتغلب فيه طبيعة الشاعر على الإعلامي أو السياسي، فيعبر بوضوح عن مشاعره الحقيقية وعن حقيقة المشاعر الصهيونية، في هذه القصيدة الموجهة إلى رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق «مردخاي غور» بعد توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٨١/٧/٢٤.

«يا مردخاي غور»

سأقص عليك قصة..

حتى لو تخلت المنظمة عن ميثاقها

حتى لو حوَّل ياسر عرفات اسمه في احتفال رسمي

ليكون «موشيه»

حتى لو تخلى عن الفدائيون

عن أسلحتهم وعقيدتهم

وأرسلوا بطاقات التهنئة لكل بيت يهودي

في رأس السنة العبرية

حتى لو شاركتنا المنظمة في بناء المستوطنات لليهود القادمين الجدد

وحتى لو أعلنوا أمام الملأ

أن الضفة الغربية أرض يهودية

وحتى لو قامت نساء «فتح»

بنسج قبعات الصوف لجنود إسرائيل

وحتى لو اعترفوا بالدولة اليهودية

وقدموا لنا كل أموال التبرعات التي يتلقونها

وحتى لو التزم ياسر عرفات

أمام الملأ

بأننا الذئب وهم الغنم

وحتى لو نقلوا اللاجئين إلى القطب الشمالي

ورفعوا رايات الهزيمة أياماً وليالي

وحتى لو تحولت سيوفهم

إلى أقلام ومساطر

فلن نجالسهم أبداً

ولن نحاورهم..!(٣٨).

هل هناك وضوح أكثر جلاء من هذا الوضوح؟ ثم هل هناك أمل في التعايش أو السلام مع مجتمع يحمل شعراؤه مناجل العنف وسيوف الكراهية وفؤوس الهدم ويرفضون الحوار والسلام والمشاركة ويصرون على الاحتلال وعلى نفي الآخر ورفضه حتى لو تشكل بالصيغة أو بالصورة التي تريدها إسرائيل..؟! وهل أدرك العرب الواهمون بالسلام هذه الحقائق التي تعبر عن التوجه الحقيقي للسياسة الإسرائيلية؟! هل قرؤوا هذا الشعر أم أنهم مازالوا يصرون على الركض خلف سراب ما أن يكتشفونه حتى يركضوا خلف سراب آخر؟!..

وهل أدرك دعاة الصلح والسلام من العرب مع إسرائيل، أنهم الطرف الوحيد الذي يدعو إلى السلام ويمد يده إليه ويركض خلفه، وهل يجهلون حقاً أن المسألة بالنسبة لإسرائيل وكما يقول هذا الشاعر ليست مسألة حدود أو مسألة مقاومة أو مسألة منظمة التحرير وميثاقها أو مسألة الضفة الغربية والقدس واللاجئين أو حتى مسألة الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها أو حتى المشاركة ببناء دولتها وتقوية نفوذها وسيطرتها بالمال العربي وباليد العاملة العربية، بل هي باختصار، مسألة المشروع الصهيوني المدعوم من القوى الاستعمارية والذي يطمح إلى قيام دولة تمتد من النهر إلى النهر والى تشكيل شرق أوسط جديد ممزق الأوصال منقسم أعزل، تكون إسرائيل سيدته وصاحبة القوة والقرار الوحيدة فيه؟!

نعود لنسأل السؤال المتكرر الذي يحير أي قارئ أو ناقد لشعر شعراء العنف الصهيوني، كيف يمكن لشاعر أن يدعو أو يشارك في قتل الأطفال

والنساء والشيوخ، بل كيف يفرح ويسعد بهذا القتل وأين يجد المسوغ أو المبرر لتقبل هذا العمل الوحشي؟ هل هي طبيعة وغريزة متأصلة ينفرد بها صاحبها وتنزع به إلى القسوة والعنف والشر والافتراس؟ أم هي ثقافة وفكر خاصان، انحرفا بأصحابهما عن المفهوم الإنساني والأخلاقي وعن المشاعر السوية المألوفة؟ أم هو الإرث الاعتقادي الذي تَرسَّخ عبر العصور وساعد على ترسيخه تاريخ العزلة والانطواء والتقوقع العنصري والنظرة المتعالية ورفض الآخر والإحساس المفرط بالتمايز والتفوق والاصطفاء؛ أم أن خلف هذا كله إنسان مختلف بمفاهيمه، يتصف بالعدوانية والتعالي وازدراء الآخرين واحتقار وجودهم، يريد إقامة دولته على هذه الأسس والمفاهيم. وما شعر شعراء العنف الصهيوني إلا تعبير عن هذه الطبيعة والثقافة والإرث الاعتقادي.

لقد أشار عدد من المفكرين والمؤرخين إلى هذا الباعث التاريخي الذي شجع على العنف وعلى إقامة دولة إسرائيلية معاصرة شبيهة بالدولة ذات العمر القصير التي أقامها بعض القادة والملوك الإسرائيليين القدماء على الجماجم والأشلاء.

الشاعرة الصهيونية «نعمى شيمر» تخاطب طلاب المدارس في إسرائيل، فتحضهم على القتل، قتل العرب ورجمهم بالقنابل والقذائف وتدمير الشوارع وهدم المنازل فوق رؤوسهم معتبرةً مهارتهم في تنفيذ هذه المهمة هي مقياس النجابة والاجتهاد والتفوق..!

لو أنهم كانوا تلاميذ مجتهدين

يتقنون الدرس

لكانوا نصبوا مدافعهم

على مداخل المخيمات

وأمطروها بالقنابل والقذائف

بالحديد الملتهب

ثم لو أنهم تلاميذ مجتهدين

لكانوا استخدموا الدبابة

من مسافة قريبة

ودمروا البيوت والشوارع

ولم يتركوا أحداً..![٣٩].

أليس ما تدعو إليه وتنادي به هذه الشاعرة، هو ما يمارسه وينفذه جيشها وتلامذتها «النجباء» وخريجو المعاهد والجامعات الإسرائيلية والمعاهد العسكرية، ضد الفلسطينيين في غزة والضفة؟!! ألا يقوم هؤلاء يومياً، بعمليات القتل وتدمير الشوارع والمساجد والكنائس وحتى المقابر ويستخدمون المدافع والقنابل والقذائف والدبابات والجرافات في هدم المنازل فوق رؤوس النساء والرجال والأطفال والعجزة؟!.

نعمى شيمر، تضع القارئ حيال تجربة شعرية تتجاوز في عنفها وغلوها وجنوحها ما قرأنه لدى شعراء العنف الإسرائيلي بل تضعنا أمام حالة نفسية بالغة الشذوذ والتعقيد يصعب على الناقد تحليلها وإيجاد تسمية ملائمة لتعقيداتها أو إيجاد تفسيرات أو إجابات عن العوامل والمؤثرات والدوافع التي جنحت بهذه الشاعرة إلى هذه الحالة المفرطة في العنف والسادية والرغبة في القتل والحض على الإبادة الجماعية وإلى مثل هذا الخلل النفسي والنضوب الأخلاقي والوجداني..

في إحدى قصائدها، تجرد شعوب ودول هذه المنطقة من مميزاتها وصفاتها البشرية، فلا ترى فيها أكثر من كلاب أو وحوش لا تكف عن التصارع والتقاتل فيما بينها، وحوش محكومة بفطرتها وغرائزها الحيوانية وانحطاطها العقلي.. وما دام تَقَاتل الوحوش وذبحها بعضها بعضاً، يعود

بالنفع على أمثالها من البشر، فإنها لا تجد في تقاتلها وتصارعها واستنزاف وقتل بعضها لبعضها الآخر إلا ما يبعث الرضى والسعادة في نفسها.!

ماذا علينا..؟

ليذبحوا بعضهم بعضاً

ليذبح أحدهم أخاه..

هذا ما قاله الجنرال رفائيل ايتان

وهو يتحدث عن الحرب العراقية الإيرانية

لقد قالها بيغن ذات يوم:

كلابٌ تقتل كلاباً

فلماذا نتدخل نحن.؟

العرب سيظلون هم العرب

وما حدث في بيروت

كان سيحدث لنا حتماً

لو أن العرب

كانوا المنتصرين..[٤٠].

بهذه الروح العدائية تنظر هذه الشاعرة إلى الآخرين وإلى حروبهم ومآسيهم، وبهذه العقلية العنصرية المتعالية المفرطة في تعصبها وتعاليها، ترى شعوب هذه المنطقة التي قدمت للبشرية بواكير ثمار الحضارة وأسمى المثل والقيم الإنسانية وبهذا الفكر العنصري الاستعماري المظلم تربط ما بين أمن إسرائيل وضمان وجودها، وما بين استمرار الصراعات والانقسامات والتقاتل بين الدول والشعوب المجاورة.. وهكذا تمّحي الفواصل والفوارق بين

الشاعر والجلاد ويغيب التباين بينه وبين أصحاب النظريات العنصرية الاستعمارية وتصبح مقولاته مجرد صدى للسياسة الإسرائيلية الرسمية التي تعمد بكل الوسائل على تقوية وتفجير واستمرار مختلف الصراعات والانقسامات والخلافات الإقليمية والعرقية والطائفية والمذهبية، وإبقاء هذه الدول في حالة متواصلة من التخلف والعجز لاعتقادها بأن في ذلك ضمانة لأمن إسرائيل وقوتها واستمرار وجودها، على حد قول الجنرال مردخاي غور رئيس الأركان الأسبق للجيش الإسرائيلي. يقول غور:

«إن السياسة الصحيحة المتزنة والشجاعة التي يجب على إسرائيل أن تتبعها، هي العمل على استمرار الوضع المتزعزع في العالم العربي»[٤١].

ثم؛ إن نعمى شيمر بنظرتها العنصرية المتعالية وبتحريضها الهمجي على القتل، لا تقول ولا تضيف شيئا له علاقة بالشعر أو الفن، كل ما تقوله في شعرها ليس أكثر من انفعالات بدائية ومن ترداد مستهجن لما يقوله وينادي به زعماء الحركة الصهيونية، فأين الشاعر وأين الإنسان وأين الإبداع؟!

يقول اسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق في وصف العربي «بأنه لا يستطيع أن يكون أكثر من يد عاملة، فهو لا يقرأ ولا يتعلم ولا يحارب ولا يفكر ولا يحلم ولا يتخيل، حسبه امتلاك بعض المال ليصرفه على رغباته الجنسية»[٤٢].

الأمر الآخر الملفت في مثل هذا الشعر الدعائي المفرغ من القيم الجمالية والإنسانية والمكرس للعنف وإثارة مشاعر البغضاء والكراهية، أنه - وكما تشير الإحصائيات التي أجريت في إسرائيل لمعرفة أكثر الكتب الإسرائيلية انتشاراً ورواجاً في الأوساط الإسرائيلية - هو الشعر الأكثر قسوة

وعنفاً وعنصرية على ما فيه من تطرف وشطط وغلو وعنصرية، وأن كتب شيمر، كما تشير هذه الإحصائيات تكاد تكون الكتب الوحيدة التي تلقى هذا الرواج الواسع.

يقول الشاعر الإسرائيلي (ناتان زاخ) منتقداً شعر شيمر المفرط في عدوانيته وعنصريته مستنكراً مدى تأثيره على الإسرائيليين:

في أسبوع الكتاب العبري

جميع الكتب ملقاة وصامتة

إلا كتب نعمى شيمر

وحدها كانت غير صامتة وغير ملقاة

وحدها صارت بنادق يحملها

القراء..![٤٣].

هذا الانتشار الواسع لكتب شيمر في الوسط الإسرائيلي رغم هبوط مستواها الفني، يدل على أن المجتمع الإسرائيلي يزداد تطرفاً وغلواً في العنف والتطرف وإنه يسير في الاتجاه المعاكس للسلام على خلاف كل ما يروج له دعاة السلام مع إسرائيل، وإن الفريق العربي المنادي بالصلح والسلام مع إسرائيل، لا يعرف ولا يقرأ جيداً توجهات المجتمع الإسرائيلي ويتجاهل الإحصائيات التي تدل على أن هذا المجتمع يزداد تطرفاً وغلواً في عنفه وفي رفضه لأي صيغة من صيغ السلام، وليست الدعوة إلى الدولة اليهودية (الصافية) التي بدأت تعلو أخيرا في المجتمع الإسرائيلي، سوى تعبير عن هذا التوجه نحو المزيد من التعصب والانغلاق والعنصرية والعنف، وإن الشعر الإسرائيلي - وليست الإحصائيات وحدها - يؤكد هذه الحقيقة ويعبر عنها!!.

يسخر الشاعر الإسرائيلي «حاييم حافير» من كلمة السلام مع العــرب، ويعلن رفضه لأي نوع من أنواع السلام معهم، فإسرائيل ليست بحاجــة إلــى هذا السلام كما يزعم، وترفض أن يكون للفلسطينيين مكان في إســرائيل إلا تحت الاحتلال، وعليهم أن يختاروا، البقاء تحت الاحتلال أو الطــرد خــارج فلسطين، وأن الخيار الوحيد مع العرب هو الحرب واستخدام القوة، يقول فــي قصيدة بعنوان «حصار السلام».

فلتكن حرباً..

لسنا بالسلام واثقين

التصريح أو البيان وحتى الإعلان

لا يثبت لنا أن هذا ليس

مناورة مضللة

وانظر أية خدعة يستطيع سلام

كهذا أن يعطي..!!

ونحن عموماً، لا نحتاجه

وصدقني أي سلام مع العرب

ليس إلا مراء..

وتقول لي ثانية: إننا وقعنا

اتفاق سلام مع مصر.؟!

ويمضى الشاعر في سخريته من دعاة السلام محذراً من خطر الوجــود الفلسطيني، داخل الدار الإسرائيلية ملفتاً النظر إلى ضرورة التخلص التام منه قائلاً:

أما هنا فهم عندنا في الدار

نراهم ونرى نظرات حقدهم

من وراء الجدار

لو استطاعوا.. ما تركوا بنا

جزءاً سالماً

يجب أن نبقى بالمرصاد

انظر كيف، بالمكائد

يصنعون لنا سلاماً..!

يجب استصراخ يهوديةَ أمريكيا

يجب أن نوضح للكونغرس،

أن ليس للعرب من مكان

أفضل مما هم فيه عندنا

تحت الاحتلال

وسترى كم نحسن لهم صنعاً

عندما لا نعمل على طردهم

أية ضربة؟

نحن الشعب المختار

شعب الذهب، شعب الألماس(٤٤).

أما الشاعرة الصهيونية (زيفا يريف) فإنها تسخر بدورها من السلام ومن عملية «سلامة الجليل» التي أخفق الجيش الإسرائيلي فيها بالقضاء على الفلسطينيين، معربةً عن الإحباط وخيبة الأمل بالجيش الإسرائيلي الذي عجز

عن الإجهاز على الفلسطينيين الذين مازال بعضهم حياً يتجول في المدن والقرى ويحلم بالعودة إلى أرضه ودياره. تقول في قصيدة عنوانها «حصار السلام»:

ها هو الخريف قد حلَّ علينا

وعملية سلامة الجليل بدأت تعطي ثمارها الحلوة

فها هو السلام قد تحقق أخيرا

سلام في الجليل

سلام في الناصرة

سلام في كفر كنا

سلام في شفا عمرو

سلام في طرعان

سلام في عكا

سلام في حيفا

علمية سلامة الجليل نجحت أكثر مما كان متوقعاً منها

فقد جلبت السلام والأمن

ليس للجليل فقط

بل لجميع قطاعات البلاد

سلام الجليل وصل

أيضاً إلى يافا

للمرة الأولى منذ قيام الدولة

ها هم المئات من العرب

يسيرون في شوارع يافا

يلوحون بالقضبان الحادة

وبأعلام منظمة التحرير...!!(٤٥).

هذه الشاعرة الحانقة من فشل عملية «سلام الجليل»، ومن إخفاق منطق القوة والعنف في القضاء على الفلسطينيين، تنفر من فكرة السلام ومن كلمة السلام رغم تكرارها الممل، فلا ترى في السلام أي نفع أو جدوى ما دامت إسرائيل لم تحقق بعد مشروعها التوسعي وما دامت تمتلك القوة والقدرة على مزيد من البطش والاحتلال، بل ترى فيه «حصاراً» وقيداً يحول دون تحقيق حلمها في التوسع والهيمنة. فالمشروع الإسرائيلي التوسعي ليس مشروع سلام ولا مشروع مصالحة، بل هو مشروع توسع قائم على الحروب والعنف والاحتلال واستخدام سياسة الإرغام والإخضاع واعتماد القوة، كما يقول بن غوريون.

إن كل من يَطَّلع على الإيديولوجية الصهيونية وعلى أهداف الحركة الصهيونية ومقولات زعماء هذه الحركة، يدرك بما لا مجال للشك فيه، أن السلام ليس خياراً إسرائيلياً وأن إسرائيل كما يؤكد مؤسسوها وقادتها والشواهد اليومية وكما تؤكد هذه الشاعرة ومعها عدد كبير من الشعراء والأدباء الإسرائيليين الذين قرأنا بعضاً من نتاجهم، ليست معنيةً بالسلام وليس السلام واحداً من مطالبها، قبل أن تنجز إسرائيل مشروعها التوسعي، أما حديثها المتكرر عن السلام ومناداتها أو مفاوضاتها من أجله، فليس أكثر من عمليات الخداع والتضليل والإلهاء التي تجيدها إسرائيل، تفادياً وتحايلاً وإجهاضاً للضغوط الدولية المطالبة بالسلام.

فالسلام في نظر إسرائيل له معنى واحد، هو التسليم الكامل بالشروط الإسرائيلية والرضوخ لأطماعها التوسعية والقبول بنظرتها الخاصة للسلام

وللأمر الواقع الذي يفرضه منطق القوة والقسر وقدرة الجيش الإسرائيلي على البطش والتدمير.

في حديث أجرته صحيفة لوموند مع الجنرال موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي في عام ١٩٦٩، أجاب حين سألته الصحيفة عن حدود إسرائيل بقوله: «على الناس أن يدركوا أن سيناء ومرتفعات الجولان ومضايق تيران والتلال الممتدة غربي نهر الأردن، هي في قلب التاريخ اليهودي.. وإن عملية توسيع الحدود الإسرائيلية تجري باستمرار ونحن لم نصل بعد إلى نهاية الطريق فشعب إسرائيل هو الذي يقرر حدود دولته»(٤٦).

فهل يمكن أن يتحقق كل هذه الاحتلالات بالسلام؟!... وهل يمكن أن يكون السلام أحد خيارات صاحب مثل هذا المشروع التوسعي؟!

السلام يعني أن تطوي إسرائيل مشروعها التوسعي وإستراتيجيتها القائمة على العنف والإرغام، إلا أن كل القرائن والشواهد تؤكد أن إسرائيل لم تطوي مشروعها التوسعي ولم تغير في إستراتيجيتها وإن غيرت في تكتيكاتها، وإنها لن تقبل بقيود السلام أو «بحصار السلاح» كما تسميه الشاعرة «زيفا بريف»، هذا القيد أو الحصار الذي يحَدُّ من طموح الشاعر «ياناثان غيفن» في إقامة دولة تمتد من النهر إلى النهر، من النيل إلى الفرات..

وما مفاوضات إسرائيل العابثة مع السلطة الفلسطينية بشأن إقامة دولة فلسطينية على جزء صغير من أرض فلسطين أو حول السلام والتي ما تزال تراوح مكانها منذ عقدين، بينما تقوم إسرائيل بتنفيذ مشروعها وتمارس في تنفيذه كل أنواع القتل والبطش والتدمير وتعمل بلا توقف على قضم أراضي الضفة الغربية وزرعها بالمستوطنات ما هي إلا شاهد على رفض أي شكل من أشكال السلام الحقيقي مع العرب مهما حاولت الحكومات الإسرائيلية تمويه ذلك وإخفاءه خلف ستار كتيم من التمويه والخداع، ويجيء بعض

الشعراء ليكشفوا هذه الحقيقة وليظهروا للعيان رفض الإسرائيليين لأي شكل من أشكال السلام ما لم يكن استسلاماً..

فالشاعر «حاييم حافير» يرفض الاعتراف بأي حق للشعب الفلسطيني في فلسطين ويستنكر أي اتفاق أو سلام مع الفلسطينيين في قصيدة بعنوان «احتفال شعب» يعتبر فيها الشعب الفلسطيني مجرد وحوش، معرباً عن غضبه الشديد وجزعه من سلبية الشعب الإسرائيلي ومن مواقف السلطات الإسرائيلية المتساهلة حيال إمكانية ولادة دولة فلسطينية حتى ولو على جزء صغير من أرض فلسطين، وعن سخطه ونقمته على العالم الذي يتهمه بأنه يتعاطف مع هؤلاء الوحوش البشرية ويتخلى عن الشعب اليهودي الذي هو نور هذا العالم:

من كان يصدق

أن أكحل عيني

من كان يصدق، أن يحتفل كل شعب إسرائيل هكذا

بولادة دولة فلسطينية!

كل الملاحق، وجميع المقالات الافتتاحية

والصور على الشاشة، كل المقابلات مع الفلسطينيين

في مدن الضفة ومعسكرات المحنة، صور الأعلام الممنوعة

والخفاقة على أسلاك الكهرباء

حديثاً مع قرويين مؤيدين لمنظمة التحرير

ويُطل من الجانب الآخر جندي

عملية خبراء عميقة

مداولات ، معارضة للقيادة العامة

نقاشات حادة في الكنيست

إحصائيات حكم رسمية

وضع اقتصادي في الحضيض

ويفتخرون..!

ونحن نشكر، حقاً من قلوبنا

وجود قوة تقف في وجه الجيش

فرغم أنهم يقتل بعضهم بعضاً

وهم ليسوا سوى وحوش بشرية

توجد بينهم نسب بهجة لمنظر العنف والدم

مع ذلك،

نحن..

نقف فاغري الأفواه

نرقب ولادتهم بألم..!

لا يوجد مكان في العالم

تم الاحتفال به، بتأسيس دولتهم كما فعلنا..

هناك دول تقوم من خلال الفوضى، من خلال الخراب والألم

من خلال قتل الإخوة والعنف وسلطة الشارع

لكننا الذين نرى كيف ولدت، كيف نشأت من وديان القتل،

شعرنا بذلك، وفهمنا

ودون قصد، أجرينا احتفالاً.

ألا يوجد شعب فلسطيني، ألا يوجد لهم علم، ألا توجد لغة، ألا يوجد لهم دين، ألا توجد أرض؟..

كل هذا موجود..

وهم يمتلكون تأييد الجميع

ونحن متروكون كشعب منعزل،

ونحن الذين، دائماً، نور الشعوب

ليس فقط لا نرى الغد، بل والحاضر المعيش أيضاً..[٤٧].

من بين الصفات التي يشتهر بها الصهاينة أنهم يعيشون داخل تاريخهم القديم وأن ذاكرة الانتقام والثأر التي اتصف بها العبرانيون القدماء ما تزال حية متقدة في نفوس الأحفاد لم تنطفئ ولم تخمد مع مرور الزمن، فهم أكثر تمسكاً بذاكرة الثأر والانتقام من البدوي، فلا يسقط ثأرهم أو ينسى بالتقادم، بل يبقى حياً متأججاً في النفوس يرثه الأبناء والأحفاد.

صفة الثأر والانتقام هذه؛ لم تتغير كثيراً عند الإسرائيليين، بل ربما ازدادت قوة وشراسة على يد الحركة الصهيونية التي عملت على إذكائها وتأجيجها وتوظيفها في خدمة أهدافها العدوانية التوسعية وافتعلت لها المبررات والمسوغات؛ فالإسرائيليون اليوم ومن بينهم شعراء العنف ، يبررون عنفهم ضد العرب اليوم بجملة من الأسباب منها، أنهم يثأرون وينتقمون لأسلافهم الذين اضطهدهم عرب الأمس البعيد، وأنهم يثأرون اليوم من الشعب المصري لأن الفراعنة كما يزعمون، قد استعبدوا أسلافهم وأرغموهم على بناء الأهرامات وأنهم ينتقمون الآن من الشعب العراقي بواسطة الاحتلال الأمريكي، ثأراً من البابليين والآشوريين، ومن الشعب الألماني انتقاماً من الحكم النازي، دون أن يجدوا في ذلك أي تعارض مع القيم والمعايير العقلية والأخلاقية..!!

يقول بن غوريون في مذكراته، معبراً عن ذاكرة ونزعة الانتقام هـذه، إن الجيش الإسرائيلي سوف يحطم الجيوش العربية ويقصف بالقنابل المدن في مصر وسورية والأردن ولبنان انتقاماً لأجداده اليهود من المصريين والبابليين والآشوريين[٤٨].

نزعة الثأر هذه لا يحملها الساسة والعسكريون ورجال الدين وحـدهم، بل يحملها ويروج لها عدد من الأدباء والشعراء، بل أن بعضهم لا يجد حرجاً أو تناقضا في أن ينتقم ويثأر من العربي، لأن النازيين قد قتلوا أو اضـطهدوا اليهود في ألمانيا. فالروائي الصهيوني ليسترغورن في روايتـه «الانتـصار الأعظم» "The Greater Glory" يتباهى بأن أحد أبطال روايتـه يـدمر دبـابتين عربيتين ويضرم بهما النار انتقاماً لحبيبته سارة التي ماتت في أحد معسكرات العمل القسري في ألمانيا النازية قائلاً وهو يدمر الدبابتين ويضرم النار بهمـا «كل هذا من أجلك يا سارة»[٤٩].

وفي الرواية نفسها، يسطو الكاتب على الحقيقة التاريخيـة فيـدعي أن اليهود هم الذين بنوا الأهرامات تحت سياط المصريين لكن لا ينسى القـول: «إن يهود اليوم قد انتقموا وثأروا لأسلافهم القدماء من المصريين يوم احتـل الإسرائيليون سيناء عام ١٩٦٧ بعد مرور أكثر منذ ثلاثة آلاف عام»!![٥٠].

نزعة الثأر هذه تطال أوروبا كلها رغم دعمها الـلا محـدود للدولـة العبرية وبخاصة الشعب الألماني، فإسرائيل تمـارس اليـوم أقـسى أشـكال الابتزاز والامتهان ضد الشعب الألماني انتقاماً من الحكم النازي الذي سـقط منذ ما يقرب من سبعين عاماً على الجرائم التي ارتكبتها النازية بحق اليهـود وبحق الشعوب الأوربية كلها، رغم كل محاولات الاسـتغفار والاسترضـاء والاستعطاف التي تتلوها الحكومات الألمانية المتعاقبة في كل مناسبة وعلـى كل المنابر، ورغم الدعم السياسي والتعويضات السخية والباهظة التي قـدمتها وما تزال تقدمها للدولة العبرية.

يقول «تيودور كوفمان» في كتابه «ألمانيا يجب أن تموت»:

«الألمان لا يستحقون أن يعيشوا، سواء كانوا معادين للنازية أم شيوعيين أم حتى محبين للسامية، بل يجب تعقيمهم حتى يمحى الشعب الألماني كلياً»(٥١).

ويقول جابوتسكي الزعيم الصهيوني المشهور: مصالحنا تقتضي الإبادة الكاملة لألمانيا، فالشعب الألماني يشكل في كليته خطراً علينا(٥٢).

ولم توفر نزعة الثأر والكراهية حتى اللغة الألمانية، فقد احتج عدد من نواب الكنيست الإسرائيلي على الكلمة التي ألقاها الرئيس الألماني «هورست كوهلر» في الكنيست بمناسبة الذكرى الأربعين لقيام العلاقات بين البلدين، بل قاطعوا الجلسة بحجة رفضهم لسماع اللغة الألمانية(٥٣).

وقد تبنى شعراء العنف الإسرائيلي التوجه نفسه ضد الشعب الألماني فقد نشرت صحيفة دافار في ١٩٧٨/١٠/١٦ قصيدة لشاعر صهيوني لم تذكر اسمه يهدد فيها ألمانيا بالانتقام والثأر لأرواح اليهود التي أزهقت على يد النازية يقول فيها:

نحن خالقو ألمانيا
ونحن قادرون على صنع نعشها
بلا اعتراض،
أرض ألمانيا طوع يدنا
وروحها ترتعد
بعد الجبروت،
كأس ستتجرعه مراراً
وصوت أرواح اليهود
سيبقى عالياً باستمرار..(٥٤).

لقد صدق هذا الشاعر، فألمانيا ما تزال حتى اليوم ترتعد من جرائم النازية وتنوء تحت كابوس ابتزاز إسرائيل وانتقامها.!

إلا أن هذا الشاعر الذي انتقل من موقع الضحية إلى موقع الجلاد، نسي أنه هو ودولته يمارسان اليوم ضد العرب الفلسطينيين، الأسلوب نفسه الذي مارسته النازية ضد اليهود! ولعل هذه المفارقة في السلوك الإسرائيلي وهذا التصميم على العنف والانتقام جعل النائب البريطاني المحافظ «توني مارلو» يتظاهر مع عدد من النواب البريطانيين في ١٩٨٢/٧/٣١ ضد احتلال إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ويعقب على وحشية القوات الإسرائيلية المحتلة قائلا: «إن ضحايا المذبحة الأولى يرتكبون مذبحة ثانية».

إن شعراء العنف الصهيوني لا يبالون بما يقال عن عنفهم، ولا يعوزهم اختلاق الذرائع والأكاذيب لتبرير هذا العنف، بل لا يجدون حرجاً أو صعوبة في الربط بين ما لا رابط بينه أوفي الجمع بين النقائض، أو في تبرير ما لا يمكن تبريره ما دام في ذلك خدمة للصهيونية فهم يمارسون العنف ضد الفلسطينيين رداً على جرائم النازية ضد اليهود ويمارسونه تارة بحجة الثأر لأسلافهم الأقدمين من المصريين والعراقيين والسوريين والأردنيين، ويمارسونه تارة أخرى من أجل تحقيق وعد إلهي لم يتحقق منذ أربعة آلاف سنة ويمارسونه كذلك بحجة تحرير أرض الميعاد، أو لإشباع حنينهم وظمئهم الروحي إلى أورشليم أو بحجة تحقيق حلم اليهود بامتلاك وطن آمن يمارسون فيه بحرية وبلا رقيب أو حسيب ما يحلو لهم كما عبر عن ذلك الشاعر يهوذا عميحاي:

هذا هو وطني..

الذي يمكنني فيه أن أحلم دون أن أسقط

وأن أرتكب أعمالاً سيئة دون أن أضيع

وأن أهمل امرأتي دون أن أصبح معزولاً

وأن أبكي دون خجل

وأن أخون وأكذب

دون أن أتعرض للهلاك ..[٥٥].

أو كما عبر الشاعر حاييم بيالك عن نشوته وفرحته بولادة الوطن اليهودي، دون أن يكلف نفسه مشقة السؤال عن الوسيلة التي نشأ بها هذا الوطن المسروق من أصحابه:

حين بلغني أن أول لص يهودي ضبط متلبساً

بالسرقة في تل أبيب

هزتني الفرحة حتى العظم

حتى أنني صرخت، ليباركه الرب

فقد عشت ورأيت هذا اليوم.!![٥٦].

الأمر الغريب والمدهش في أمر هذا الشاعر الكبير المتدين، انه لا يرى حرجاً في أن يقوم هذا الوطن الذي يحلم به على العدوان والاغتصاب وأن لا يجد وازعاً أخلاقياً أو دينياً أو شعرياً يعكر عليه صفو فرحته ونشوته في إقامة مثل هذا الوطن، حتى لكأن الصهيونية تسدل ستاراً كتيماً على أعين ومشاعر أنصارها أو معتنقيها..!

الشاعر الصهيوني أبشلوم كور اختار العنف والقتل أسلوباً لامتلاك وطنه في «أرض الميعاد» والممتد ما بين النيل والفرات:

يجب أن نقاتل

يجب أن نقتل

حتى يكون لنا وطن

من النهر إلى النهر[٥٧].

بل اختار وحدد طريقة التخلص من السكان الأصليين لهذا الوطن الممتد ما بين النيل والفرات وهي طريقة تعيد إلى الأذهان سيرة يشوع وأسلوبه في إبادة شعوب هذه المنطقة يقول:

لن يكون لهم وجود في عالمنا

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ(٥٨).

يرى الشاعر يوناثان غيفن أن الأكثر قتلاً هو الذي يبقى، وأنه لكي يعيش ويبقى فإن عليه أن يقتل، بل عليه أن يكون المبادر إلى القتل:

عليك أن تقتل

عليك أن تكون المبادر

إلى القتل(٥٩).

أما الشاعر جبرائيل اليشوع فإنه اختار أسلوب الذئاب المفترسة ليحظى بالأمان في الوطن الذي اغتصبه من أصحابه.

هذا زمن الذئاب

المفترسة

وليس زمان التنسك والصومعة(٦٠).

الشاعر «هاري أموس» يرى أن حنينه وشغفه الروحي بأورشليم «وأرض إسرائيل» يشفعان له بشن حرب على الشعب الفلسطيني لتصبح هذه الأرض خالية إلا من الإسرائيليين، بل يحتمان على الفلسطينيين أن يتخلوا عن وطنهم وإن يتواروا ويلغوا وجودهم وحقهم في الحياة تلبية لرغبة هذا الشاعر واستجابة وإشباعاً لحنينه وظمئه الروحي، فإذا لم يفعلوا فلم يبق من خيار

سوى الحرب لقتلهم أو لإرغامهم على الرحيل بقوة الرماح!! يقول في قصيدة بعنوان «أورشليم» مستحضراً مقولة توراتية:

رَكِّزْ رمحك على بقعة صغيرة من أرض إسرائيل

لتنكرني عيني

إن أنا أنكرتك يا أورشليم..

منذ تلك اللحظة

وهو يحارب،

أبناؤه يحاربون أيضاً

وربما حارب أحفاده..

نحن لا نحب الحرب

لكننا نعشق الأرض

أرض التوراة

وشمس أورشليم..

تذكروا دائماً..

الرجل

والرمح

وأورشليم..(٦١).

الشاعر مقتنع بأن حبه لأورشليم، يحمل ما يكفي من المبررات لسرقة وطن بأكمله.

لطالما تساءلت وأنا أقرأ هذه النماذج من شعر العنف الإسرائيلي، عن هذه الظاهرة، الشعرية الفريدة من نوعها بين تجارب الشعر العالمي، قديمه وحديثة، عن منابعها ومكوناتها الثقافية والفكرية والنفسية والاعتقادية وعن

الروافد التي استقى منها هؤلاء الشعراء قسوتهم ونضوبهم الروحي وكل هذا الزخم من ازدراء الآخر والاستخفاف به وعدم المبالاة بحياته وكرامته وحقوقه وإنسانيته، وعن هذا الخراب الذي خرب المشاعر وأطفأ في نفوس أصحابه شعلة الروح وحول الإنسان فيهم إلى ذئب مفترس يتباهى ويتلذذ بقدرته على الافتراس لا يأبه أو يحس بعذابات الآخرين ومعاناتهم وحقهم في الحياة، بل يستعذب وجعهم وتفرحه أحزانهم ومآسيهم وانتهاك إنسانيتهم؟! ألم ينفذ إلى داخل هؤلاء الشعراء، شيء من شعاع الشعر الإنساني، من رقته وسموه وتعاطفه وحنوه واحترامه للحياة وأبناء الحياة، ألم يصل إلى نفوسهم شيء من ضوء العالم الخارجي وهوائه وألوانه المتعددة؟!

ألم يقرؤوا شيئاً من ديوان الشعر الإنساني، من شعر هومر وأسخيلوس وشكسبير وبوشكين وشيللر وهوغو واراغون وإلوار وبابلو نيرودا وويتمان وطاغور وغيرهم من شعراء الأمم والشعوب، ألم يقرؤوا نشيد الإنشاد وسفر الجامعة..؟ هل وجدوا أو قرؤوا عند هؤلاء دعوة لقتل الأطفال والنساء والشيوخ، أو تعبيراً عن النشوة والتلذذ في سفك الدماء وقتل الأبرياء واغتصاب حقوق الآخرين والتباهي والتفاخر بممارسة القتل والافتراس والنظر إلى بقية الشعوب بأنهم ليسوا أكثر من حيوانات أو حشرات لاحق لها بالوطن أو بالحياة كما ينظر هؤلاء الشعراء للشعب الفلسطيني؟!!

العنف المعنوي أو العنف المبطن:

أشرنا من قبل إلى أن ظاهرة العنف في الشعر الإسرائيلي، لم تقتصر على العنف المادي وحده؛ بل أخذت شكلاً آخر يمكن تسميته بالعنف المعنوي، وهو عنف وإن اختلف في الشكل والوسيلة عن العنف المادي؛ فإنه يلتقي ويتفق معه في الغاية والهدف، وربما لا يقل عنه قسوة وعنفاً وإيلاماً وبشاعة وإجحافاً بحق الإنسان العربي؛ بل يمكننا القول: إن العنف المعنوي قد سبق العنف المادي، ثم رافقه وسار في موازاته؛ يُمهد له ويغذيه، ويقويه، ويحفزه،

ويبرره، ويطوع له العقول، ويفسح له الطريق أمام دباباته ومدافعه وجرافاته وآلة فتكه واحتلالاته..!

لقد مارس هذا النمط من الشعر مختلف أنواع الحط من شأن الإنسان العربي واستخدم في هذا النوع من العنف شتى أساليب التزوير والتزييف والتضليل والسطو على الحقائق والتاريخ ومارس مختلف أساليب الخداع والتحايل والابتزاز وزراعة الأحقاد والكراهية والأوهام والأكاذيب في نفوس وعقول الأجيال الإسرائيلية، ثم مارس دور الضحية البريئة المسالمة المحاصرة بأعداء السلام والحرية والديمقراطية من العرب وملأ سمع العالم وبصره نواحاً وعويلاً على الشعب اليهودي وعلى ما لاقاه ويلاقيه من عداء وكراهية واضطهاد وعلى الوطن اليهودي «المعطى من الله للشعب اليهودي» لكنه ما يزال محتلاً ومسبياً بيد الأعداء الغرباء من العرب، بينما كانت المنظمات الإرهابية اليهودية والجيش الإسرائيلي يمارسون أبشع أشكال القتل والتنكيل والتدمير والتهجير ضد الشعب الفلسطيني.

إن من المؤسف، أن يشارك شعراء كبار ومبدعون في عملية التزوير والتحايل والخداع والتشويه هذه، وأن يوظف أو يستخدم شعرهم وحنينهم الروحي وعواطفهم نحو الأراضي المقدسة مهد الدين اليهودي، ذريعة وأداة من الأدوات التي تبرر القتل والعنف والأطماع، أو تتحول إلى سلاح في يد الصهيونية تستخدمه وتوظفه في خدمة أهدافها ومطامعها العدوانية التوسعية التي لا علاقة لها بالحنين أو بالشغف إلى أرض الميعاد، أو بالشغف بأورشليم المقدسة أو بالحرص على حمايتها وإنقاذها من يد من «يدنسها»، بقدر علاقتها بالأطماع الاستيطانية التوسعية الصهيونية والتي تذكرنا وتعيد إلى أذهاننا مزاعم الحملات الصليبية عندما غزتْ بلادَ الشام بحجة الحنين إلى الديار المقدسة وبحجة إنقاذها وحمايتها ممن يغتصبها ويدنسها، بينما كان الهدف الرئيسي والفعلي، هو استعمار المنطقة ووضع اليد على مواردها وخيراتها ومقدراتها..

لقد استخدمت الحركة الصهيونية العلمانية الملحدة ووظفت أقوال وفتاوى أشد الحاخامات تعصباً وانغلاقاً وأكثر ما في أسفار العهد القديم قسوة وعنفاً وعنصرية واحتقاراً للآخرين، وأكثر آراء ومقولات غلاة العنصرية ودعاة التفوق العرقي اليهودي ورفض الاندماج، تطرفاً وإسرافا وأكثر أقوال ومواقف أصحاب الأقنعة السياسية خداعاً وختلاً وتضليلاً وتمويهاً وابتزازاً، كما وظفت أكثر أقوال ومشاعر الأدباء والشعراء اليهود في خدمة أهدافها التوسعية العدوانية.

في مقدمة الشعراء الذين تلقفت الحركة الصهيونية شعرهم وعواطفهم الدينية ونزعتهم العنصرية وحنينهم إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ووظفته في خدمة احتلال فلسطين وانتزاعها من سكانها الأصليين وفي إقامة الدولة العبرية - الشاعر «مناحيم ناحمان بياليك» الذي يُعد أحد الرموز الشعرية الكبيرة في التاريخ اليهودي، فقد وظفت الصهيونية شعره وحنينه وأشواقه الدينية والروحية ودعواته العنصرية إلى رفض الاندماج ببقية الشعوب وإلى بعث الروح اليهودية وإيقاظها، وحث اليهود للهجرة إلى «أرض الميعاد» وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين. في قصيدة بياليك التي جاءت بعنوان: (حقاً إن هذا هو عقاب الرب) يوجه بياليك أقسى أنواع اللوم والعتاب ليهود العالم الذين قبلوا الاندماج ببقية الشعوب وتخلوا عن تميزهم وتفوقهم المزعوم وعن خصائصهم الفريدة وقبلوا بتلويث معدنهم النقي وأجسادهم الحية بالمعادن الرخيصة والأجساد الميتة،!! معبراً عن نزعة عنصرية متعالية تحمل أشد أنواع العنف المعنوي ضد بقية الشعوب حين ينظر إليها بأنها خلقت من معادن رخيصة ومن أجساد ميتة؛ بينما يتفرد اليهود بمعدنهم النقي الثمين وأجسادهم الحية حيث يقول ملتقياً بشعره مع غلاة الحركة الصهيونية:

أهكذا تندمجون في الأحجار الرخيصة

لقمةً سائغة بين أسنان الشرهين

تتركونهم يأكلون أجسادكم الحية

تبنون لهاجريكم بتوم وعمسيس

هكذا صار أبناؤكم

إسمنتاً بين الحجارة والخشب..؟![٦٢].

واضح من هذه الأبيات أن عنصرية بياليك ونظرته المتعالية وعزلته التي تحتقر وتزدري بقية الشعوب، لا تطفئ في نفسه المشاعر الإنسانية وتحجب عنه الرؤية الموضوعية فحسب؛ بل تحجب عنه الكثير من الحقائق؛ فتجعله يتوهم أن الدم اليهودي الذي يتباهى ويتفاخر بأنه دم صاف ونقي... في حين تؤكد الحقائق التاريخية أن ذلك الدم اليهودي الذي يدعي نقاءه؛ ليس نقياً ولا صافياً، وأن العرق الذي يتوهم أنه من معدن خالص ليس معدناً خالصاً، وذلك لأن يهود العالم لا ينحدرون جميعهم من جد واحد، أو من رحم واحدة؛ كما يحاول الشاعر «بياليك» والحركة الصهيونية تلفيقه وتسويقه؛ فاليهود هم من أجناس وأعراق وقوميات مختلفة؛ بما فيهم كبار الملوك والقادة القدماء الذين تتباهى الصهيونية بيهوديتهم، فأم سليمان حثية، وأم شاؤول كنعانية، وحتى داؤود نفسه فإن جدته مؤآبية. ومعروف أن اليهودي هو من كانت أمه يهودية حسب العرف اليهودي.

وعلى الرغم من أن بياليك لم يكن صهيونياً؛ إلا أن شعره كان ينضح بالأفكار الصهيونية وبكل ما تحمله من عنصرية وتعال ورفض لاندماج اليهود، وتحريض على الهجرة إلى فلسطين. يقول مخاطباً يهود العالم يستنهضهم ويحضهم على هجر واقعهم المذل واللحاق بقوافل الماضي البعيد والاستجابة لنداءاته وأصدائه، موجهاً أنظارهم وقلوبهم نحو فلسطين:

قوموا تائهي الصحراء

اخرجوا من القفراء..

كفاكم تحركاً، تشرداً في الأرض القاحلة

وأمامكم ممتدة طريق كبيرة واسعة

لأربعين سنة نتيه بين الجبال

وفي الرمال، دفنا ست مئة ألف جثة..

لن توقفنا جثث الضعفاء

الذين بعبوديتهم ماتوا

يتفسخون بعارهم يتمددون على حزمهم

التي حملوها من مصر على أكتافهم

يستعذبون حلمهم، حلم البصل، الثوم

خزانات كبيرة وعظيمة مليئة باللحم

قد تقتسم اليوم أو غداً الريح الشرقية

مع النسر جثَّةَ آخر العبيد.

قوموا أيها التائهون

غادروا القفراء

كي لا تغيظوا بخطواتكم الصحراء

ونائميها

كل شخص يسمع بقلبه

صوت خطاه..!

شخص بقلبه

يسمع صوتاً يقول:

اذهب إلى أرض جديدة

أنت اليوم ذاهب..![٦٣].

في قصيدة أخرى طافحة بالحنين والتلهف إلى أصداء الماضي اليهودي البعيد يناجي أطلاله وخرائبه ويذرف أشواقه وعواطفه وأحزانه؛ مستدراً حنين يهود العالم وبعث أشواقهم لذلك الماضي، كما كان شعراء الجاهلية يقفون على الأطلال والدمن يذرفون الدموع والشعر في إثرِ الأحباب.

يا جدران بيت العلم، يا جدران البيوت المقدسة

أيتها التي تؤوين الروح العظيمة

يا ملجأ الأمة الأبدية

لماذا أنت صامتة وبائسة

هل تحلمين بالأيام الماضية

أم تبكين على الذين يهجرونك يوماً بعد يوم

لقد حملتهم الريح بعيداً؟![٦٤].

في بحث بياليك وتنقيبه بين خرائب الماضي وأنقاضه، يتوهم النور اليهودي ينبعث من بين الأنقاض والخرائب؛ ويبصر الروح اليهودية المُشعَّة قادمة من أقاصي التاريخ، ترفض الموت والتلاشي وتبشر بإنقاذ البشرية، مازجاً أحزانه وتأسيّه بضوء الأمل في انبعاث الروح اليهودية والمجد اليهودي..

مدن من التشتت بعيدة

حيث ما زال يضيء في السر

نورنا القديم

حيث أنقذ الله بقية من الدمار

هناك يلتمع الضوء بين الخرائب

حيث الأرواح الكسيرة تواصل السهر

نفوس عَبَرتْ حدود الزمن

دون أن يقل بهاؤها أبداً..(٦٥).

لا نستطيع ونحن نقرأ عن هذه الروح اليهودية المنقذة التي بشر بها «بياليك» والتي هي بنظره ضوء العالم وأمله في الخلاص، إلا أن نتساءل: أين هي تلك الروح المقدسة التي بشر بها وادعى بأنها سراج العالم ونوره وأمله في الخلاص...؟ ألم تتحول تلك الروح على يد الصهيونية إلى عاصفة مظلمة وطاقة وحشية تقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمر وتهدم المنازل فوق رؤوس أصحابها، وتفرض على الآخرين قانون الغاب، وتهدد أمن العالم، وتنشر الشرور، وتبذر الأحقاد، وتحرك وتغذي الصراعات والانقسامات في منطقتنا؛ بل تهدد أمن اليهود أنفسهم، وتحول حياتهم إلى حالة من التأهب والخوف الدائمين كما يذهب بعض المفكرين حيث يقول:

«إن الإحساس المرضي بعدم الأمن قاد الإسرائيليين إلى أن يسعوا للسيطرة على خصومهم بطرق تخلق - وللمفارقة الفاجعة - الأخطار نفسها التي يتوقون إلى تجنبها»(٦٦).

إن نزعة بياليك الدينية والصوفية، لم تخفف من نزعته العدائية وميله إلى السيطرة وقهر الآخر، بل إن دعوته إلى نهوض يهود العالم وانبعاث روحهم كانت مقترنة برغبته في غلبة الآخرين وقهرهم؛ ولم تكن مقترنة برغبته في نديتهم ومساواتهم أو التسابق السلمي معهم.!

إنني أعرف قدر إسرائيل

فلسوف تقهر الأمة المتعبة العمالقة

وتحيا من بعدهم!!(٦٧).

من الممكن فهم وتبرير حفزه للشعب الذي ينتمي إليه وحماسته في استنهاضه ليحتل موقع الصدارة بين الشعوب، لكننا لا نستطيع تبرير رغبته في قهر الآخرين والعيش بعدهم أو على أنقاضهم!! لنستمع إليه في إحدى قصائده التي يستعجل فيها ولادة يشوع جديد يقود جيشه ويقود يهود العالم إلى النصر واستعادة بأس ومجد الماضي اليهودي البعيد؛ بكل ما تحمله وتوحي به سيرة يشوع بن نون من عنف وأطماع ورغبة عارمة في القتل والتدمير والإبادة والسيطرة..!

أمام الشمس المقبلة

منظر رائع كوجه ملاك الحرب

يقف يشوع بن نون يصيح

على رأس جيشه العظيم

صوته كالسهم يخرج، مليئاً قوة، بأساً

كلامه يتأجج كالشعلة وكالنار

والصحراء المخيفة

الصحراء الخالية

تردد خلفه:

إسرائيل قُمْ رِثْ.!!(٦٨).

إن أي قراءة متأنية لهذه المقطوعة الشعرية ولشعر مناحيم بياليك، تكشف حقيقة حنينه وأشواقه وعواطفه الدينية وأحلامه، فأحلام بياليك وأشواقه

وعواطفه الجياشة ودعواته الملحة، لا تقف عند الرغبة في بعث الروح اليهودية التي يعتبرها سراج العالم والأمل بالقيامة من بين أنقاض الماضي وخرائب التاريخ وإزاحة ركام الظلم والذل والاضطهاد والمهانة عن اليهود، ولا في أن يعيش يهود العالم في مساواة وندية وسلام مع غيرهم من الشعوب؛ بل إن أحلامه وأشواقه ورغباته تتعدى هذا كله لاستنساخ يشوع بن نون جديد، يقود يهود العالم إلى فلسطين «أرض الميعاد» مكتسحاً بجيوشه، وصوته المشتعل والمتأجج بالنار والقوة والبأس كل شيء أمامه، موقعاً بشعوب هذه المنطقة كما كان يفعل يشوع، كل أنواع الفتك والقتل والتدمير والإبادة الجماعية، معيداً لليهود مجدهم الغابر في إقامة مملكتهم الثالثة التي بشر بها بن غوريون ولكن على الجماجم والأشلاء..! وإلا فلماذا يستعيد بياليك ذكرى يشوع وذكرى جيشه ومذابحه وأفعاله الدموية ولماذا يحلم باستعادة سيرته أو باستنساخه؟ أليس هذا ما يحلم به، وما يدعو إليه؟ ألم يتوارَ ويختفِ الشاعر والمتدين في هذه الدعوة؟! أليس مناحيم بيغن وموشي ديان وأريل شارون هم صورة عن يشوع واستنساخاً ليشوع الذي يستعجل بياليك ولادته؟! ثم أليس رفض الاندماج واعتبار اليهود هم وحدهم «شعب الله» وهم وحدهم المعدن النقي والصافي والكريم خلافاً لشعوب العالم جميعاً وهم وحدهم البقية الباقية من الأمل في خلاص البشرية.. أليس كل هذا عنفاً لا يضارعه عنف؟!

الشاعر يهوذا عميحاي والملك شاؤول:

الشاعر يهوذا عميحاي، شاعر صهيوني، يُعدُّ من أشهر الشعراء الإسرائيليين الذين عبّروا في شعرهم عن الفكر الديني اليهودي ومزجوا بين موضوعات التاريخ اليهودي وتعقيداته وتناقضاته وأوهامه بلغة شعرية عميقة الدلالة تعتمد في الكثير من الأحيان على الرموز والإيحاءات وتفجير الأحاسيس الغامضة. ولد عميحاي في إحدى المدن الألمانية وهاجر إلى فلسطين وهو في

الثالثة عشرة من عمره، يتغذى شعره من مقولات الحركة الصهيونية وعنصريتها وأطماعها ومن التراث اليهودي، بكل ما يحمله هذا التراث من تعقيدات وأساطير وأحداث ومعاناة وشعره مثل شعر بياليك مثقل ومشبع بالتاريخ اليهودي برموزه وأحداثه وأوهامه وهو مثله يوظف الرموز التاريخية اليهودية وأحداث التاريخ اليهودي في التعبير عن مواقفه وطموحاته السياسية.

ومثلما استلهم بياليك الماضي اليهودي واستحضر يشوع بن نون واستولده في الحاضر وفي مسيرة اليهود نحو احتلال فلسطين، فإن عميحاي استلهم هذا الماضي واستولد بعض رموز التاريخ اليهودي القديم التي اشتهرت بقوة بطشها وقسوتها وعنفها من أجل الهدف نفسه.

في قصيدة يهوذا عميحاي (الملك شاؤول وأنا) يستنهض يهود العالم ويحفزهم على مغادرة حالة الضعف، والسلبية والاكتفاء بالقليل وباجترار الماضي والتسليم بواقع الشتات من خلال مقارنة بين قوة وبأس وطموحات الملك شاؤول وبين خمول يهود اليوم وضعفهم وسلبيتهم واستسلامهم لحالة التآكل والذوبان؛ فالمعروف عن الملك شاؤول، أنه أقام بالقوة والبطش والمذابح، أول مملكة يهودية في فلسطين بعد حروب دامية مع أصحابها وسكانها وبموجب توصية «إلهية» من النبي صموئيل؛ هذه الرواية قد تفتح لنا آفاق هذه القصيدة ودلالاتها ومراميها، وقد جاء في هذه الوصية قَول صموئيل لشاؤول:

«أنا الذي أرسلني الرب ملكاً على شعبه، على إسرائيل، فاسمع الآن قول الرب، هكذا يقول رب الجنود: قد افتقدتُ ما صنع عماليق بإسرائيل وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر، فَهَلُمّ الآن واضرب عماليق وأبسل جميع مالهم ولا تعفُ عنهم، بل اقتل الرجال والنساء والصبيان والرضع والبقر والغنم والإبل والحمير.. فضرب شاؤول عماليق وأخذ أجاج ملكهم حيا وأبسل شعبه أجمع بحد السيف..»[٧٩].

يقول عميحاي في قصيدته (الملك شاؤول وأنا):

أعطوه إصبعاً

لكنه أخذ اليد كلها..

أعطوني اليد كلها ،

فلم آخذ حتى الإصبع الصغيرة..!

بينما كان قلبي

ينوء بأحاسيسه الأولى

كان هو يروض هيجان الثيران

كانت نبضاتي مثل قطرات الصنوبر..

مثل مطرقة تدق على حائط جديد

لقد كان أخي الكبير

وقد حصلت على ثيابه المستعملة..

ثم يمضي عميحاي في مقارنة مليئة بالإيحاءات والرموز وروح الاحتجاج والمزج بين التناقضات والمشاعر المتجاذبة:

متعب أنا

وفراشي مملكتي

نومي عادل

وحلمي فتواي

شنقت ثيابي على كرسي

بانتظار الغد..

وشنقت مملكته

في إطار من الغضب الذهبي

على جدار السماء

ذراعاي قصيرتان مثل خيط قصير

لا يكفي لربط حزمة

وذراعاه مثل سلاسل في ميناء..

أنه ملك ميت

وأنا رجل متعب...![٧٠].

الشاعر حانق، وغاضب من سلبية يهود العالم، ومن ضعفهم واقتناعهم بالقليل؛ معبراً عن غضبه وحنقه، في هذه المقارنة بين الماضي والحاضر بين الملك شاؤول وبين أحفاده، بين قوته وطموحاته وشدة بأسه وبطشه، وبين سلبية يهود اليوم واستسلامهم وخنوعهم واكتفائهم بالقليل وبترداد أصداء الماضي البعيد واجتراره وارتداء أسمال الأسلاف المستعملة «لقد كان أخي الكبير، وقد حصلت على ثيابه المستعملة» أو الاكتفاء بمجاورة الموتى واجترار سيرتهم والانسحاب من مواجهة تحديات الواقع، «إنه ملك ميت، وأنا رجل متعب».

مقارنة عميحاي الغاضبة المستفزة، لا تقف عند حدود استنهاض اليهود وشحنهم بشحنة قوية من التاريخ اليهودي أو عند دعوتهم إلى الكفاح من أجل رفض الاضطهاد والظلم والخنوع أو ومن أجل العدل والأمن والمساواة بل تحمل دعوة مبطنة للعدوان والعنف والغلبة والتوسع واعتماد أسلوب شاؤول في الفتك والقتل والتوسع.. وإلا فلماذا هذا التأسي على قوة شاؤول وبأسه وعنفه ولماذا هذه المقارنة العابثة المستفزة بين الماضي والحاضر؟!.

لقد أشرنا أكثر من مرة في هذا البحث، كيف مارس أدباء الحركة الصهيونية شتى أنواع العنف المادي والمعنوي ضد الشعب الفلسطيني بخاصة، وضد العرب بصورة عامة، وكيف أجمعوا على تبني سياسة القوة والعنف في سبيل إقامة الدولة العبرية... وكيف تواطؤوا على تشويه صورة العربي الفلسطيني والحط من شأنه واحتقار إنسانيته وكيف أنكر بعضهم وجوده أو اعتبر وجوده لا يتعدى وجود الحيوان أو وجوداً شبحياً، كريهاً، عدوانياً، وكيف وصفوه بالغباء والعنف والشهوانية والقبح والجبن والخنوع والغفلة والقذارة واللصوصية والاستعداد لخيانة شعبه والتفريط بشرفه وكرامته من أجل القليل من المال؛ بل إن بعض الأدباء الإسرائيليين أخرجوا الإنسان الفلسطيني من فصيلة البشر؛ فشبهوه بالحيوان أو بالمخلوق البدائي المتوحش العاجز بفطرته عن التطور... كل ذلك من أجل نزع مشروعيته وجدارته في امتلاك وطنه، وتأكيد بعض المقولات الصهيونية بأن فلسطين كانت قبل هجرة اليهود إليها، خالية من السكان «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» وأن ما يقال عن وجود شعب فلسطيني ما هو إلا أكذوبة اختلقها العرب، وبالتالي فإن احتلال فلسطين من قبل اليهود لا يرتب عليهم أية مسؤولية أخلاقية أو قانونية.

اختلاق العدو وممارسة سياسة الخداع والابتزاز وقلب الحقائق:

اعتاد غلاة اليهود، طوال تاريخهم، على اختلاق الأعداء، وعلى إيجاد عدو للشعب اليهودي، يتجدد باستمرار، ومن ثم المتاجرة والابتزاز بحجة هذا العدو الجائر المضطهد؛ فقد كان العدو الجائر والمضطهد - بالنسبة لليهود - في الماضي البعيد، هم الفراعنة... وبعد ذلك صار الأعداء هم البابليون والآشوريون، ثم اليونان والرومان والصليبيون والغرب المسيحي... في هذا العصر، فقد كان العدو هو النازي وأعداء السامية.... أما اليوم؛ فإن العدو الجديد هو العربي، والإيراني، حتى لكأن وجود عدو أو اختلاقه، أحد ثوابت

الفكر اليهودي وضرورة من ضرورات وجود اليهود واستمرارهم والمحافظة على تمايزهم، يشكل حافظة تضمن عزلتهم وعدم اندماجهم وتصون نقاءهم العرقي المزعوم، أو كأنه المبرر لاستمرار نزعة العداء ضد الآخر وممارسة العنف ضده، والاستمرار في هواية التظلم والابتزاز..! في إطار سياسة اختلاق العدو هذه قسِّم الأعداء إلى نوعين:

عدو دائم عام مطلق، وعدو مباشر محدد قريب لصيق:

فالعدو العام، الدائم والمطلق، هو العالم بأسره فالعالم كله عدو، بنظر غلاة اليهود أو ما يحبون تسميته، بالأغيار أو «الغويم»...وهذا العدو يتمدد على اتساع وامتداد التاريخ اليهودي.

أما العدو المباشر والجديد بعد سقوط النازية وهزيمتها، فهو العربي وبخاصة العربي الفلسطيني دون النظر إلى الفارق الكبير بين العدوين والذي لا يراه الإسرائيليون أو لا يريدون رؤيته والاعتراف به وهو أن العدو الجديد، مختلف عن الأعداء السابقين، فهو لم يمارس الاضطهاد والإذلال والظلم والاحتلال ضد اليهود، بل هو ضحية الاعتداء والظلم والاضطهاد والاحتلال ورغم هذا التباين، أرادت الصهيونية وشعراؤها اعتباره غاصباً دخيلاً عدواً محتلاً ومضطهداً. وكعادة شعراء العنف الصهيوني، فقد شاركوا في لعبة التزوير واختلاق الأكاذيب والتلاعب بالحقيقة، فعكسوا صورة الواقع وحاولوا أن يكرسوا في الأذهان هذه الصورة المغلوطة بأن الفلسطيني دخيل على فلسطين محتل وغريب ومعتدٍ، أذلَّ الإسرائيليين وسطا على ديارهم وسلب وطنهم التاريخي ودنس مقدساتهم..!

وها هو الشاعر «شمشون ملتسار» يعتبر العربي عدواً محتلاً ويشارك في عملية التزوير وقلب الحقائق، مازجاً بين نزعته العنصرية المتعالية وبين هواية التشكي والتظلم والتباكي والابتزاز.. يقول في قصيدة طويلة بعنوان (القيثارة):

والآن، نرفع أعيننا

وإذا بنا، نرى المدن تنتصب على تلالها

ومدينتنا بِذُلٍّ

وقرانا بخوف

وكنيس إسرائيل، مريض

في أرضه

الشعب في الشتات، متفرق ووحيد

مسلوب الإرادة ومحتقر

يجلس بين أعدائه..

وأخوتنا، بضيق، منهم القتلى والأسرى

يعانون الجوع

ومنهم ملاحقون،

يأتون يطرقون الأبواب...

لكنها مقفلة

والمفتاح بيد شعب غريب

والأرض مسبية

بيد أبناء «هاجر»

ونحن نبكي..

وتبكي مثلنا، السماء والأرض

والشمس تبكي، والقمر والنجوم...(٧١).

تحت هذا الهطول الكثيف من البكاء، الذي تشارك فيه الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم، وخلف هذا القناع من الرياء، يخفي الشاعر

«ملتسار» الحقائق، يزورها ويتلاعب بها، فيحمّل عدوه الجديد، بل ضحيته الفلسطيني، مسؤولية ما لحق باليهود من تشتت واضطهاد وإذلال، ويطلق عليه ما هو بحقيقة الأمر من صفات الإسرائيليين، فيتهمه بممارسة ما قاموا هم به ضد الشعب الفلسطيني من احتلال واعتداء وتنكيل. فالفلسطيني في نظر هذا الشاعر ليس محتلاً ومعتدياً ودخيلاً فحسب، بل هو مخلوق هجين من نسل الجارية «هاجر» وأبناء الجواري، لا يحق لهم التملك، فما بالك بامتلاك وطن!!

ويمثل الشاعر الصهيوني «حاييم ريبنزون» دور الضحية البريئة والحمامة الوديعة المطعونة والمذبوحة بالحراب العربية فيقدم الجلاد المغتصب بثياب القديس والناسك، حين يقول في قصيدة بعنوان (الظلام في النوافذ):

حمامة تتمرغ بالطين

ترتجف بوهن

من الحراب العربية..(٧٢).

ويستمر... غير متحرج من ممارسة الخداع والتضليل والتلاعب بالحقيقة وإظهار الإسرائيلي المغتصب المحتل بمظهر ضحية بريئة محاصرة من العرب الأعداء، يهددون وجوده وأمنه وحقوقه، متجاهلاً أن هذه الحمامة الضحية، قد احتلت المدن والقرى والأراضي والممتلكات العربية الفلسطينية وأنها قتلت وشردت الملايين من الشعب الفلسطيني، فيلجأ إلى الشكوى والدعاء والاستعانة بالإله على تدميرهم وتمزيقهم إلى أشلاء..!!

إلهي..! لا يستطيع سحقهم

الموج لا يدمرهم ولا يغرق مراكبهم

أو يحيلها

أشلاءً وخرقاً(٧٣).

إلا أن هذا الشاعر المخادع يُدرك في حالة من حـــالات الــصدق مــع النفس عبثية الاستمرار في لعبة تجاهل الحقائق والتلاعــب بهــا والتظــاهر المستمر بمظهر الضحية، فيكشف عن هواجسه ومخاوفه التي تتسرب إليه من «نوافذ الظلام» فلا يجد لها من علاج إلا الاستنجاد بالإلـــه والاعتمـــاد علـــى الانقسامات العربية التي ترى فيها إسرائيل أهم ضمانات وجودها!!

حمامة فوق النهر

مكسورة الجناح

لا شاطئ يعرفني

لن تسير سفني

إلا بانقسام عربي!!(٧٤).

أليس أمراً غريباً وشاذاً ومفعماً بروح المقـــامرة والمكـــابرة أن يـــربط الإسرائيليون مصيرهم وأمنهم ومصير دولـــتهم باســـتمرار الرهـــان علـــى الخلافات والانقسامات العربية، وان تقوم دولة على مثل هذا الرهان؟! ثـــم ألا يحق للقارئ أن يتساءل: أي مصير هذا المصير المرتبط بكـــوارث الآخـــرين والذي لا يقوم إلا على ويلاتهم وأشلائهم واحتمال استمرار النزاع فيما بينهم؟! وأي نزعة عدوانية وحشية يحملها قلب هذا الشاعر المتباكي..؟

الشكوى والتظلم، سلاح من أسلحة العنف:

يعيش الإسرائيليون في وهم أو في توهّم، أن العالم كله معادٍ لهـــم وأن عليهم أن يتعاملوا مع شعوب العالم باعتبارها أعداء، ويصرون على العـــيش في ذكريات الماضي ومآسيه، بل يعملون على إذكاء هـــذه الـــذكريات كلمـــا ضعفت أو خبت وعلى إبقائها حية وماثلة في أذهان الأجيال اليهودية، ولكـــي تبقى حية وماثلة في الأذهان، يمارسون كل أنواع التشكي والـــتظلم والتبـــاكي والنواح مما لحق بهم من ظلم واضطهاد، عبر التاريخ ويستخدمونها ســـلاحاً

من أسلحة الابتزاز واستدرار العطف وتكريس الأحقاد والعزلة عن بقية الشعوب وتبرير العنف ضد الشعب الفلسطيني.

هذه الظاهرة التي يكاد ينفرد بها اليهود، عبرَّ عنها الكاتب الروسي الشهير أصدق وأدق تعبير في بحثه (المسألة اليهودية) يقول دستويفسكي:

«إنني أعلم حق العلم أنْ ما من شعب في هذا العالم يفرط في الشكوى من نصيبه والتظلم من هوانه وتعاسته وعذابه في كل لحظة وفي كل خطوة يخطوها أو كلمة يتفوه بها كاليهود». ويقول مشككاً بصدق تشكيهم: «لا أستطيع التصديق تماماً بنحيب اليهود وبأنهم مظلومون ومعذبون ومهانون». ثم يتحدث عن عزلتهم وانطوائهم وانغلاقهم وإيمانهم بأن ليس ثمة شخصية آدمية سوى الفرد اليهودي، وبأن الآخرين، وإن كان لهم وجود، فينبغي رغم ذلك تجاهل هذا الوجود، فينقل عنهم مقولتهم: «تنحَّ عن الشعوب وكَوِّن هويتك الخاصة واعلم أنك منذ الآن الوحيد لدى الرب، أما الآخرون فافتك بهم، أو اجعلهم عبيداً أو سخرهم... آمن بالنصر على العالم أجمع، آمن بأن كل شيء سيرضخ لك...... كن صارماً في ازدراء الآخرين»!![٧٥].

إن دستويفسكي في وصفه الدقيق هذا لهواية التشكي والتظلم، لا يحدثنا بصدق ودقة عن يهود عصره فحسب أو عن اليهود في الماضي، بل يكاد يعبر الزمن فيحدثنا عن الإسرائيليين وينطق بلسان شعراء ومفكري الحركة الصهيونية.!

ويمضي الكاتب الروسي الشهير متحدثاً عما يقوله يهود عصره إلى أنفسهم:

«ليس ثمة شخصية آدمية سوى الفرد اليهودي وإن الآخرين وإنْ كان لهم وجود ينبغي رغم ذلك تجاهل هذا الوجود»[٧٦].

هذه المقولة يؤكدها، البروفسور الصهيوني برميا هويوفال رئيس قسم الفلسفة الأسبق في الجامعة العبرية في القدس فيقول في حديث لصحيفة

هاأرتس بتاريخ ١٩٧٢/١١/٦ عن وجود الفلسطينيين: «إن القول بعدم وجود فلسطينيين، يعني أنه على الرغم من وجود هؤلاء، يجب اعتبارهم غير موجودين والنظر إليهم أنهم ليسوا بشراً». وينتهي دستويفسكي إلى القول، وكأنه يقرأ ما سيقوله بعض الشعراء الصهاينة بعد أكثر من قرن من الزمن: «آمن بالنصر على العالم اجمع، آمِنْ بأن كل شيء سيرضخ لك»!![٧٧].

يقول حاييم بياليك:

إنني أعرف قدر إسرائيل

فلسوف تقهر الأمة المتعبة

العمالقة[٧٨].

ويقول في مكان آخر:

هذا شعبنا

يده العليا دائماً[٧٩].

أما الشاعرة أنا نجرنيو فتقول:

إنني ابنة شعب لا يقبل الضياع

واجبي مواصلة الطريق

طريق أبي

لمواجهة الأغيار الأعداء

ولو كانوا كل العالم[٨٠].

أليس من المثير للدهشة والاستغراب أن يعتبر هؤلاء أن العالم كله عدو دائم بالضرورة، وأن عليهم قهر هذا العالم والتغلب عليه، رغم ما تلاقيه إسرائيل من دعم مطلق ومن انحياز دولي غير مفهوم أو مبرر لاحتلالها ولجرائمها اليومية ضد الشعب الفلسطيني وكيف يجمعون بين هذا الإحساس

المفرط بالتعالي والتفوق وبين نزعة التشكي والتظلم والتباكي والابتزاز واستدرار العطف!! لنستمع إلى بعض هذه البكائيات الإسرائيلية على الأطلال.. وبالأحرى على أطلال مدن الفلسطينيين وقراهم وحقولهم وكرومهم وبياراتهم التي اغتصبها الإسرائيليون من أصحابها ثم استمروا في عملية التظلم والتباكي والابتزاز..!

تقول الشاعرة الصهيونية «نيلي ساخس» الألمانية الأصل والحائزة على جائزة نوبل عام ١٩٦٦في قصيدة بعنوان (صوت الأرض المقدسة) وكأنها مقيدة بسلاسل الأسفار القديمة وأصداء التاريخ اليهودي وعذابات اليهود وتمتزج فيها الأوهام والمخاوف والإحساس بالعزلة والنبذ، بنزعة التشكي والتظلم واستدرار العطف والتعالي والتأكيد على استمرار عداء العالم للسامية كأن التاريخ مازال متجمداً منذ آلاف السنين.

آه يا أطفالي

الموت يركض في خفق قلوبكم

كما يركض خلال مرج من العنب

يرسم (إسرائيل) حمراء على جدران العالم

ماذا ستكون نهاية القداسة الصغيرة

التي ما تزال تختبئ في رمالي..؟

دعوا أسلحة الثأر في الحقل

فسوف تلين

فحتى قطعة الحديد والبذرة يأتلفان

في رحم الأرض..

ولكن ماذا ستكون نهاية القداسة الصغيرة

التي ما تزال تعيش في رمالي..

الأطفال القتلى

ينهضون من نومهم

يحنون شجرة العصور

ويثبتون على صدورهم

النجمة المتنفسة البيضاء

التي كانت تدعى يوماً (إسرائيل).

يقول الطفل

من أعلى الغصون

ستطلع، وتصعد عالياً مرة أخرى

إلى حيث الدموع تعني الأبدية..[٨١].

وتستمر الشاعرة في التشكي والتظلم من عداء العالم لوجود إسرائيل، رغم كل ما لاقته إسرائيل وما تلاقيه من دعم ومساندة واحتضان، مستهينة بالمنطق، متجاهلة حقائق الواقع مستمرة في عنصريتها وتعاليها وابتزازها:

لماذا جواب الكراهية الأسود

لوجودك يا إسرائيل؟

أنت غريبة

غربة نجمة بعيدة عن جميع النجوم

وأنت مباعة لهذه الأرض

لا بد أن تقطعي، من أجل الوصول

كل هذه العزلة...

في ترانيم الآخرين
طالما جاء صوتك..
نغمة أوطأ
نغمة أعلى
لقد رميت نفسك في دم شمس المساء
مثل ألم يبحث عن ألم،
طويل ظلك
لكنه صار متخلفاً عنك،
يا إسرائيل!
كم بعيد طريقك عن البركة
لا بد من سيرك عبر دهر الدموع
إلى حيث ينحني الطريق
إلى حيث تتحولين رماداً.
وأعداؤك بدخان جسدك المحترق
يحفرون
لإنسانك الفاني
قبراً في جبين السماء
آه من مثل هذا الموت
حين كل الملائكة تهرع لعونك
بأجنحة نازفة

وأنت تظلين معلقةً ممزقة

في أسلاك الزمن الشائكة؟

لماذا جواب الكراهية الأسود

لوجودك يا إسرائيل(٨٢).

إن من المؤسف حقاً، أن تعيش هذه الشاعرة المبدعة حبيسة الماضي البعيد، تجتره وتستعيده وتذرف الدمع عليه وأن لا ترى ولا تأبه إلا لعذابات الشعب اليهودي وأن تصاب بكل هذا العمى، الروحي حيال عذابات الشعب الفلسطيني.!

وهذا الشاعر «يوناثان غيفن» الذي قرأنا ندمه وتأنيب ضميره لأنه لم يُحضر رأس أحد اللبنانيين هديةً لأمه، ويدعو إلى القتل بل إلى المزيد من القتل ضد العرب، يُمثّل في هذه القصيدة، دور الضحية ويمارس هواية التشكي والتظلم والابتزاز والخداع:

أرض تأكل مواطنيها بكل فم

رأينا أرضاً كبيرة

يا يهوشوع:

أراضٍ كثيرة

سماء حمراء كالدم

وعمالقة وجرحى كهوف مائية

مطراً غزيراً على الأرض

ودخاناً أسود يرتفع إلى السماء

كباراً كئيبين يبكون في الكروم

وصغاراً يسقطون ولا يقومون

الجبال عالية، لا حدود لها

أعمالاً شاقة، حياة صعبة

تماسيح وثعالب وعقارب وأفاعي

أرضاً تأكل مواطنيها بكل فم

أرضاً مخيفةً

أراضٍ كثيرة..

رأينا كل هذا، يا يهوشوع.

في طريق الأعناب

وبكينا على الشريط بكاءً مضاعفاً

وأصبحنا جنادب.!![٨٣].

وتشكو الشاعرة الصهيونية «حدفاه هركابي» من عداء العالم ومن اضطهاده، عازفة على أوتار مأساة اليهود المتواصلة، حتى بعد احتلال فلسطين ومساندة المجتمع الدولي لهذا الاحتلال ولقيام الدولة العبرية:

رباه: الظلمة إلى هذا المدى الموحش

أفق أسود كلوحة على جبيني

كم عليَّ أن أسقط

كم عليَّ أن أتراجع

فما أكثر الكواكب ضدي.؟!

طردوني..

هكذا بأقصى حقدهم أبعدوني

وأنا لم يعد لي ما أرجع إليه

لا مدينة أبعث فيها حياتي

ولا رقعة أرض لدفني

في مماتي..![٨٤].

إن الاضطهاد الذي تشكو منه الشاعرة ويشكو منه شعراء الحركة الصهيونية ويُحمّلون العالم مسؤولية هذا الاضطهاد المتواصل، ما هو إلا مجرد عملية خداع وابتزاز، فقادة الحركة الصهيونية يعتبرون استمرار الاضطهاد الذي يشكون منه، ضرورة من ضرورات الوجود اليهودي وقيام الدولة العبرية، وإن توقف هذا الاضطهاد يشكل أكبر خطر يتهدد اليهود.

سئل ناحوم غولدمان الرئيس الدائم للمؤتمر اليهودي العالمي، سألته مجلة دير شبيغل الألمانية بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٢٧ عما إذا كان وجود الشعب اليهودي ما زال يتعرض للخطر؟ فأجاب: نعم إن هذا الوجود لم يكن في وقت مهدداً كما هو الآن، لأن اليهود، على وجه الدقة، لم يعودوا يتعرضون للاضطهاد، كما كانوا في العصور الماضية[٨٥].

الخطر على اليهود حسب هذا الزعيم الصهيوني المؤسس، ليس في استمرار الاضطهاد الذي تشكو منه ويشكو منه شعراؤها بل في أن يتوقف هذا الاضطهاد، لأن توقف الاضطهاد من شأنه أن يوقف تدفق يهود العالم إلى فلسطين لترسيخ دعائم الدولة الصهيونية وأن يبطل مفعول سلاح الابتزاز واستدرار العطف ويضعف النزعة العنصرية اليهودية التي هي إحدى ضمانات التلاحم والتماسك اليهودي ورفض الاندماج.. وهنا يظهر أسلوب الخداع والنفاق والتضليل الذي يمارسه الإسرائيليون الذين يشكون من الاضطهاد، لكنهم يخافون من أن يتوقف بل يريدونه أن يستمر..!

مقولة (شعب الله المختار) والعنف:

لا نعتقد أن في التاريخ القديم أو الحديث مقولة أكثر عنفاً وعنصرية من هذه المقولة التوراتية المنسوبة إلى الإله والتي بموجبها يحظى الشعب اليهودي وحده بمحبة الإله وإيثاره واحتضانه والاعتراف به ويُعطى بموجب هذه المقولة الحق في امتلاك ما يشاء من أرض الآخرين «كل موضع تطؤوه أخامص أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الأقصى يكون تخمكم»[٨٦]، ثم تطلق يده في استباحة دمهم وممتلكاتهم: «إذا أدخلك الرب إلهك، الأرض التي أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم..»[٨٧].

الخطير في هذه المقولة، هو أن شعراء وأدباء الحركة الصهيونية قد نقلوها من بطون التاريخ القديم ومناخاته، وزرعوها في تربة الحاضر وفي أذهان الأجيال الصهيونية فولدت لدى هذه الأجيال نزعة عنصرية متعالية متغطرسة، تستخف بالآخر وتحتقره وتستهين بحياته وحقوقه وإنسانيته وتذكي رغبة جامحة في قهر الآخر والتغلب عليه ثم فرضت على هذه الأجيال الاستمرار في حالة العزلة والانغلاق ورفض الاندماج وكرست في أذهانها مقولة العالم المعادي لليهود أو عالم (الأغيار) الأعداء:

تقول الشاعرة الصهيونية «آنا نجرنيو»:

أوصتني أمي منذ الطفولة:

ليكن عملك بتصميم وتعصب

حتى لو امتدت يدي يوماً بغضب،

لا تغفري لي ولا تسمحي

قالت لي:

بأني ابنة شعب غني بالأسفار

وإن الأغيار جهلة

حثتني أن أكون في المقدمة لأني يهودية

قالت أمي: إنني ابنة شعب لا يقبل الضياع

واجبي مواصلة الدرب

درب أبي

لمواجهة الأغيار الأعداء

ولو كانوا كل العالم(٨٨).

الشاعرة أنا نجرنيو، تأخذ بوصية أمها - أو بالتعاليم القديمة - بأنها من سلالة (الشعب المختار) والوصية واضحة: ترفض الاندماج أو ما تسميه الضياع وتؤكد بأن العالم أو «الأغيار» هم جهلة أعداء وأن من واجبها أن تتغلب على هذا العالم المعادي وأن تقهره!! لكنها لم تقل لنا: لماذا عليها مواجهة العالم كله؟! ولماذا تعتبره عدواً؟!

هذه النظرة العنصرية المتعالية المزدرية للآخرين المتحاشية والنفورة منهم باعتبارهم معادن رخيصة وأجساداً ميتة، نجدها أكثر وضوحاً وعنصرية عند الشاعر حاييم بياليك، عندما يحذر اليهود من الاندماج بالشعوب الأخرى باعتبارها معادن رخيصة تفسد المعدن الكريم النفيس للشعب اليهودي إذا ما اختلطت به، وأجساداً ميتة تنقل عدوى الموت إلى أجساد اليهود الحية النقية.!

أهكذا تندمجون

في الأحجار الرخيصة

لقمة سائغة بين أسنان الشرهين

تتركونهم يأكلون أجسادكم الحية

هكذا صار أبناؤكم

اسمنتاً بين الحجارة والخشب!![٨٩].

أو عندما تظهر نزعة العنف وحب الغلبة عند بيالك، حين يبشر بأن الإسرائيليين سيقهرون الأقوياء والعمالقة كما فعل يوشع وشاؤول من قبل ضد العماليق وضد الفلسطينيين:

أنا أعرف قدر إسرائيل

فلسوف تقهر الأمة المتعبة العمالقة

وفي قوله في وصف الشعب اليهودي:

شعب لا يتزحزح، لا يضطرب

لا يخاف عدوه

هذا شعبنا

يده العليا دائماً[٩٠].

ويبدو أن العلماني والمتدين سواء وأنهم جميعاً محكومون بالمقولة اللاهوتية «شعب الله المختار» فهذا الشاعر العلماني (تشرنحوفسكي) الذي ولد في روسيا وهاجر منها إلى فلسطين، يهجر مثل الكثيرين، علمانيته ويتحرر من نزعته الإنسانية ويغلق عليه نوافذه الأخلاقية فيدعو إلى الأخذ بسياسية

السكين والذبح والنزعة العنصرية التي تزعم أن اليهودي من روح الله يحق له مالا يحق لسواه فيقول في قصيدة بعنوان «فليكن هذا ثأرنا»، معبراً عن سموه الروحي..!!

سيأتي اليوم الذي تفقد فيه

أيها المُضطَهدَ طهارتك

وتغرس سكينك في عنق أخيك

كأنك تذبح خنزيرك المفضل

وستكون رنات موته

مثل الموسيقى أو المهرجان في أذنيك

المتلهفتين ليوم الثأر

ثم ينتهي للقول:

صورة الله التي تماثلنا

علامة سمونا الروحي القديم[٩١].

هذا الشاعر العلماني الذي يأخذ بالمقولة العنصرية (شعب الله المختار) وبمقولات الحاخامات بأن أرواح اليهود وأجسادهم مختلفة تمام الاختلاف عن أرواح وأجساد بقية البشر، يذكرنا بمقولة الكاتب الروسي الشهير دستويفسكي في بحثه الشهير «المسألة اليهودية»:

«إنني لا أومن حتى باليهود المتعلمين أو الملحدين.. كلهم سواء.. الله وحده يعلم ما ينتظر العالم من اليهود المتعلمين..»[٩٢].

إن مقولة «شعب الله المختار» تقف حاجزاً منيعاً في وجه التسامح والتلاقي وفي وجه التعاطي الإنساني والندّي مع الآخرين المختلفين، وسلاحاً

عنصرياً يشهر في وجه كل دعوة إلى التعايش السلمي والتلاقي الودي والاندماج العفوي والطبيعي مع بقية الشعوب.

يصف بن غوريون عزلة إسرائيل بمزيج من التعالي العنصري والتشكي والابتزاز فيقول: إن إسرائيل ليس لها في العالم غير حليف واحد وفيّ هو الشعب اليهودي، وإن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا أقارب لها سواء من ناحية الدين أو اللغة أو الأصل، إننا شعب يعيش في هذا العالم بمفرده(٩٣).

لا ندري لماذا اختار الإسرائيليون هذه العزلة وهذه القطيعة مع جميع الشعوب والأمم؟!!

عندما شكل «مندلسون» جبهة تدعو إلى اندماج اليهود في بقية الشعوب التي يعشون بينها وإلى إقامة حوار ندّيّ مع الآخرين وبخاصة مع العرب، أشهر شعراء الصهيونية ودعاتها سلاح التنديد والوعيد والتخويف والتخوين بحق مؤسسي هذه الجبهة وبحق أنصارها وحذروا من خطرها على الخصائص الروحية والعرقية اليهودية، مصرين على العزلة ورفض الاندماج في الوقت الذي يشكون فيه من عزلتهم ومن كونهم شعباً يعيش وحيداً في هذا العالم على حد قول بن غوريون..

فالشاعر «مايير ويزلتير» يَصبُّ جام غضبه على هذه الجبهة فيصفها بأنها جبهة جاهلة تعمل في الجحور المظلمة وتدعو إلى إذابة المعدن اليهودي الثمين بسواه من المعادن الخسيسة فيقول:

جبهة الدعوة للامتزاج

جحورها كل العالم

وسط الظلام تفتحت

لكن..

لماذا ترفع رأسها اليوم..؟

جبهة؟

لا شيء اسمه جبهة

تَجَمُّع جاهل وسط ظلام دامس..

الامتزاج نكتة تافهة جداً

ببطء استنزفت قدراتها

وعَرِيَتْ أمام العالم وأمامي..[٩٤].

وفي دعوة مفرطة إلى الانغلاق والعزلة والإصرار على الالتصاق بالماضي العنصري والتحذير من عداء العالم ومن خطر الانفتاح والخروج من قواقع العزلة، يرد الشاعر الصهيوني «ديدي منوسي» على قصيدة بعنوان: (أمر الدُّب) للشاعر «ب. بيرمان»، يدعو فيها بريمان، الدب «اليهودي» إلى الخروج من قواقع العزلة ومن كهوف الانغلاق، والى ملاقاة العالم والانفتاح عليه، فيقول «منوسي» محذراً من خطر دعوة الشاعر «بيرمان» إلى الانفتاح:

إذا كان الأمر كذلك

يحق لي السؤال:

فيما لو كان هذا الدب

هو المثال؟

إن كان الأمر كذلك

لديَّ مثل آخر،

السلحفاة:

على أحد الطرق سارت سلحفاة

تحمل بيتها على ظهرها،
حِملٌ ثقيل، حمل وقور،
كم مدهش سيرها ببطء
إضافةً إلى ذلك، البيت ضيق،
في الصيف حار
وبارد في الشتاء
لكنها لم تترك بيتها
لأن السلحفاة بلا بيت، لا تكون سلحفاة.
في أحد الأيام
رغب الثعلب بلحم السلحفاة..
حادثها المَكَّارُ:
يا صديقتي
الكون في الخارج بديع!
إشراق، غروب، رياح الربيع،
أزهار، عطر في الجوار
ومنظر بحر وجبل وواد
منظر - وحياتي - جدير بالنظر!
سمعت السلحفاة تلك النصيحة
خرجت للترويح قليلاً
عن نفسها
تستقبل الهواء..

استقبلها الثعلب

وصارت في القِدْر..![٩٥].

هكذا يرون العالم، عدواً بالضرورة، واليهودي ضحية بالضرورة كذلك!!

هذا ما يريده شعراء الحركة الصهيونية وهذا ما يصرون على استمراره وفرضه على الأجيال الإسرائيلية..!! إنه العنف حتى ضد الشعب اليهودي نفسه.!

العنف بحجة الأمن والدفاع عن النفس:

اعتادت إسرائيل أن تشن حروبها التوسعية الاستباقية وحملاتها العدوانية المتواصلة، تحت عناوين وذرائع متعددة، منها المحافظة على الأمن أو الدفاع عن النفس أو الحيلولة دون الاعتداءات العربية.. وهي ذريعة مطاطة تتسع بقدر ما تشاء إسرائيل وحسب ما يتلاءم مع أطماعها ومخططاتها..

ورغم أن إسرائيل تشن حروبها واعتداءاتها بحجة المحافظة على الأمن منذ نشوئها حتى اليوم، فإنها لم تحقق الأمن للإسرائيليين، بل يمكن القول: أنها تصبح أقل أماناً، كلما قامت بعدوان جديد.

هذه الحقيقة لفت إليها واعترف بها مبكراً بعض الباحثين والمفكرين الصهاينة أمثال يهودا غويهليف، فقد نشر غويهليف في صحيفة دافار بتاريخ ١٩٧٤/١٠/١٨ بحثاً تحت عنوان (أزمة الصهيونية في إسرائيل) جاء فيه: إذا كان هناك مكان في العالم الآن تتعرض فيه حياة اليهودي للخطر لمجرد كونه يهودياً فهذا المكان هو إسرائيل بالذات.

ورغم وضوح هذه الحقيقة، فإن إسرائيل ما تزال تتجاهلها وتصر على أن القوة والعنف وحدهما يحققان لها الأمان وأن العربي لا يستجيب ولا يذعن إلا لمنطق القوة، وقد انتصر لهذه الفرضية وعززها في أذهان

الأجيال الإسـرائيلية، أدبـاء الحركـة الـصهيونية وشـعراؤها فرفـضوا الاعتراف بأن ممارسة العنف ومواصلة سياسية التنكيل والإذلال لـن تجلـب لهم الأمن وأن ما يعتقدون أنه يجلب لهم الأمن هو السبب في افتقـاد الأمـن وعدم الوصول إليه!!

في قصة الكاتب والقاص الصهيوني ران ادليسط (أغنية الأوز)، يقول أحد الجنود الإسرائيليين لزميله خلال فترة احتلال إسرائيل لسيناء: «إنـك إذا لم تمت هنا - في سيناء - فإن شعب إسرائيل لن يعيش هنـا»؛ إنـه مفهـوم يربط بين وجود إسرائيل وأمنها، وبين أطماعها التوسعية العدوانية.

لقد شنت إسرائيل في العقد السابع والثامن من القرن الماضي أكثر مـن حرب على لبنان تحت ذريعة (سلامة الجليل) وسلامة أمن الإسرائيليين، وقـد ارتكبت أبشع أشكال العنف والجريمة في هذه الحروب، وتبارى الشعراء فـي الترويج لها وتسويق مزاعمها وتسويغ ما ارتكب فيها من جرائم ضد اللبنانيين والفلسطينيين، وقد وصلت المبالغة في تأييد هذه الجرائم والولوغ فيها والحض عليها، أن أحد الشعراء أظهر ندمه الشديد لأنه لم يجلب رأس أحـد هـؤلاء، هدية لأمه ولأنه وهو الجندي في حملة (سلامة الجليل) لم يجتث رأس عربـي ويجلبه هدية لها..!!

والدتي بكت كثيراً

لأنني لم أحضر لها رأس أحدهم

والدتي بكت

لأني لم أقتل الكثير..!(٩٦).

أما الشاعر ابشلوم كور فإنه بحجة «سلامة الجليل» يعلن حـرب إبـادة على اللبنانيين وعلى اللاجئين الفلسطينيين:

في حملة سلامة الجليل

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ(٩٧).

تحت ذريعة الدفاع وتوفير الأمن شنت إسرائيل حروبها العدوانية التوسعية؛ فاحتلت سيناء والجولان والضفة والقطاع عام ١٩٦٧، وشنت حربها على لبنان في عامي ١٩٨٢، و٢٠٠٦، وقصفت المفاعل النووي العراقي، وتهدد اليوم بقصف المفاعلات الإيرانية السلمية، بحجة أنها تشكل تهديداً لأمنها؛ فمجالها الأمني يذكرنا بالمجال الحيوي الذي أراده هتلر حول ألمانيا؛ هذا المجال حدده شارون في حديث مع صحيفة معاريف في ١٩٨١/١٢/١٨؛ فرسم حدوده في دائرتين، الدائرة الأولى وتشمل الدول العربية المحيطة بإسرائيل، أما الدائرة الثانية؛ فتتسع لتشمل شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر وتركيا وإيران وباكستان ومنطقة الخليج وإفريقيا، وبخاصة الشمالية والوسطى، مع ضمان التفوق العسكري والإسرائيلي على محيطها. هذه الذريعة الزائفة يكذبها ويفضح حقيقتها أكثر من شاعر إسرائيلي منصف يعرف الهدف الحقيقي من وراء مثل هذه الحروب أو الحملات ولا يقدر أن يتحمل ثقل الجريمة وحجمها وحجم الأكاذيب.

يقول الشاعر الإسرائيلي «إيلي ألون» معبراً عن خجله من جرائم دولته في لبنان:

إني أخجل من نفسي

يا شعبي.. يا كل شعبي

فأنا قاتل طفل

من عمر أطفالي الصغار

هناك في أحراش بلاد الأرز(٩٨).

أما الشاعر الإسرائيلي «ب ميخائيل» فيفضح البراءة الزائفة للقادة الإسرائيليين ومزاعمهم الكاذبة بأنهم لم يشاركوا في مذبحة صبرا وشاتيلا:

حكومتي تدعي وتصُر على ادعائها

بأنها حالت دون وقوع مذبحة كبيرة

حكومتي تدعي البراءة

نحن أنقذنا حياة كل هؤلاء الذين لم يقتلوا

وبما أن الباقين على قيد الحياة

هم أكثر من عدد الضحايا

فمن الواضح إذن

أننا منعنا وقوع مذبحة كبيرة

هكذا تقول حكومتي البريئة..![٩٩].

ويمضي في سخريته المريرة واحتجاجه على مزاعم البراءة الكاذبة من دم الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا فيقول:

ماذا يريدون مني

يداي لم تسفكا الدماء

ولكنني أمسكت بالضحية فقط

حين وضع الجزار سكينه فوق عنقها..![١٠٠].

هذه صرخة احتجاج أخرى نشرتها مجلة هعولام هزيه في ١٩٨٣/٣/٩ تفضح وتسفر قناع البراءة الكاذبة الذي تَخَفَّت وراءه القيادة الإسرائيلية في حربها التي أطلقت عليها اسم حرب «سلامة الجليل» وهي حرب كاذبة مثل مثيلاتها الكثيرات لها قادتها وقضاتها الكاذبون.

اثنان من ضباطنا الكبار

وجيش كبير

وقفوا في شاتيلا ورأوا كل شيء

ذبحوا كل شيء

وجاء القاضي فاستجوبهم

وهذا كل شيء،

اثنان من ضباطنا الكبار

ذبحوا كل شيء

في دولة الأقزام

تثور الضجة الكبيرة

حول «سلامة الجليل»

الجيش يرتدي اللباس

يحمل العتاد

وفي المقدمة

يسير المجرم أرئيل شارون

ويصدر الأوامر المجرمة

دوما، أسئلة تطرح

يا حربنا المجنونة

إني أكرهك

يا دولة الأقزام

إني ألعنك..[١٠١].

إن سياسة الأكاذيب هذه التي ينتهجها الأدباء الإسـرائيليون مـا تـزال سائدة وما تزال تُسوَّق في الأسواق وفي المحافل الدولية وما زال الكثيـرون يريدون تصديقها رغم معرفتهم بكذبها، حتى أن المتاجرة بالأكذوبة القائلة بأن العرب سيلقون بإسرائيل في البحر ما تزال سارية المفعول رغـم اعتـداءاتها المتواصلة ورغم احتلالاتها ورغم اتفاقيات السلام والصداقة والتعـاون مـع الكثير من الدول العربية!!

لقد أوجدت سياسة العدوان والأكاذيب هذه؛ تـسمية أو ذريعـة جديـدة لعدوانها المتواصل على الشعب الفلسطيني، فزعمت أن حروبهـا العدوانيـة التصفوية ضد الشعب الفلسطيني؛ هي جزء من الحملة الدولية على الإرهـاب وأن على دول العالم التي تخوض حرباً ضد الإرهاب أن تقـدم لهـا العـون والمساندة في هذه الحرب الجديدة الكاذبة!! وقـد نهـض شـعراء العنـف الصهيوني للترويج لهذه الأكاذيب؛ فربطوا بين أمن إسـرائيل وبـين العنـف والعدوان، وأوهموا الأجيال الإسرائيلية وزرعوا فـي عقولهـا أن وجـودهم وأمنهم يتوقفان على مدى قدرة إسـرائيل علـى الفتـك والقتـل والتنكيـل والاستمرار في لعبة العنف، ومعلوم أنه عندما تعتاد النفوس على مذاق العنف وتتجرف في إغوائه، تعجز عن تركه كما يقـول أحـد المفكـرين واصـفاً الصهاينة بأنه ينطبق عليهم مبدأ «مكبث» القائل بأن: «المرء الذي ولـغ فـي الدم ترهقه العودة بمقدار ما يرهقه الاستمرار»[١٠٢].

يقول الشاعر الصهيوني «رافي دان» رابطا بين أمن إسـرائيل وبـين ممارسة سياسة العنف والقوة والإرغام، متحدثاً عن موت طفل إسرائيلي اسمه زئيف، مات بطعنه رمح عربي فيستثير عواطف سامعيه من الإسرائيليين:

هل تريدون أن تموتوا

مثل زئيف؟

لا..

إذن صوبوا بنادقكم تجاه الشرق(١٠٣).

لقد تحدث الشاعر الصهيوني الشهير يهوذا عميحاي عن إحساسه بالأمن والسعادة وعن مغادرته حالة الخوف والتشتت والضياع حين استقر فوق أرض اغتصبها من أصحابها؛ بل حين اغتصبها وقتل أو شرد أصحابها؛ ليضمن استمرار هذا الإحساس، يقول في هذا الوطن الذي اغتصبه:

هذا وطني

الذين يمكنني فيه أن أحلم دون أن أسقط

وأن ارتكب أعمالاً سيئة دون أن أضيع

وأن أهمل امرأتي دون أن أصبح معزولاً

وأن أبكي دون خجل

وأن أخون وأكذب

دون أن أتعرض للهلاك(١٠٤).

ونحن نسأل: هل حقاً، تحقق حلم الإسرائيليين بالأمان؟!! وهل تقترب إسرائيل من تحقيقه؟!! أم أنها تسير في طريق لا تنتهي من المخاوف وافتقاد الأمان؟!!

يبدو أن بعض شعراء الحركة الصهيونية ودعاة العنف أثقلهم إحساسهم بالظلم الفادح الذي لحق بالشعب الفلسطيني وبالجرائم الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل بحقه، فلجأ إلى متنفس يبرر العنف الإسرائيلي ويخفف من وطأته وثقله ويسكت يقظة الضمير والإحساس هذا، فوجدوا في ذريعة (اللا خيار) مخرجاً ومتنفساً ومبرراً، مفاد هذه الذريعة الزائفة، أن الإسرائيليين مرغمون

على قتل العدو العربي وعلى المبادرة إلى قتله، لأنهم ما لم يسبقوه ويبادروا إلى قتله فإنه سيقتلهم بالضرورة، (اقتله قبل أن يقتلك).

وقد وضع هؤلاء حتمية تسكت ضمائرهم وتبرر عنفهم تقول، الناس فريقان: ضحية وجلاد، وإن من حقهم أن يرفضوا أن يكونوا ضحايا، وأن يتمردوا على المقولة التوراتية: لا تقتل بحجة أن في التوراة مقولة أخرى وأمر رباني بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والرضع وحتى حيوانات الأغيار..!

يقول بورام لينون أحد الأدباء الصهاينة: «إننا مرغمون على أن نعتبر أن طريقنا هي الطريق العادلة، وليس لنا خيار، إنهم لن يرضوا بنا هنا في الشرق الأوسط»(١٠٥).

إنه منطق غريب! يعني: إن لم يقبل العرب بواقع الاحتلال، ويسلموا بمشروعيته، فإن من حق إسرائيل أن تقوم بما تقوم به من احتلالات وأعمال وحشية..!!

أما الكاتب المسرحي «حانوخ برتوف» فيتذرع بالقول: «المشكلة هي مشكلة وجود اليهود؛ فإذا حاربت من أجل حياتك ونجحت في التغلب على القاتل وقتله، فإنك ستذهب إلى البيت وتبكي لأنك قتلت إنساناً، ولكن من ناحية أخرى تفعل ذلك لأنه ليس أمامك من خيار سواه، ولكي نتمكن من الوجود والاستمرار فنحن مرغمون على القتال»(١٠٦).

ولا يخفى ما في قول هذا الأديب الصهيوني من تحايل وتلاعب بالحقائق ومن خداع للقارئ، فهذه الضحية التي يزعم أنه يبكي عليها وأنه اضطر إلى قتلها، لم تبادره بالعدوان أو بالاحتلال بل هي ضحية احتلاله واغتصابه وعدوانه.. وبالتالي تصبح فرضية (اللا خيار)، فرضية مخادعة مضللة توهم القارئ البريء أو الساذج ببراءة هذا الأديب وبإنسانيته الزائفة...

إذ كيف يمكن تصديق براءة المحتل وأنه جاء ليقدم لضحيته باقـــات الـــورود وأغصان الزيتون..؟!

من الشعراء الذين اخذوا بفرضية (اللا خيار) ورفضوا البقـــاء أســـرى المقولة التوراتية (لا تقتل)، بل اختاروا الانتقال من موقع المقتول أو الضحية إلى موقع القاتل أو الجلاد، الشاعر الصهيوني «اسحق بولاق» في قـــصيدته (إحساس) متخذا من عذابات اليهود عبر التاريخ مبرراً لهذا الانتقال:

أحُسُّ بروائح قوية

روائح جثث

روائح لحم في ضرام عنيف

في الزيت يحترق..

يُشوى على صدر فرن من الرمال

يزيد رقعتها مصدر عال

جثث..

من أجل تكثيف المذاق

المرير في التاريخ الحي الملموس

كلا.. لست في حاجة

لشرح أحداث..

بالتوتر المأساوي

مشحونة..

الحديث عن البداية

أفضل عندي من بسط ما تم وما انقضى

تصفيةُ الحسابات في ظني بدأتْ فيما بين النهرين

هناك.. ألقى الرب إبراهيم المهزوم

إلى نيران الأتون

ومنذ دُمرتْ أوثان عمورة وسدوم،

أبناؤه بانتظام

تحت شعار (لا تقتل)

يقتلون.

ليحيا نبذ السلبية!

كلماتي..

لتكن كلماتي.. فيالق

أشواكاً..

لتسقط أركان عالم

منحط بزئير جبار..(١٠٧).

الشاعر «هازي أموس» لا يجد تعبيرا عن حبه وعشقه وتعلقه بأورشليم وبأرض إسرائيل وعن رغبته في استرجاعهما إلا بخيار القوة، فبالقوة وحدها يسترد القدس وما يزعم انه ارض إسرائيل، يقول في قصيدة بعنوان «أورشليم»، حاملاً بها أصداء الزمن الغابر داعياً إلى مواصلة الحرب من أجل تحقيق وعد إلهي لم ينفذه هذا الإله منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة.!

ركَزّ الرمح على بقعة صغيرة

من ارض إسرائيل.

لتنكرني يميني

إن أنا أنكرتك يا أورشليم،
منذ تلك اللحظة وهو يحارب
أبناؤه يحاربون أيضا
وربما يحارب أحفاده
نحن لا نحب الحرب
ولكننا نعشق الأرض
أرض التوراة
وشمس أورشليم(١٠٨).

اليوم تستغل إسرائيل حرب الولايات المتحدة والعالم الغربي على الإرهاب، فأوهمته بأنها في جرائمها ضد الشعب الفلسطيني تسانده وتخوض معه حرباً ضد الإرهاب فتضيف إلى قاموس خداعها وتحايلها وتسميات جرائمها، تسميةً جديدة وذريعة ملفقة هي محاربة الإرهاب ومساندة العالم الحر في حملته عليه.!!

العنف في شعر الأطفال:

انصب اهتمام الدولة العبرية منذ نشأتها على أمرين رئيسيين:

الأمر الأول، بناء جيش قوي مدرب ومسلح بأحدث أنوع الأسلحة متفوق على جيوش الدول العربية مجتمعة مؤمن بالمسلمات الصهيونية.

الأمر الثاني، بناء أجيال يهودية تؤمن إيماناً مطلقاً بالإيديولوجية الصهيونية، بمقولاتها ومسلماتها ومزاعمها وقيمها وأطماعها في الاحتلال والتوسع وبتوجهاتها العنصرية العنفية، وخدمةً لهذا الهدف فقد وضعت الخطط والمناهج الدراسية والتعليمية والتربوية وجندت أقلام المفكرين والإعلاميين والمثقفين والأدباء والشعراء.. وقد عبر عن هذا الهدف أو

التوجه الشاعر والأديب الصهيوني «اسحق شيلاف» في حديث مع صحيفة معاريف جاء فيه:

«علينا أن نعلم الشباب على أساس أرض إسرائيل الكاملة، وهذا الأمر لا بد وأن يتم بواسطة الأدباء ورياض الأطفال والمدارس والموجّه في حركة الشباب والقائد في الجيش...» وفي حين أشاد بدور الأدب في خدمة هذا الهدف انتقد الأخذ بالاعتبارات السياسية التي تحول دون وضع خريطة لإسرائيل الكاملة لا تقر بخطوط الهدنة قائلاً: «إن هدف الأدب يجب أن يكون مختلفاً، إن عليه أن يحافظ على جذوة الأشواق تجاه كل مناظر الشرق التي يُحكى عنها في عهدنا القديم، على الأدب أن يشكل نار المعارضة لهذا الاستئصال المريع الذي فرضوه على جسد البلاد رغماً عنها ورغماً عن طبيعتها»(١٠٩).

ولقد حرصت الدولة العبرية على أن تصب الأجيال الإسرائيلية في قالب فكري وثقافي واعتقادي وسلوكي موحد، من خلال المناهج الدراسية والتعليمية ومن خلال كتب التاريخ والدين والثقافة والفنون والآداب وأن ترسخ في أذهانها وقناعاتها المقولات والمسلمات والمفاهيم والمزاعم التالية:

١ - إن فلسطين أرض يهودية تخص اليهود وحدهم بموجب وعد إلهي.

٢ - الشعب اليهودي شعب مختار من الله، متفرد ومختلف ومتفوق على من عداه من بقية الشعوب.

٣ - على الشعب اليهودي، أن يحافظ على نقائه العرقي وعلى تمايزه وأن يرفض الاندماج بالآخرين وأن يعود إلى «أرض إسرائيل» ليقيم دولته الخاصة به كما حددتها التوراة دولة تمتد من النيل إلى الفرات، أو كما حددها قادة إسرائيل، بأنها تمتد وتتسع إلى المكان الذي يستطيع الجيش الإسرائيلي الوصول إليه.

٤ - على الشعب اليهودي الاستمرار في المتاجرة بمعاداة اليهود واضطهادهم وبعداء العالم للسامية وباعتبار العالم أو الأغيار أعداء لليهود..

٥ - التأكيد على اعتبار العربي هو العدو الجديد والرئيسي للشعب اليهودي بعد القضاء على النازية، وعلى يهود اليوم مجابهة هذا العدو بالعنف والبطش والقوة والتغلب عليه وانتزاع «أرض إسرائيل» من يده، فالعربي لا يفهم ولا يستجيب إلا للغة القوة والعنف،

ومن أجل تسهيل مهمة الكراهية وإذكاء الأحقاد ونزعة العنف في نفوس الأجيال الإسرائيلية ضد هذا العدو المغتصب، أطلقت عليه جملة من الصفات القبيحة ورسمت له صوراً منفرة، عممتها وإشاعتها في وسائل التعليم والتربية والتثقيف والإعلام؛ فهو من حيث الشكل قبيح، منفر، قذر، أشبه بالحيوان وهو من حيث الصفات؛ مخلوق بدائي متخلف متوحش، عاجز بفطرته واستعداداته عن التطور وتجاوز حالة التخلف، غبي وأحمق وجبان وغادر وذليل وميال للعنف وشهواني لا علاقة له بالأرض أو بالتاريخ أو بالحضارة. لا يفهم إلا لغة القوة ولا يستجيب إلا للعنف والإكراه كما مر معنا من قبل في المقولات الأدبية والفكرية والسياسية والاعتقادية الصهيونية.

هذا التوجه العدواني العنصري وهذه السياسة المكرسة في المناهج التربوية وفي كتب التاريخ والدين والأدب والتثقيف والتوجيه وفي تربية الأجيال وفي تشكيل قناعاتها ومفاهيمها قد أشار إليها وتناولها بالنقد الشديد بعض علماء النفس وعلماء لاجتماع والمفكرين الإسرائيليين أنفسهم؛ فقد اعتبرها العالم الإسرائيلي ورئيس لجنة حقوق الإنسان الإسرائيلية الأسبق «إسرائيل شاهاك» في كتابه: (عنصرية دولة إسرائيل) بأنها سياسة عنصرية أدت إلى ظهور مجتمع إسرائيلي عنصري بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى(١١٠).

أما عالم النفس الإسرائيلي جورج تامارين صاحب كتاب (المعضلة الإسرائيلية) والذي تسبب بفصله من جامعة تل أبيب، فقد أكد في هذا الكتاب

وفي أبحاثه الميدانية، بأن إستراتيجية التنشئة الاجتماعية الإسرائيلية قد صبغت الشخصية الإسرائيلية بطابع تسلطي واضح، كما ساعد على صياغة هذه الشخصية العنصرية تدعيم القيم التي تشجع على العنف والعدوان إزاء العرب وسياسة الردع التي صاغ مبادئها بن غور يون والتي تنطلق من مسلمة عنصرية قاطعة مؤداها أن العرب لا يفهمون إلا لغة القوة والعنف.

وينتهي تامارين إلى القول: إن أبحاثه الميدانية قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك بأن مسلمات الصهيونية العنصرية وسياستها التطبيقية، قد أدت إلى صياغة شخصية إسرائيلية تتسم بالعدوانية والتسلط والتعصب والانغلاق[١١١].

وقد لفت إلى هذه السياسية العنصرية في مناهج التربية والتعليم وإلى تلاعبها بالحقائق وتزويرها للأحداث التاريخية وتكريس المقولات والمسلمات الصهيونية في أذهان الشباب في المدارس الإسرائيلية، المفكر الفرنسي روجيه غارودي، فأشار إلى أن طلاب المدارس الإسرائيلية لا يدرسون من تاريخ المنطقة إلا ما يخص اليهود وحدهم وأن الطلبة الإسرائيليين وفق ما يتلقونه من تعليم، لم يحدث شيء في فلسطين منذ ثورة بركوخيا في القرن الأول، وتدمير الهيكل حتى هرتزل ومولد الصهيونية: لا ظهور الإسلام، ولا الحملات الصليبية، ولا غزو المغول ولا معارك العرب ضد السيطرة العثمانية. ويعقب غارودي على سياسة التلاعب والتزوير هذه بقوله: إن إنكار وجود كل ما ليس يهودياً في إسرائيل، سمة من سمات الروح الصهيونية، إنه مبدأها الأساسي.![١١٢].

هذه السياسة العنصرية التي تتحكم بالمناهج التعليمية والتربوية والتثقيفية، وتحض على الكراهية والعنف واحتقار العربي وتتلاعب بالحقائق التاريخية وتزور الوقائع لم تتغير حتى يومنا هذا، بل ما زالت مستمرة بشهادة عدد من المربين والمفكرين والمثقفين الإسرائيليين منهم: البروفسور

الإسرائيلي «اديركوهين» مؤلف كتاب (وجوه قبيحة في المرآة)، والصحفية الإسرائيلية «نيلي مندكر» المتخصصة بشؤون التعليم والتربية في صحيفة هاآرتس، فقد أشارا إلى أن هناك أكثر من ١٥٠٠ كتاب من أصناف عديدة موجودة بمتناول الناشئة مليئة بالتحقير والنظرة الدونية لكل من هو عربي أو مسلم وأن هذه الكتب موجودة وموزعة في جميع الشوارع وفي المكتبات الشعبية والعامة وفي كل مدينة ومستوطنة..

ويؤكد البروفسور كوهين أنه حتى عام ١٩٨٤ لم تتغير النظرة المشوهة إزاء الإنسان العربي، فالنظرة ما تزال عدائية، لم يحل محلها أي نظرة احترام أو نظرة إنسانية، بل ازداد الحقد وحشو الأدمغة بأوصاف غير إنسانية مثل العرب: قتلة، لصوص، مخربون، قبيحو الوجوه..

كما يؤكد على استمرار هذه السياسة، كل من راحيل غرومان وموشيه بيلغ في كتابهما المشترك (ديمقراطية إسرائيل) الصادر عام ١٩٩٦ عن مؤسسة الكرمل في القدس. فقد أوضحا بأنه لم يطرأ أي تغيير على ثوابت التوجه التربوي الإسرائيلي حتى بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٩ واتفاقية وادي عربة مع الأردن عام ١٩٩٤؛ بل إن السياسة التربوية في إسرائيل ما زالت تنتهج الأسلوب ذاته وتتبنى الأطروحات والأفكار والمعتقدات الصهيونية ذاتها دون أي تغيير(١١٣).

هذا التوجه التعليمي والتربوي العنصري العدواني في المناهج الدراسية والتعليمية الإسرائيلية والذي تتجاهله الدول الغربية وتغمض أعينها عما فيه من عنصرية وعنف وكراهية وتلاعب بالحقائق ثم تمارس كل أنواع الضغوط والابتزاز على بعض الدول العربية لتغيير مناهجها التعليمية والتربوية بحجة أنها تشجع على الكراهية والعنف.. هذا التوجه العنصري العدواني في المناهج الإسرائيلية قد تبناه وشارك في صياغته

وترسيخه في أذهان الأطفال والناشئة الإسرائيلية عدد من شعراء العنف الصهيوني الذي كان بعضهم أشد عنفاً وتطرفاً وقسوة من القادة العسكريين والمتدينين المتعصبين أمثال هذا الشاعر الذي يلوم قائد الجيش الإسرائيلي، لأنه سمح لبعض الفلسطينيين المحاصرين في إحدى المدن من الخروج أحياء قبل الإجهاز عليهم.

يقول هذا الشاعر:

سنسفك الدماء الكثيرة

ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ..

لو كنت قائداً لجيشنا الأسطورة

لما تركتهم يرحلون

من المدينة المحاصرة المختنقة..![١١٤].

أما الشاعر اسحق شيلاف فإنه يوجه الكلام إلى وسائل التعليم والتربية والتثقيف في إسرائيل قائلاً في حديث لصحيفة معاريف الإسرائيلية:

«إن علينا أن نعلم الشباب، على أساس ارض إسرائيل الكاملة، وهذا الأمر لا بد وان يتم بواسطة الأدباء ورياض الأطفال والمدارس وبواسطة الموجه في حركة الشباب والقائد في الجيش». ويوجه اللوم إلى السياسيين الذين وقعوا على اتفاق الهدنة باعتباره يحد من طموح إسرائيل ومن أحلام التوسع، فيقول في تعريف دور الأدب الصهيوني: «إن هدف الأدب يجب أن يكون مختلفاً تماماً، إن عليه أن يحافظ على جذوة الأشواق تجاه كل ما فقدناه وتجاه كل مناظر الشرق التي يُحكى عنها في (عهدنا القديم) على الأدب أن يشكل نار المعارضة لهذا الاستئصال المريع الذي فرضوه على جسد البلاد رغماً عنها ورغماً عن طبيعتها»[١١٥].

وقد كتب الكاتب الصهيوني «مائير هرتزون» كتاباً بعنوان: (عشرون عاماً من أجل الاستقلال)، أهداه لطلاب المدارس الإسرائيلية، يفاخر فيه كيف يستخدم السكين في قتل العرب وكيف يستمتع برؤية «الدم المنبجس منهم»(١١٦).

وانسجاماً وتبنياً لسياسة العنف والقسوة والكراهية في نفوس الطلبة والأجيال الإسرائيلية، توجه الشاعرة «نعمى شيمر» هذه القصيدة لطلبة المدارس في إسرائيل، لا تحرضهم فيها على قتل الفلسطينيين وإبادتهم فحسب، بل تعتبر أن معيار تفوقهم وتميزهم ونجابتهم وذكائهم يتوقف على مدى الإجادة والإحكام والإتقان والتفوق في قتل العربي الفلسطيني وفي استخدام أحدث أنواع القتل والفتك ضده..!

لو أنهم كانوا تلاميذ مجتهدين

يتقنون الدرس

لكانوا نصبوا مدافعهم

على مداخل المخيمات

وأمطروها بالقنابل بالقذائف بالحديد الملتهب

ثم لو أنهم تلاميذ مجتهدون

لكانوا استخدموا الدبابة

من مسافة قريبة ودمروا

البيوت والشوارع

ولم يتركوا أحداً..!(١١٧).

مر معنا ونحن في معرض الحديث عن العنف في بعض القصص الإسرائيلية الموجهة للأطفال كيف رسمت هذه القصص صورة العربي في أذهان الطفل الإسرائيلي.. فهو سارق للقمر الذي ينشر الضوء والانتعاش والسكينة في النفوس، وهو الذي جعل «أرض إسرائيل» مظلمة، وهو قاتل

الأمير الإسرائيلي الصغير، والعدو الذي يمنع الآباء من النوم إلى جانب أطفالهم وزوجاتهم.. ويحرم الأطفال من حنان آبائهم..! وبالتالي فهو العدو، الذي يجب كراهيته وقتله والتخلص منه كي يزول الخوف وينتشر الضياء والأمن والسلام والفرح في (أرض إسرائيل).

هذا ما يعبر عنه ويحض عليه الشاعر الصهيوني «يعقوب زيم» في قصيدة بعنوان (المشكلة):

حين يدوي الرعد
تنهض الصغيرة من نومها مذعورة
ترتمي في حضن أمها
حين يئز الرصاص
تنهض الأم من نومها مذعورة
لترتمي في حضن زوجها
لكن الزوج خارج البيت
يحرس الحدود من المخربين
من يحمي البيت إذن من شبح الخوف؟
هذه هي المشكلة
اعرضها عليكم أحبائي الأطفال..
في كل مكان
على هذه الأرض
من يعطي الأمان للطفلة الصغيرة
حتى تنام
وحتى يعود الزوج لحضن زوجته؟![١١٨].

البراءة، والمرتدي لباس الضحية، لكنه في الجوهر، يصب الكراهية ويؤجج مشاعر الحقد وحب الانتقام في نفوس الأطفال ويقلب الحقائق في أذهان الناشئة الإسرائيليين أو يزورها، قد أثمر في خلق جيل إسرائيلي أطفئت في نفسه شعلة الإنسانية وأوقدت بدلاً منها نزعات العنف والقسوة وكراهية الآخر والرغبة الجامحة في قهره والقضاء عليه، كما أكد ذلك استفتاء أجراه عالم النفس الأمريكي تشامارين بين الطلبة الإسرائيليين. فقد وزع تشامارين ١٠٦٦ استمارة على الطلبة حول سفر يشوع بن نون الذي يحتل مكاناً خاصاً في التعليم الإسرائيلي، الاستمارة تسأل الأطفال عن رأيهم في أن يشوع دخل بجيشه أريحا ومدينتين أخرتين فقتلوا كل رجل وامرأة وطفل وشيخ وقتلوا حتى البقر والحمير.. فتراوحت الإجابات بين ٦٦و٩٥ في المائة في كل مدرسة أو مستعمرة كما يلي:

«لقد كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل الإسرائيليين ولذلك فقد تصرف الإسرائيليون تصرفاً صحيحاً باحتلالهم المدن وقتلهم سكانها. فليس من المرغوب فيه أن يكون في إسرائيل عنصر غريب. إن الناس من مختلف الأديان يمكن أن يؤثروا تأثيراً لا حاجة إليه على الإسرائيليين!!..»(١١٩).

لنستمع إلى الشاعر «رافي دان» الذي يتلاعب بدوره بالحقائق وبمشاعر الأطفال الإسرائيليين ويصادر حسهم الإنساني ويشوه بالحقد والكراهية ونزعة العنف وحب الانتقام طفولتهم وعقولهم طالباً منهم الانتقام والثأر من قاتل الحلم الصهيوني الذي يرمز له بالطفل البريء «زئيف»، الذي صادره العرب وما زالوا مستمرين في مصادرته وقتله؛ فيرى أنه قد آن الأوان، أن تقرر الأجيال الإسرائيلية إيقاف مسلسل القتل ومجابهة القاتل وقتله والثأر منه وإحياء الحلم اليهودي وتفادي مصير زئيف من خلال تصويب البنادق إلى صدر القاتل؛ مصدر الخطر القادم دائماً من الشرق، في إشارة واضحة إلى العدو العربي

وإلى العدو البابلي والآشوري من قبل.. أليست الحرب الأمريكية على العراق الآن واحتلاله في نيسان عام ٢٠٠٣ حرباً أمريكية ثأرية في الكثير من دوافعها نيابة عن الإسرائيليين وثأراً للسبي البابلي؟!

يقول الشاعر رافي دان في قصيدة موجهة للأطفال بعنوان (حكاية):

زئيف، هل تعرفون زئيف

لا ليس حيا الآن

أجل، طفل صغير، صغير لم يكبر

منذ آلاف السنين

أجل منذ آلاف السينين

أنصتوا جيداً، وافهموا القصة..

زيف طفل

لم يكبر بعد، عاش على هذه الأرض

أحبها

وحين حاصر الغزاة هذه المدينة

مات..

كيف مات؟ لا أحد يدري

هل مات من الجوع

أم تحت التعذيب

برمح طائش

أم تحت سنابك الخيل؟

لا أحد يعرف

لكن هل تريدون أن تموتوا مثل زئيف؟!

لا... إذن صوبوا بنادقكم تجاه الشرق..(١٢٠).

لقد أوجد هذا الشاعر الحل المجدي لتفادي مصير «زئيف» المختلق، وجده في العنف، في تصويب البنادق نحو الصدور.. وجده في القتل.. في سفك الدماء..

هذا هو المبدأ الذي قامت عليه إسرائيل. لكن هل فكر أنصار هذا المبدأ والداعين إلى الأخذ به في النتيجة الحتمية له؟

هذه النتيجة التي نفذت إليها الشاعرة الإسرائيلية «لابتسيك مانجر» ببصيرتها النافذة ورؤيتها المستقبلية الجريئة والتي لا يريد الإسرائيليون رؤيتها أو الاعتراف بها من خلال توظيفها للمقولة التالية:

على العنف قام عرشك

ومصيره أن يسقط بالعنف،

رداء مملكتك ملوّث بالدم

وسيلوثه دمه أيضاً(١٢١).

ليس هذا حكم الشاعرة وحدها أو حكمة القول المأثور وحده.. إنه حكم التاريخ أيضا!!

* * *

حواشي ومراجع
الفصل الرابع

١ - من ألواح سومر، صموئيل كرايمر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثَّنى، بغداد ومؤسسة الخانجي القاهرة، ص: ١٦٥ -١٦٦.

٢ - المثولوجيا السورية، وديع بشور، مؤسسة فكر، ط١ -١٩٨١ص٢٣٩ -٢١٤ ومغامرة العقل الأولى، فراس سواح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٦٧، ص: ٢١٢ -٢١٣.

٣ - المثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص: ٢١٦ -٢١٨.

٤ - المرجع السابق، ص: ٢١٨.

٥ - من ألواح سومر، مرجع سابق، ص: ١٩٤ -١٩٥.

٦ - المثولوجيا السورية، مرجع سابق، ص: ٤١.

٧ - قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، ط٥، جـ٢، ص: ٩٩.

٨ - المرجع السابق، ص: ١٠٠.

٩ - المرجع السابق، ص: ١٦٤ -١٦٥.

١٠ - المرجع السابق، ص: ١٦٩ -١٧٣.

١١ - المرجع السابق، ص: ١٧٥.

١٢ - الدولة اليهودية، هرتزل، لندن، ط٥، ١٩٦٧ ، ص: ٢٩ وعن المفكرة الصهيونية الأساسية، الدولة اليهودية، هرتزل، مركز الأبحاث م.ت.ف بيروت: ١٩٧٧، ص: ١٢٠.

١٣ - الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، جـ١، ١٩٧٧، ص: ٢٦.

١٤ - حرب الثمانين يوماً، خليل السواحري، دار الكر مل، عمان، ١٩٨٥، ص: ٦٣ -٦٤ عن صحيفة يديعوت، أحرنوت في ١٩٨٣/١٠/٢٢.

١٥ - جريدة الدستور الأردنية في ١٩٨٢/١٢/٢٤ ترجمة خليل السواحري عن ملحق يديعوت أحرنوت في ١٩٨٢/١٠/٢٢.

١٦ - الشعر العبري والصهيوني المعاصر، صالح العياري، دمشق، ط١٩٨٧،١، ص: ١٥٧.

١٧ - مجلة أقلام العراقية، عدد حزيران ١٩٧٩، ص: ٤٨.
١٨ - الآثار الكاملة، غسان كنفاني، دار الطليعة، ط٢، م٤، ١٩٨٠، ص: ٤٩٦.
١٩ - فلسطين أولا، لوكاس غرولنبرغ، ترجمة محمود فلاحة، دمشق، ١٩٨٢، ص: ٢٠٤ -٢٠٥.
٢٠ - ليس للنشر، مايكل آدمز وميهيو، ترجمة محمود فلاحة، دمشق، ١٩٨٧، ص: ٢٧٦.
٢١ - الإرهاب الإسرائيلي، فرانتز شايدل، ترجمة محمد جديد، دمشق ١٩٧١، ص: ٨٣.
٢٢ - مجلة استراتيجيا، ١٩٨٣، العدد ١٢، مصطفى طلاس.
٢٣ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ١٦.
٢٤ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، روجيه غارودي، ترجمة إبراهيم كيلاني، دمشق،١٩٨٤، ص: ٢٠ -٢١.
٢٥ - المرجع السابق، ص: ٢٥.
٢٦ - فلسطين أولاً، مرجع سابق، ص: ٦١.
٢٧ - بحث منشور في كتاب العربي في ١٩٨٨/٤/١٥ للدكتور أسعد عبد الرحمن.
٢٨ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ١٩.
٢٩ - ملحق يديعوت احرنوت في ١٩٨٢/١٠/٢٢ ترجمة خليل السواحري عن كتاب صالح العياري، في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، دمشق، ١٩٨٧، ص: ١٩٠ -١٩١.
٣٠ - مكان تحت الشمس بنيامين نتنياهو، ترجمة محمد عودة الدويري، دار الجليل عمان، ط١، سنة ١٩٩٥، ص: ٢٩٢ -٢٩٣.
٣١ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ٢٠.
٣٢ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١، ص: ٨٢.
٣٣ - الإرهاب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص: ١٦٠.
٣٤ - المسألة اليهودية، ديستويفسكي، ترجمة موفق الديلمي، جريدة السفير، في٧و١٤/٣/١٩٨٢.
٣٥ - مجلة صوت فلسطين، عدد ١٨٩، ص: ٦٤.
٣٦ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص: ١٠٦.
٣٧ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ٢٠ -٢١.
٣٨ - المرجع السابق، ص: ٢٢ -٢٣.
٣٩ - مجلة صوت فلسطين، مرجع سابق، ص: ٧٦.

٤٠ - في الشعر العبري والصهيوني، مرجع سابق، ص: ١٧٧ عن معاريف في ٩١٩٨٢/٢٣.
٤١ - معاريف في ١٩٨١/٢/٢٠.
٤٢ - كتاب العربي عدد (١٩) عن مقالة لرابين نشرتها الأزمنة الحديثة، في حزيران ١٩٦٧.
٤٣ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ٣٨.
٤٤ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، فؤاد سليم أبو زريق، دمشق، ٢٠٠٠، ص: ١٥٤ -١٥٦.
٤٥ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق ص ٣٧ -٣٨ عن يديعوت أحرنوت في ١٩٨٢/٩/٢٤.
٤٦ - الأرض غير المقدسة، مرجع سابق، ص: ١٦٥.
٤٧ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ١٥٨ -١٦١.
٤٨ - قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، مرجع سابق، ص: ١٥٩.
٤٩ - الآثار الكاملة غسان كنفاني، ط٢، م٤ دار الطليعة، ص: ٦٣١.
٥٠ - المرجع السابق، ص: ٦٣٤.
٥١ - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهيم، دار عطية، ط٢، ١٩٦٦، ص: ١١٢.
٥٢ - المرجع السابق، ص:١١١.
٥٣ - جريدة الرأي العام الكويتية في ٢٠٠٥/٥/١٨ نقلاً عن جريدة معاريف الإسرائيلية.
٥٤ - الأدب الصهيوني بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣٧.
٥٥ - في الشعر العبري والصهيوني، مرجع سابق، ص: ١٠٠ -١٠١.
٥٦ - مجلة أقلام عدد حزيران ١٩٧٩، ص: ٤٨.
٥٧ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ١٨.
٥٨ - المرجع السابق، ص: ١٥ -١٦.
٥٩ - المرجع السابق، ص: ٦٤.
٦٠ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٤٠، عن يدعوت أحرنوت في ١٩٧٨/٧/٢٨.
٦١ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٧٨.
٦٢ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ٦٠ -٦١.
٦٣ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣٩ -٤٠.
٦٤ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ٥٢ -٥٣.
٦٥ - المرجع السابق، ص: ٧٦.

٦٦ - ليس للنشر، مرجع سابق، ص: ٣٠٥.
٦٧ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٨٧.
٦٨ - الأدب الصهيوني في تضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٤١.
٦٩ - سفر الملوك الأول، فصل ١٥.
٧٠ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ١١٩ -١٢٢.
٧١ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٧٤ -٧٥.
٧٢ - صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، وليد أبو بكر، مرجع سابق، ص: ١١٠ -١١١ وعل همشمار، في ١٩٧٩/١/١٩.
٧٣ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ١٣٨.
٧٤ - المرجع السابق، ص: ١٣٨ -١٣٩.
٧٥ - السفير اللبنانية، المسألة اليهودية، ديستويفسكي، مرجع سابق.
٧٦ - المرجع السابق.
٧٧ - المرجع السابق.
٧٨ - في الشعر العبري والصهيوني، مرجع سابق، ص: ٥١.
٧٩ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣٤.
٨٠ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٩٩.
٨١ - مجلة أقلام، عدد حزيران ١٩٧٩، ص: ٩٨ -٩٩.
٨٢ - المرجع السابق، ص:٩٩.
٨٣ - الأدب الصهيوني بين حربين، مرجع سابق، ص: ٤٣.
٨٤ - المرجع السابق، ص: ٤٣.
٨٥ - فلسطين أولاً، لوكاس غرولنبرغ، مرجع سابق، ص: ١٩١.
٨٦ - سفر تثنية، الاشتراع ، فصل ١١.
٨٧ - المرجع السابق، فصل ٧.
٨٨ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣٦.
٨٩ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ٦٠ -٦١.
٩٠ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣٤.
٩١ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٤٦ -٤٧.
٩٢ - جريدة السفير في ١٩٨٢/٣/٧.
٩٣ - كتاب الهلال، احمد بهاء الدين، عدد ١٦٨ ص: ٥٢،.
٩٤ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٣١ -٣٢.
٩٥ - الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ١٦٤ -١٦٦ عن يديعوت أحرنوت في ١٩٩٠/١/١٩.

٩٦ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ٦٣.
٩٧ - مرجع سابق، ص: ١٦.
٩٨ - المرجع السابق، ص: ٤٧ -٤٨.
٩٩ - المرجع السابق، ص: ٤٠.
١٠٠ - المرجع السابق، ص: ٤٤.
١٠١ - المرجع السابق، ص: ٥٨.
١٠٢ - ليس للنشر، مرجع سابق، ص: ٢٧٦.
١٠٣ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٧٨.
١٠٤ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ١٠٠ -١٠١ ومجلة أقلام عدد حزيران ١٩٧٩.
١٠٥ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٢١٠.
١٠٦ - المرجع السابق، ص: ٢١٠.
١٠٧ - الأدب الصهيوني في تضليل الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٧٠ -٧١.
١٠٨ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٧٨.
١٠٩ - الأدب الصهيوني بين الإرث والواقع، مرجع سابق، ص: ٥٢ -٥٣.
١١٠ - الصهيونية والعنصرية، مرجع سابق، ص: ١٠٦.
١١١ - المرجع السابق، ص: ١٠٦.
١١٢ - المرجع السابق، ص: ٤٠.
١١٣ - العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية، إعداد وتأليف سمير سمعان وآخرون منشورات مركز دراسات الشرق الأوسط ط١، عمان، ٢٠٠٤، ص: ٩٠ -١٢٥،
١١٤ - حرب الثمانين يوماً، مرجع سابق، ص: ١٥ -١٦.
١١٥ - الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع ، مرجع سابق، ص: ٥٢ -٥٣.
١١٦ - مجلة شؤون عربية، حزيران ١٩٨٩، ص: ١٦٩.
١١٧ - مجلة صوت فلسطين، عدد ١٨٩ تشرين أول، ١٩٨٣، ص: ٧٦.
١١٨ - مجلة أقلام، مرجع سابق، ص: ٧٧ -٧٨.
١١٩ - المرجع السابق، ص: ١١٣ -١١٤.
١٢٠ - المرجع السابق، ص: ٧٨.
١٢١ - في الشعر العبري والصهيوني المعاصر، مرجع سابق، ص: ١٦٣.

* * *

n

الصفحة

مقدمة: الخنجر والجسد، بقلم الشاعر سليمان العيسى ٥

الفصل الأول : في العنف الصهيوني ٩

حواشي الفصل الأول **٣١**

الفصل الثاني: العنف الصهيوني جذوره وروافده ٣٥

١ - التعاليم الدينية والاعتقادية ٣٦

٢ - ذاكرة الاضطهاد وعقدة معاداة اليهود ونزعة الانتقام .. ٤٨

٣ - العزلة والانغلاق والإحساس المرضي بالتفوق والاصطفاء .٥٢

٤ - الأيديولوجيا الصهيونية ٥٧

حواشي الفصل الثاني **٧٠**

الفصل الثالث: العنف في الرواية والقصة ٧٥

أدب الأطفال وزراعة الكراهية والأوهام ١٠٦

حواشي الفصل الثالث **١١٥**

الفصل الرابع: العنف في الشعر الصهيوني ١١٩

ثقافة العنف والكراهية ١٣٨

العنف المعنوي أو المبطن ١٧٣

اختلاق العدو وممارسة سياسة الخداع والابتزاز وقلب الحقائق ... ١٨٥

عدو دائم عام مطلق، وعدو مباشر محدد قريب لصيق ١٨٦

الشكوى والتظلم أحد أسلحة العنف ١٨٩

مقولة شعب الله المختار والعنف ١٩٨

العنف بحجة الأمن والدفاع عن النفس ٢٠٥

العنف في شعر الأطفال ٢١٥

حواشي الفصل الرابع **٢٢٦**

صدر للمؤلف

١ - أبجدية المطر، شعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣.
٢ - الحصار، شعر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٧.
٣ - قراءة في الواقع السياسي العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩.
٤ - نقوش وكلمات، شعر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩.
٥ - إشراقات في الزمن الرخو، شعر، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢.
٦ - تساؤلات تبحث عن أجوبه، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٤.
٧ - الكتابة والمكتبات عبر العصور، جامعة دمشق، ١٩٨٤.
٨ - قراءة في الظلام، شعر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٦.
٩ - الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، وزارة الثقافة دمشق، ٢٠٠٠.
١٠ - كتاب الشهوات، شعر، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٣.

الطبعة الأولى / ٢٠١١
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

www.syrbook.gov.sy
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١

سعر النسخة ١٧٠ ل.س أو ما يعادلها